

﴿ كتاب ﴾

العقد الثمين في بيان مسائل الدين

تأليف الشيخ الفاضل العالم العلامة الشيخ علي ابن

الشيخ أبي السعود محمد ابن الشيخ عبد الله بن

الحسين بن مرعي بن ناصر الدين

العباسي الشافعي الشهير

بالسويدي رحمه

الله تعالى

آمين



﴿ وقد وضع بأسفله حواش قد جردت من نسخة المؤلف وقد فصل بينهما بجدول ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ﴾

﴿ سنة ١٢٢٥ هـ ﴾

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو المصطفى الشيخ علي بن أبي السعد الشيخ محمد سعيد بن أبي البركات جلال الدين الشيخ عبد الله الشهير بالسويدي بن حسين بن مرعي بن الشيخ ناصر الدين بن الحسين بن علي بن أحمد بن محمد المدلل بن عبد الله بن الحسين بن علي بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي بكر بن الفضل بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن علي بن أحمد بن الموفق طلحة بن جعفر بن محمد بن محمد بن الرشيد بن محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان رحمه الله تعالى أعلم أهل عصره في مصر به الحديث بل ثالث الشيخين الذين عزلهما التثليث له اليد العليا في سائر العلوم المنطوق منها والمفهوم نادرة الوجود شبل الخبر أبي السعد قد افتخرت به الزوراء بل حري أن تفتخر به الغبراء بحر علم لا يدرك شاطئه وطود فضل لا ينال قربه وقاصيه ان وعظما الجوزي في بلاغته وان خطبها ابن ساعدة في جزالته عالم عامل كثير المحامد والفضائل كان يحفظ عشرين ألف حديث من الكتب الصحاح فيأله من توفيق وفلاح قال العلامة السيد محمود أفندي الألوسي مفتي مدينة بغداد في كتابه نزهة الألباب ومجموعة الوسطى ما لفظه كان الشيخ المشار إليه لازالت سبحانه الرحمة متواليمة عليه لأهل السنة برهانا وللعلماء المحدثين سلطانا ما رأيت أكثر منه حفظا ولا أعذب منه لفظا ولا أحسن منه وعظما ولا أفصح منه لسانا ولا أوضح منه بياناً ولا أكمل منه وقارا ولا آمن منه جارا ولا أكثر منه حِلما ولا أكبر منه معرفة الرجال علما ولا أنقرب منه عقلا ولا أوفر منه في فقه فضلا ولا ألين منه جانبا ولا آنس منه صاحباً ولهذا الفاضل نظم كثير ونثر يزري بدرارى الفلك الأثير لكن لم يحفظ منه الا القليل ولقد حسدنا الدهر عليه فزقه أيادي سبا وهجم عليه الضياع والنسيان فنهب وسبا شطريه

* وسهم الرزايا بالنفائس مولع * ولقد مضت لي معه أيام كرهت فيها من حيا بمجالسه أهنا مدام حيث السحاب مريع والزمان ربيع والنسيم عليل والوقت كاه سحر وأصيل وقد كان في مبدأ طلي وأوائل تحصيل أربي وأوان صلاحيني لمجالسة أمثاله وقابليتي لقطف جنى فضاله قاطنا في دمشق الشام لازالت شامة وجنات بلاد الاسلام وكانت تفد اخباره على مسامعي وتنشوق الى لقاءه أجفان عيون مطامعي حتى لقيته فاهتزت به اعطاف المسره وثلث منه ما هو للروح قوة واطرف الظرف قره فرأيت كأماسرقي الحسن من بعض شمائله واقتطف العلم من بعض فضائله طبع أرق من برد النهر هله الشمال وأصفي من ريق مداة صفقها العذب الزلال

له صحائف أخلاق مهيبة * منها العلى والحجا والظرف ينتسج

وقرأت عليه نسخة شرح الفسرك في مصطلح أهل الأثر فرأيت من بزمثال غريب الكمال فرد
في الحديث شاذ النظر في القديم والحديث صحيح التقرير حسن التحرير كلامه محكم غير
مختلف ولا منسوخ وشاهد فضله له متابعات على أنه ذو رسخ سند كماله أصبح الأسانيد وسلسلة
جماله كالؤلؤ النضيد مرسل معروفه متصل غير منقطع ولا منقطع ولا معلق ولا منكر ومزید
احسانه متواتر مستفيض مشهور أوضح من أن يسطر ثقله غير موضوع ولا مضطرب ولا مصحف
ولا معطل ولا مغلوب ولا محرف كل فضل مدرج في أفضاله وكل مشكل ينحل بأقواله لا تدليس
بصفاته ولا توقف في رجحان ذاته ثم أنه لم يبق إلا القليل حتى عزم على الرحيل وفسد الرجوع
إلى الشام وكان ذلك لأمر أراده العليم العلام فامتطى غارب الأغوار والأنجاد والزمان يضم
سلب ما أولاه بخلا وان جاد إلى أن حل بناديها وتغذى بنسيمها وأم بحجر نعيمها وقال في ظلال
أغصانها المتعانقة هوى وود وتطر بأفئاس شيا لها التي صارت للنداء فلم تمض مدة حتى قطعت
يد الأجل نواره واطفأت ريح المنية أنواره فتوفي ليلة الخميس السابع والعشرين من رجب سنة
ألف ومائتين وسبعة وثلاثين فيها مصيبة جليلة النصب والعطب وكان يقرأ في سكرات الموت
قوله تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية إلى أن أذن المؤذن لصلاة المغرب فترك قراءته
والنزم اجابته فبعد أتمام الشهادتين أجابت روحه داعي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم غسل
وكفن وبقى إلى الصباح فصلى عليه ودفن في سفح جبل قاسيون وجرت عليه من العيون عيون
فانالله وانا اليه راجعون اه وقد رثاه جماعة من فضلاء زمانه منهم الفاضل الشيخ علي الأمين
ناظم الدر الثمين بقصيدته التي جاءت بأحسن نظام وأتم اسجاء مطالعها

هو الموت لا ينفك يسطو بحجفصل * على كل ناد للكرام وحجفصل
يخاتلنا حيناً وحيناً بكره * وينفد منا كل أفضل أفضل
ويرصدنا رصد العدو عدوه * ويرقب منا فرصة المتفضل
فيصطاد منا كل أصيد بأسل * ويمتاز بالتميز صكل مبيجسل
فإن كنت لا تدري بيا نفس فانظري * إلى دار مجرد قد غفاها ومنزل
إن كنت لا تدري بالموت فاعلمي * بأن ممات الأرض فرقة مفضل
الأم وحتى يازمان إلى مستى * تجرع سادات الوري كاس حنظل
أرى الدهر بالاجداد يأسه ولعا * يسوءهم وفي كل دهياء معضل
ألم نردار الجداد بالكرخ أصبحت * بها الندب بعد الندب قد وتنا على
ففضي فقضى من بعده الجود والندا * وناح عليه من يقيم ومرسل
فقيده تبيكي العلوم جميعها * كما تكول عند فقد انما الولي

فتى فضله كالشمس يشرق جهرة * اذا مارووه بالجديث المسلسل
سقى الناس من فيض العلوم وفي غد * سيسقى سريعا من رحيق وسلسل
اماود موع في الدياجي تصوبها * أماقب في وقت الدعا والتبتل
لقد كان للاسلام كهفا وناصرا * وعرضا لحرب الضد لم يتفائل
بكي العلم والتدريس شجوا لفقده * وكان لجيد العلم كالعقد في الحللى
الى ان قال

تركت به أقصى المصاب مؤرخا * نعم بنعيم الخلد منزله على
ومن رثاه وأرخ وفاته الشيخ على المكي بقصيدته التي مطلعها
لمن منزل يهكي له كل منزل * وكل به في لاعج الوجد مصطلى
أرى النفس بالاشراف تغلى بأدمع * لها في صدور القوم آثاف مرجل
أأن لنا من نفحة الصور نفخة * وجلجل اسرافيل في كل معضل
أم السكون وفي آخر السكنى فانتهى * بذهياء تسقى النائبات بحفظال
الى ان قال

وفي ذاك نادى في الجنان مؤرخا * على له في الخلد أروج منزل
وقدر ثاه وأرخ وفاته ابن عمه الشيخ محمد سعيد بن الشيخ احمد السويدي بقوله
مدوسد اللحد نادانا مؤرخه * ان المدارس تبكى عند فقد على
ولقد خزن عليه المسلمون والاسلام وأبكى حمامه حمام الشام
بيت

جائتم أبلت في الحنين لباسها * فلم يبق منها غير طوق لجيدها
ومن شعره تخميسه لقصيدة الامام البويصيري التي مطلعها
الى متى أنت بالذات مشغول * وأنت عن كل ما قدمت مسؤل
ومن شعره

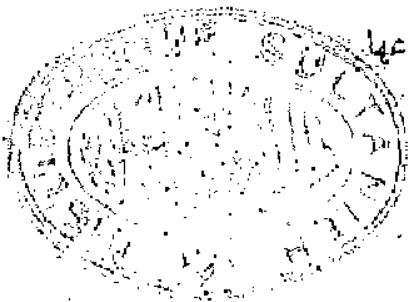
يا نفس كم لانهبشين بحال * هلا اقظت بفرقة الامثال
هذا الشباب تصرمت أيامه * وأتى المشيب يميل للترحال

وهي قصيدة طويلة لا يسع ذكرها وله من المؤلفات هذا الكتاب المسمى بالعقد الأمين ورسالة في
الخصاب وشرح المناوى الصغير ودرس ووعظ وأخذ العلم عن والده وعن عمه الشيخ عبد الرحمن
السويدي وبه تخرج وعن خول زمانه لازال ثاويا في قصور الجنان وضريحه مطاب الرحمة
والرضوان ما بكى الاطر لفراق الغمام وضحك النور لبعائه في الأكمام أمين

﴿ فهرست كتاب العقد الثمين في بيان مسائل الدين للعلامة السويدي ﴾

صحيحة

- ٤ المقدمة في أخبار النبي بفرقة الدين والحث على الفرار من الفتنة وحصول الاختلاف في
وتحريضه على اتباع سنته ولزوم طريقته
- ١٥ الباب الأول في بيان الدليل على العلم بوجود الله ووجوب الإيمان به وتوحيده
توحيده فقط هل هو العقل أم الشرع وحاصل ما قيل في ذلك
- ٢١ الباب الثاني في بيان هل يصح إيمان المقلد وسوق الخلاف الكائن فيه وبيان القول المختار
- ٣٧ الباب الثالث في بيان الإيمان والاسلام وتلخيص ما اختلفوا فيه في بيان حقيقة الدين
- ٥٠ الباب الرابع في تحقيق معنى كلمة الاخلاص وبيان اعرابها وغير ذلك
- ٦٦ الباب الخامس في بيان توحيده الله في ربوبيته وألوهيته واستحقاق عبادته وبيان
العبادة وأنواعها وما يلزم المكلف
- ٧٨ الباب السادس في الشفاعة وجواز الاستشفاع بالنبي ومنعه وبيان دلائل القرينين
- ١١٨ الباب السابع في بيان الشرك الأكبر المخرج عن الملة وبيان ما قيل فيه
- ١٢٥ فصل يكفر من يعبد غير الله
- ١٤٠ الباب الثامن في بيان الشرك الأصغر وأنواعه
- ١٤٧ الباب التاسع في بيان المعجزة والكرامة والسحر وغير ذلك
- ١٥٦ الباب العاشر في بيان الإيمان بالرسول وما يجب ويمتنع عليهم وما يجوز
- ١٦٣ الباب الحادي عشر في بيان كيفية حياة الأنبياء والشهداء ومقرأرواحهم وما يتبع ذلك
- ١٧٥ الباب الثاني عشر في أحكام زيارة القبور وحكم شد الرحال اليها
- ١٩١ الباب الثالث عشر في بيان حكم الهجرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٢٠٤ الباب الرابع عشر في بيان أحكام المرتدين وتارك الصلاة وما منع الزكاة ومن ترك شيئاً
الدين
- ٢٠٩ الباب الخامس عشر في معرفة البدع وأنواعها
- ٢١٧ الخاتمة
- الفصل الأول في النذر
- ٢٢٠ الفصل الثاني في النحر وأحكام الذبائح
- ٢٢٥ الفصل الثالث في الاستعاذة



﴿ ك ت ا ب ﴾

العقد الثمين في بيان مسائل الدين
تأليف الشيخ الفاضل العالم العلامة الشيخ علي ابن
الشيخ أبي السعود محمد ابن الشيخ عبد الله بن
الحسين بن مرعي بن ناصر الدين
العباسي الشافعي الشهير
بالسويدي رحمه
الله تعالى
آمين

﴿ وقد وضع بأسفله حواش قد جردت من نسخة المؤلف وقد فصل بينهما بجدول ﴾

﴿ طبع بالمطبعة اليمنية بمصر ﴾

﴿ سنة ١٢٢٥ هـ ﴾
٥٨

قال الشيخ الامام العلامة القم مقام الشيخ علي ابن العلامة الشيخ أبي السعد محمد سعيد نجل العلامة
 الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين العباسي الشهير بالسويدي في رسالته التي سماها
 العقد الثمين في بيان مسائل الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين حمد معترف برؤيته موحد له في ألوهيته وأشهد
 أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اياه واحدا فردا صمدا تفرد بالملك والبقاء والمنع والعطاء
 فلا يضاويه احد في صمدية وأشهد أن محمد عبده ورسوله المصطفى من خير جرائيم العرب فهو
 المختار من جميع بريته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن اهتدى بهديه الى يمين

(قوله بسم الله الرحمن الرحيم) أي أؤلف والباء للاستعانة أو للابسة والاسم مشتق من السمو وهو
 العلو أو من الوسم وهو العلامة وحذفت همزة تخفيفا لكثرة الاستعمال والله علم على الذات الواجب
 الوجود لذاته وقيل هو اسم الله الأعظم وعدم الاستجابة لأكثر الناس لعدم استجماعهم لشروطه
 وهو الجامع لصفات الكمالات والرحمن من رحم كغضبان من غضب وهو صفة لله والرحيم صفة ثانية
 لله وجعل الرحمن صفة مبنية على أنه من الصفات وقيل أنه علم فيكون بدلا من لفظ الجلالة ويكون
 الرحيم صفة له لأنه لا يبدل لا يتقدم على النعت ثم اطلاق الرحمة على الله هو باعتبار غايتها لا باعتبار
 مبدئها الاستعانة عليه وباعتبار الغاية أن أريد بها الاحسان كانت صفة فعل أو ارادة الاحسان كانت
 صفة ذات (قوله الحمد) هو الثناء بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل سواء كان جيلا في الواقع أو فيما
 عند الحامد سواء تعلق بنعمة أو بغيرها (قوله الدين) أي الجزاء (قوله في ألوهيته) في ذكر الربوبية
 والألوهية براعة استهلال (قوله وأشهد الخ) أي اعلم واذهن أن لا معبود بحق في الوجود (قوله
 واحدا) أي في صفات الألوهية لا شريك له (قوله فردا) لا شفيع له من صاحبة أو ولد لعدم محابته
 غيره (قوله صمدا) يقصد في الخواص من صمده يصمده صمدا أي قصده (قوله والبقاء) فانه الباقي
 بذاته (قوله فلا يضاويه) أي يشابهه (قوله المصطفى) أي المختار (قوله جرائيم) جمع جرثومة

واستن بسنته (وبعد) فاني لم أزل أتوقع العثور بمؤلف جامع من الأصول الدينية ما يحتاج اليه كل واقف ضابط لأمهات مسائل الخلاف في المقاصد والمواقف فلم أرا ما في أيدي الناس من كتب العقائد وقد شحنت بأصول الفلاسفة فلا تغيد الا الشك والالباس وكنت أود أن لو كانت لي طاقة على عمل ما أئين فيه الحال بتحقيق دين الله بأوضح قال آتيامن الدلائل الصحيحة والبراهين الصريحة من الكتاب والسنة وأقوال سلف هذه الأمة ثم أنظر فاجدها كالة عن مثل تلك المطالب العالية عاجزة عن أداءها تيك المآرب القاصية العالية وكم من مرة أشجع النفس فتصدتني قلة البضاعة ويثبطني علمي بالي ذوجهل في هذه الصناعة وأدير فكري فأرى الناس قد ارتبكت عقائدهم بشبه فلسفية كدحوابها أذهانهم وأشغلوا فيها أنفسهم ليلهم ونهارهم وجميع ذلك من تليس ابليس وما ألقاه عليهم من القويه والتدليس فترى أحدهم اذا سمع بشئ من علوم الكتاب والسنة ولى مدبرا كأن في أذنيه وقرا واذا قرئ عليه ما ترجمه الفلاسفة اخوان الشياطين في ضلالاتهم من بيان العقول والنفوس وأمثال هذه الترهات التي ما أنزل الله بها

(قوله العثور) أى الاطلاع (قوله في المقاصد والمواقف) اشارة الى اسم كتابين في علم الكلام (قوله العقائد) ما يقصده الاعتقاد دون العمل فان الاحكام المأخوذة من الشرع قسمان أحدهما ما يقصده بنفس الاعتقاد كعلمك بان الله تعالى عالم قادر بصير وهذه تسمى اعتقادية وأصلية وعقائد علم الكلام لحفظها والثاني ما يقصده العمل كعلمك بان الصوم واجب والزكاة فريضة وهذه تسمى عملية وفرعية (قوله شحنت) أى ملئت (قوله الشك) أى خلاف اليقين (قوله والالباس) أى التغطية (قوله أود) أى أحب (قوله قدرة) أى طاقة (قوله الدلائل) جمع دليل وهو لغة المرشد واصطلاحا التوصل بصحيح العقل الى علم أو ظن تقليا كان وهو الكتاب والسنة والاجماع والقياس أو عقليا كالبرهان (قوله والبراهين) جمع برهان وهو لغة الحجة مطلقا واصطلاحا قضايامتي سامت لزم عنها قول آخر كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث ينشج العالم حادث (قوله سلف) بفتحين أى متقدمها وهم أهل القرون الثلاثة الذين شهد النبي صلى الله عليه وسلم بانهم خير القرون (قوله العالية) أى المرتفعة (قوله القاصية) أى البعيدة (قوله العالية) ضد الرخيصة (قوله ويثبطني) أى يعوقني يقال ثبطه عن الامر أى عوقه (قوله ارتبكت) أى اختلطت واشتبكت (قوله كدحوا) أى خدشوا (قوله أذهانهم) جمع ذهن وهو الفطنة (قوله تليس) أى تخليط وتدليس (قوله وقرا) أى ينعبد أن يسمع شيئا من علومهما والوقر ثقل في الأذن أو ذهاب السمع (قوله الشياطين) جمع شيطان وهو كل غاة متفرد من انس أو جان (قوله الترهات) بضم الفوقية وتشديد الراء جمع

من سلطان أقبل عليها مستبصر اعلنا وسرا فكانهم أمروا باتباع سنة أفلاطون وماله من الأوهام والظنون فهذا ما حداني على عمل هذا المؤلف مع ما أنا عليه متوكلا على الله سبحانه راجيا منه الاعانة عليه قل حسبي الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقدرت به على مقدمة وخمسة عشر بابا وخاتمة

﴿المقدمة في بيان أخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بغربة الدين والحث

على الفرار من الفتنة فيه وأنه يحصل الاختلاف الشديد في أمته فخرّض

صلى الله عليه وسلم على اتباع سنته ولزوم طريق صحابته﴾

قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وأعظم الفتن الفتنة في الدين ألا وإن ابليس اللعين قد وقف للناس في مرأصدهم يصدّهم عن الهدى باغوائهم فتى أغواهم وزاغت عقائدهم التي هي مبنى الدين وأساس ملة المسالمين علم أن لا ينفعهم عمل كثيرا وقل اللهم إلا أن يلفظ

ترهة وهي الأباطيل (قوله من سلطان) أي من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها (قوله مستبصرا) متأملا ومستبيننا (قوله علنا) أي جهرا (قوله وسرا) السرا واحد الاسرار وهو الذي يكتم من الغير (قوله سنته) أي طريقته (قوله الأوهام) جمع وهم وهو من جملة الأشياء غير اليقينية (قوله حداني) أي ساقني (قوله فتنة) الفتنة المحنة التي يفتن بها الإنسان (قوله خاصة) بل يعم شرها كإقرار المنكرين بظهوركم والمداهنة في الأمر بالمعروف وإفتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل عن الاقتتال في الجهاد وغير ذلك من سائر البدع المحدثّة المردودة (قوله الدين) هو وضع الهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم الحمود الى ما يصلحهم (قوله ألا) هي حرف استفتاح والقصد اعلام السامع بان ما بعده مما ينبغي ان يصغى اليه ويفهمه ويعمل به لعظم موقعه (قوله اللعين) أي الطريق (قوله في مرأصدهم) المرصاد الطريق والمكان يرصد فيه العدو (قوله الهدى) في الأصل الهدى مصدر كالتقى والسرى فليل هو الدلالة وقيل هو الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلال في قوله تعالى وانك لعلى هدى أو في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطاوب (قوله باغوائهم) أي اضلالهم كما ذكره الله تعالى في قوله فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا ينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ثم لا تجد أكثرهم شاكرين وقد وصى ابليس بنيه باغوائهم وبأن يقعدوا لهم كل مرصد (قوله زاغت) أي مالت (قوله عقائدهم) وهي ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل (قوله اساس) أي أصل (قوله ملة) هي مآملا الله على لسان نبيه لعباده من الأحكام (قوله لا ينفعهم عمل الح) لدخولهم في عداد الكفار والمبتدعين الضالين (قوله يالطف) اللطف بالضم من الله

الله تعالى بهداية عبده الى سبيل المسامحين وتوفيقه للتوبة الصحيحة التي من الله بها على
 المذنبين وأكبر الظلم الشرك الاكبر فان متعاطيه ظالم لنفسه بتعديه ما يطلب منه من اخلاص
 عبوديته خالق الذي أوجده من العدم وأظهره سويًا من بعد السكتم فاذا أشرك فقد ظلم نفسه
 بتعديه ما هو واجب عليه ولما كان الظلم لغة وضع الشيء في غير محله قيل له انه ظالم غير موفٍ للحقوق
 الواجبة عليه لربه بمعنى انه عامله بما لا يليق به سبحانه من اخلاص عبادته وافراده في معاملته
 بأشراكه معه غيره من خلقه المساوية في خلقه اذ اعلمت هذا وعلمت ان الفتنة الواقعة بعد الأمر
 باتقائها وتجنبها من أعظم فتنة واقعة في الدين وقد أخبر الله سبحانه انها لا تخص الظالم يتبين لك ان
 من والى الظالمين باى نوع من أنواع الموالاة متعرض للبوار وان هو المقصود بهذا الانذار كما قال
 سبحانه ولا تركزوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقال سبحانه
 ما فرطنا في الكتاب من شيء فأتى تبارك وتعالى بهذا الاستفهام الانكارى تعليمًا لعباده فانه قد بين لنا
 قواعد الدين وأكملها فقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم
 الاسلام دينًا والحق هو الثابت الموافق لما في نفس الأمر من حق الشيء اذ ثبت فاذا كان الله سبحانه
 قد أكمل لنا الدين بما أنزله في كتابه العربى المبين وعلى لسان نبيه امام

التوفيق والهداية (قوله للتوبة) هي في اللغة الرجوع وفي الاصطلاح الندم على ما كان من حيث
 المعصية مع عدم الرجوع اليها (قوله من) أى أنعم (قوله على المذنبين) فان المذنب يرجى له
 بعد التوبة الصحيحة ان يكون عند الله من المقبولين (قوله قيل له) أى لمتعاطى الشرك (قوله
 سبحانه) سبحانه مصدر بمعنى التسبيح لازم للنصب والاضافة الى مفرد ظاهر أو مضمّر (قوله
 لا تخص الظالم) بل نعمه وغيره (قوله للبوار) أى اهلك (قوله ولا تركزوا الخ) أى لا تملأوا
 أدنى ميل فان الركون هو الميل السير فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من
 وجد منه ما يسمى ضامًا فاطنك بالركون الى الظالمين أى الموسومين بالظلم بالميل اليهم كل الميل ثم
 بالظلم نفسه والانهمالك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهى عن الظلم والتبديد عليه (قوله فماذا
 الخ) أى ليس بعد الحق الا الضلال فن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فأتى به (قوله
 ما فرطنا) التفريط التقصير (قوله قواعد) جمع قاعدة وهي قضية كلية يتعرف بها أحكام جزئياتها
 نحو العلم ثابت لله تعالى (قوله أكملت لكم دينكم) أى بالنصر والظهار على الاديان كلها أو
 بالتخصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانينها الاجترادية (قوله وأتممت
 عليكم نعمتى) أى بالهداية والتوفيق أو باكمال الدين (قوله ورضيت لكم الاسلام دينًا) من
 الاديان وهو الدين الاسلامى لا غير قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام (قوله امام) من أمك

المتقين مما بلغ من الأحكام وشرعه لنا من حلال وحرام فمن اتبع غير سبيل المؤمنين فهو الخاطئ
بالوعيد الثابت في كلام رب العالمين ويؤيد ذلك قوله سبحانه في الآية الأخرى ما فرطنا في الكتاب
من شيء والتفريط التقصير فقد نفى سبحانه التقصير فيما شرع عن كتابه العزيز الذي هو متن السنة فله
الحمد تبارك وتعالى والمنة ومن نظر بعين بصيرته وأمعن الفكر في طريق الاتباع وحقيقته فحاد
وابتدع وللهوى والاطماع اتبع كان كحاطب ليل أو متحير يدعو على نفسه بالشبور والويل
وقد نهى الله سبحانه عن اتباع غير سبيل المؤمنين وأمر بالاتباع سبيله وما شرع من الدين القويم
فقال عز من قائل وإن هذا صراطي مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فحث
سبحانه على اتباع سبيله الذي هو الكتاب والسنة حثا مفرنا بالنهي عن اتباع السبل مبينا بأن ذلك
سبب للتفرق ولذلك ترى المسلمين قد لزموا سبيلا واحداً أمر وأمسأوه وقد أرشدهم الله تعالى
إلى طلب الهداية إليه في كل صلاة بقوله تبارك وتعالى

أى صار أمامك أى قدامك وهو المقتدى به والمتبع (قوله المتقين) جمع متق وهو الحافظ لحدود الله
المؤتمر بأوامره والمنتهى بنواهيه (قوله الأحكام) جمع حكم وهو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف
من حيث هو مكلف (قوله من حلال) يتناول الواجب والمندوب والمباح والمكروه وخلاف الأولى
(قوله وحرام) يتناول الحرام لذاته كالزنى والحرام لغيره كالصلاة في الأرض المغصوبة (قوله بالوعيد
الح) كما قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله
ما تولى ونصه جهنم وساءت مصيرا (قوله عن كتابه) فإنه قد دون فيه ما يحتاج إليه من الدين مجلداً
ومفصلاً (قوله الفكر) هو حركة النفس في المعقولات وأما حركاتها في المحسوسات فتسمى تحيلاً
(قوله فحاد) أى مال (قوله والاطماع) جمع طمع وهو ذل يفسأ عن الحرص على الدنيا (قوله
كحاطب ليل) أى كمن يجمع الخطب بالليل فلا يميز بين الرطب واليابس والضار والنافع (قوله متحير)
أى متردد (قوله الشبور) أى الهلاك (قوله والويل) أى حاول الشر (قوله وإن هذا الح) الآية في
الانعام والاشارة فيه إلى ما ذكر في السورة قائمها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
(قوله مستقيماً) لا عوج فيه (قوله السبل) أى الأديان المختلفة والطرق التابعة للهوى فإن
مقتضى الحاجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لا اختلاف الطبائع والعادات (قوله عن سبيله) الذى
هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان (قوله سبيلاً) أى طريقاً (قوله بسأوه) بدخوله (قوله
أرشدهم) أى هداهم (قوله الهداية) هى الدلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وأما قوله تعالى
فاهدوهم إلى صراط الجحيم فعلى التهكم قال القاضى البيضاوى وهداية الله تعالى تنوع أنواعاً لا يحصى
عدها لكنها تنحصر في أجناس مترتبة الأول أفاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتمام إلى مصالحه

اهدانا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم قال بعض السلف أنعم عليهم باتباع السنة وأما أهل البدع والاهواء فقد افترقوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة كل حزب بما لديهم فرحون وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ثم قال هداً سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وخطوطاً عن شماله وقال هذه السبل المتفرقة وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو ثم قرأ هذه الآية حتى بلغ تتقون وقال تعالى فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول أي إلى الكتاب والسنة فأمر سبحانه برد الأمر حالة النزاع إلى كتابه العزيز وإلى سنة نبيه في حالة الوفاق أولى وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فقد جعل سبحانه شرط اتباعه محبتنا إياه فإن وجدت المحبة وجد الاتباع وإن عدمت عدم فالاتباع مترتب على الحب ومشروط به فعلى قدره ضعفه وقوة ووجوده أو عدمه ما يتقدرو به غير الحب يتعدرو وكيف لا وينبناصلى الله عليه وسلم هو المبلغ للكتاب

كالقوة العقلية والمصالح الباطنة والمساخر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد واليه أشار حيث قال وهدينا للنجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب وإياها عني بقوله تعالى وجعلناهم أمّة يهتدون بأمرنا وقوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف عن قلوبهم الستائر ويريهـم الأشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا أقسم يختص بنبيه الانبياء والاولياء وإياهم عني بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهـدّهم سبلنا فالمطوب أما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه انتهى (قوله الصراط المستقيم) أي الطريق المستوي والمراد به طريق الخير الموصل إلى ملة الاسلام (قوله حزب) أي طائفة وقوله بما لديهم أي من الدين وقوله فرحون محبون معتقدون انهم على الحق (قوله شيطان) فعلاّن إذا كان من شاط بمعنى احترق أو فـيـعـال إذا كان من شطن بمعنى هلك (قوله تتقون) الحديث رواه الدارمي (قوله في شئ) أي من أمور الدين (قوله فردوه) أي فارجعوا فيه (قوله قل) يا محمد وقوله إن كنتم أيها الساجدون للصنم تزعمونه حبالة وأنه الباعث عليه وقيل خطاب لنصارى نجران لما زعموا أنهم يعبدون المسيح حبالة وقوله فاتبعوني فيما جئت به ومنه سنته وقوله يحببكم أي يرض عنكم ويشبكم وفك الادغام لغة أهل الحجاز وجرم يحببكم لانه جواب الامر وقوله ويغفر لكم زيادة على المحبة والمراد يحصل لكم فوق مطلوبكم كما قيل

ليس الشأن أن تحب * وإنما الشأن أن تحب

(قوله يتعدرو) ولم يستقم (قوله المبلغ) الموصل

الناطق بالحق والصواب كما قال عز من قائل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقال تعالى وانك لن تهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر فاذا الواجب علينا معاشر المساهين اتباعه فى جميع أقواله وأفعاله والتأسي به فى سائر أحواله وان اقتد بما كان عليه أصحابه فانهم المبلغون عنه صلى الله عليه وسلم وأحبابه قال تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما أخبر رجلا ترك سبيل السنة الشارحة للكتاب واستبدل العذب بالعذاب فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ولا تحصل طاعته صلى الله عليه وسلم الا بامتثال أمره وحاوله وممره وقبول المأمور لأمره بان شراح صدره قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فمن تأمل فى معانى هذه الآية الشريفة وما تضمنته من التأكيدات والتهديدات المنبئ عنها تكرر النفي لايمانهم ان لم يعملوا بها طأطأ رأسه وحاسب نفسه خاضعا لرب العباد مستعينا بمالك الامر

(قوله الناطق بالحق) أى الذى ينطق به (قوله الا إلخ) أى الا وحى يوحى اليه الله (قوله الى صراط إلخ) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (قوله اسوة) أى قدوة (قوله يرجو الله) أى ثوابه واحسانه وقوله واليوم الآخر لما فيه من رفع الدرجات بحسن العمل فيرجو نعيمه أو يخاف عذابه (قوله والتأسي) الاقتداء (قوله فخذوه) أى فتمسكوا به لان اطاعته من اطاعته به وقوله فانتهوا أى عنه (قوله العذب) هو كل مستساغ من الطعام والشراب (قوله بالعذاب) المؤلم أى اتخذ به لا (قوله يخالفون عن أمره) أى يخالفون أمره بترك حكمه (قوله أو يصيبهم إلخ) أى فى الآخرة (قوله فلا وربك) أى ليس الامر كما زعموا انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك لا يؤمنون ايمانا معتد به حتى يحكموك أى يجعلوك حكما فيما شجر اختلاف بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ضيقا وشكاما قضيت عليهم وما صدر به أو موصول اسمى والعائد ضمير منصوب محذوف أى يرضون بقضائك ولا تضيق صدورهم من حكمك ويسلموا تسليما أى ينقادوا لامر الرسول انقياداً والآية نزلت حين خاصم الزبير رجلا ففضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث أو حين اختصم رجلان يهودى ومنافق ففضى بينهما رسول الله فقال المنافق المفضى عايه ردنا لعمر فاما أتياه قال مكانكما فجاء بالسيف وقتل من لم يرض بحكم الرسول فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أظن ان عمر يجترى على قتل مؤمن فتلا عمر الآية قبل نزولها فنزلت وهذا أحد موافقات عمر رضى الله عنه للقرآن (قوله المنبئ) الخبر (قوله طأطأ رأسه) خفضه (قوله خاضعا) متواضعا (قوله الامر)

في يوم التناد وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فعليه ما حل وعليكم ما حاتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين) فقد اشتملت هذه الآية الشريفة على دقائق المعاني منها تكرير الفعل وسره الدلالة على ان ما يامر به رسوله صلى الله عليه وسلم تجب طاعته فيه وان لم يكن ما موراه بعينه في القرآن فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونة بامر سبحانه فهو اذا مستقل بالطاعة كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يوشك رجل سبعان متسكى على أريكته ياتيه الامر من أمرى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من شيء اتبعناه ألا واني أوتيت الكتاب ومثله معه ومنها ان قوله تولوا يحذف التاءين أراد به من يقع عليه الخطاب من عباده والمعنى انه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها وحمل طاعته والا نقياد له والتسليم كما ذكره البخاري في صحيحه عن الزهري فان تطيعوه فهو حظكم وسعادتكم وان لم تطيعوه فقد أذى ما حل وما عليه الا البلاغ وحكي الشافعي اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ان من استبان له سنة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها القول أحد وهو كلام حق لا يستتراب فيه وكيف تترك نصوص الشارع ويؤخذ بقوال غيره ممن يجوز عليه الخطأ فان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم وقد نقل ابن القيم وناهيك بجلالته واتساعه في معرفة علوم الكتاب والسنة عن قتادة قال كلمتان يسئل عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين وفقنا الله للتمسك بحبل الله المتين باتباع سنة نبيه سيد المرسلين والآيات في هذا الباب كثيرة جدا وأما الاحاديث النبوية في ذلك فمنها ما رواه يحيى السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في مصابحه الذي قسمه الى صحاح وأرادهما رواه الشيخان

أى الشان (قوله يوم التناد) يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والنبور وينادى أصحاب الجنة أصحاب النار (قوله فاعلموا عليه) أى على الرسول وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ما حل من التبليغ وقوله وعليكم ما حاتم من الامتثال الى حكمه وقوله وان تطيعوه أى فى حكمه وقوله تهتدوا أى الى الحق وقوله الا البلاغ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وانما بقى ما حاتم قان أدبتم فلكم وان توليتم فعليكم (قوله يوشك) أى يقرب (قوله أريكته) الاركة كما فى النهاية السرير وقيل هى كل ما تسكنى عليه من سرير أو فراش أو منصة (قوله حظكم) أى نصيبكم (قوله لا يستراب) لا يشك (قوله وناهيك) فى القاموس نهيك من رجل وناهيك منه ونهاك منه بمعنى حسب (قوله ماذا كنتم الخ) كما قال تعالى ويوم يناديهم أين شركائى الذين كنتم تعبدون وقوله ماذا أجبتم الخ كما قال تعالى ويوم يناديهم فبقول ماذا أجبتم المرسلين فانه تعالى يسأل أولاهن اشرا كههم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (قوله سيد المرسلين) فيه استعمال

البخارى ومسلم والى حسان وأراد بهما رواه أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذى وغيرهما من الأئمة الجهابذة النقاد فى صحاحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ويوشك بكسر الشين مضارع أوشك من الأفعال التى تفيد مقاربة الفعل والشعف جمع شعفة وهى رأس الجبل ومواقع القطر مواضع وقوع القطر والمراد الصحارى والجبال فقد أخبر صلى الله عليه وسلم وأفاد أن خير مال المسلم ما يعينه على دينه وإن المسلم لا همه له إذا رأى الفتن التى يكون أعظمها فى الدين إلا الفرار بدينه حرصا عليه وخوفا من الفتنة فيه وروى البخارى فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت يا رسول الله أنا كفى جاهلية وشر فإنا لله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يستنون بغير سننى ويهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكرات فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم

السيد فى غير الله تعالى والصحيح جوازہ وفى المقتفى لناصر الدين بن المنير فى ذلك ثلاثة أقوال جواز اطلاقه على الله وعلى غيره وامتناع اطلاقه على الله تعالى وامتناع اطلاقه على غير الله متسكبا بما روى من أنه صلى الله عليه وسلم قالوا له يا سيدنا قال السيد هو الله والصحيح هو الأول ويشهد له من السكاب قوله وسيد أو حصور أو قوله تعالى وألفيا سيدا لى الباب ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا خفر وقوله فى الحديث الآتى فى باب الشفاعة أنا سيد الناس يوم القيامة ولكن هذا فى مقام الاخبار عن نفسه برتبته ليعتقد أنه كذلك وأما فى ذكره والصلاة عليه فقد علمهم الصلاة على سألوه عن كيفية بقوله قولوا اللهم صل على محمد الخ ولم يذكر لفظ السيد وقوله فى الحسن بن على رضى الله عنهما أن ابنى هذا سيد وقوله قوموا الى سيدكم ونقل النووى فى الأذكار عن النحاس جواز اطلاقه الآن يعرف بأل ثم قال والأظهر جوازہ بالألف واللام لغير الله والسيد قال النووى يطلق على الذى يفوق قومه ويرتفع قدره عليهم وعلى الخليم الذى لا يستغزه أى يحركه غضبه وعلى الكريم وعلى الملك (قوله الجهابذة) جمع جهابذة بكسر النقاد الخير (قوله غنم) خص الغنم بالذكور لضعفها وتواضع صاحبها غالبا (قوله يفر الخ) حال أو استئناف وفيه ندى العزلة عند ظهور الفتن هذا إذا خشى على دينه وأما إذا لم يخش فالحالطة أولى لحضور الجمعة والجماعة (قوله مضارع أوشك) بفتحها (قوله شعفة) بالتحريك (قوله الصحارى) جمع صحراء الفضاء الواسع لآيات به (قوله فاعتزل) أى فتنح (قوله باقتفائه) أى باتباعه (قوله والسمت) هو السيرة

اليها قد فوه فيها قات يارسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فما امرني ان أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك في الله من حديث اشعث على علوم أخبر بها الصادق الأمين وأبان عن فوائد جملة تفيد العلم اليقين منها حرص الصحابة على تعلم ما يستقيم به دينهم المتين ومنها ان أول خير يقع في أمته فيه كدوره تذهب بصفاته وتغيير يغاير ما أمروا باقتفائه بسبب عدم استئنائهم ببعض السنة وهي ماسنه النبي صلى الله عليه وسلم وعدم هديهم بهديه والهدى الطريقة والسمت ولما كان الايمان وفعل الخيرات ثابتا منهم الا أنهم خالفوه ببعض سنته التي أمروا بالاتباع جميعها كان خيرا وفيه دخن ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم تعرف منهم وتسكر أي ترى منهم المعروف والمنكر ومنها انه يكون بعد ذلك دعاة على أبواب جهنم والدعاة جمع داع وهو من يدعو غيره والمراد انه يظهر جماعة من أهل الضلالة يدعون الناس الى الشرف فكان من أجابهم قد فوه في النار والظاهر انهم رؤساء تسمع أقوالهم وتبوع أفعالهم اذا دعيت ذلك فليس العجب من قوم جهال متبعين لاهوائهم ماشين في ظلمات جهلهم وضلالهم وانما العجب من قوم يدعون العلم والصالح ويزعمون انهم على منهج الفلاح وقد صاروا أئمة الضلال للعوام واقتدى بهم الخاص والعام ولقد صدق عليهم قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم الآية ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر من أدرك ذلك الزمان أن يلزم جماعة المسلمين وامامهم وهم الذين اتبعوا سنته ولازموا طريقته فان لم يكن لهم جماعة وكانوا غرباء وذلك عند غربة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم بد الاسلام غريبا

(قوله قد فوه) أي رموه (قوله أئمة) جمع امام وهو المقتدى به والتبوع (قوله واقتدى بهم الخ) وهم كذابون كماروي أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ياتونكم من الأحاديث بما لم نسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم ولقد بين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث انهم يتزيون بزي العلماء ويقولون نحن علماء نعلمكم دينكم ونرشدكم الى الحق وهم كذابون يحدثونكم بالأحاديث الكاذبة ويعلمونكم اعتقادات فاسدة ويبتدعون أحكاما في الملة فاحذروا منهم ولا تقر بوجههم كيلا يضلوكم (قوله اتخذ الهه هواه) بان أطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع نجة ولا يتبصر دليلا بل ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبد (قوله الآية) وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة فن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (قوله كما قال) الحديث رواه الترمذي (قوله بدا الاسلام غريبا) لسبق الكفر عليه وتمكن الكفرة منه

وسيعود غريبا فطوبى للغرباء فالواجب عليهم العزلة عن تلك الفرق كلها ثم حرض على هذا الاعتزال الذي فيه سلامة الدين بقوله على سبيل المبالغة ولو ان بعض باصل شجرة حتى ياتيك الموت وأنت على هذا العمل معرض عن كل ما يفسد عليك دينك الذي هو رأس مالك صابر على تلك المعاطب والمهالك ولولا الاسهاب لو سعت الباب وفيما ذكرت كفاية لدوى الالباب والله الملمهم للصواب وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن العرابي بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع

(قوله وسيعود غريبا) أي لغلبة الجهالة وكثرة الضلالة (قوله فطوبى للغرباء) وفي رواية مسلم عن أبي هريرة أن الدين بدأ غريبا بالحديث فقوله بدأ بألمزة يعني الاسلام كان كالغريب في الزمان الأول ولم يكن يقبله الا القليل أو المراد أن أهل الدين في الأول كانوا غرابا ينكرهم الناس ولا يتخالطوهم وكان حالهم مع أقاربهم أسوأ من حالهم مع الغراباء فسيكون كذلك في الآخر وطوبى مصدر طاب اسم شجرة في الجنة يعني كون أهل الدين غرباء ليس منقصة عليهم بل هو سبب لعزتهم في الآخرة وقد جاء تفسيرهم في حديث آخر أنهم النزاع من القبائل يعني أنهم الذين كانوا قلة لا يلايوا يوجد في قبيلة منهم الا الواحد أو الاثنان بل لا يوجد واحد منهم في القبائل والبلدان كما كان كذلك في ابتداء ظهور الاسلام وفي حديث آخر أنهم الذين يصلحون اذا فسد الناس يعني أنهم قوم صالحون عاملون بالكتاب والسنة في زمان فساد الناس (قوله العزلة) بالضم الاعتزال (قوله صابر) غير جازع (قوله المعاطب) الدواهي (قوله والمهالك) جمع مهلكة المفازة (قوله الاسهاب) أي الكلام الكثير يقال أسهب الرجل اذا أكثر الكلام فهو مسهب (قوله لدوى الالباب) أي العقول الكاملة (قوله العرابي) بكسر الميم الأولى وسكون الثانية بعده موحدة وآخره ضاد معجمة ابن سارية بهمزة بينهما ألف وبعد الثانية تحتية (قوله موعظة) من الوعظ وهو النصيح والتذكير بالعواقب وفيه ينبغي للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم ويخوفهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ولا يقتصر بهم على مجرد معرفة الاحكام والحدود والرسوم وانه ينبغي المبالغة في الموعظة لترق القلوب فتكون أسرع الى الاجابة (قوله وجلت) بكسر الجيم خافت (قوله وذرفت) بالذال المعجمة وفتح الراء من باب ضرب أي سالت وقوله منها العيون أي دموعها لما تأثر القلب بظهور ذلك في العين فخرى الدمع (قوله موعظة مودع) كان رجه فهمهم لذلك مزيد مبالغة صلى الله عليه وسلم في تخويفهم وتذكيرهم على ما كانوا يلقونه قبل ذلك لقرب وفاته ومفارقة لهم فان المودع يستقصي بما لا يستقصي غيره في القول والفعل وفيه جواز تحكيم القرائن والاعتماد عليهم في بعض الأحوال لانهم انما فهموا توديعه

فاوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وأنه من يعش منكم فسيرى
 اختلافا كثيرا فاعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور
 فإن كل بدعة ضلالة فقد أوصانا صلى الله عليه وسلم بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين الذين هم على
 طريقته وحرض على ذلك بقوله عضوا عليها بالنواجذ المراد به المسك بجميع الفم إشارة إلى غاية
 التمسك والنواجذ قيل هي الأضراس وقيل الأنياب وقيل هي آخر الأضراس والعض المسك
 بجميع الفم وأما التمسك فانه المسك بمقدم الاسنان فكانه قال صلى الله عليه وسلم اجتهدوا على السنة
 والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلقه وروى الطبراني
 في الكبير بأسناد جيد عن شريح الخزاعي قال خرج عاينار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 أليس تشهدون أن لا اله الا الله وأنى رسول الله قلوا بلى قال ان هذا القرآن طرفه يبد الله وطرفه
 بأيديكم

ايهم بقرينة ابلاغه في الموعظة أكثر من العادة كما تقرر (قوله فاوصنا) أى وصية جامعة كافية
 فانهم لما فهموا انه مودع استوصوه وصية تنفعهم ويتمسك بها بعده ويكون فيها كفاية ان
 يستمسك بها وسعادته في الدارين ويؤخذ منه انه ينبغي لتلامذة العالم ان يسألوا في مزيد وعظهم
 وتخويفهم ونصحهم (قوله بتقوى الله) أى بامتثال أوامر واجتناب نواهيه (قوله والسمع
 والطاعة) لولا الامر في غير معاصي الله تعالى (قوله عبد) بان يكون ولي عملا لادم أو تغلب
 على الامامة بشوكة فتتبعه بيعة وتنفذ أحكامه (قوله وانه) الضمير للشان (قوله فسيرى
 اختلافا كثيرا) لانه لا يزداد الامر بعده صلى الله عليه وسلم الا شدة لغلبة الجهل وكثرة الهرج وقوة
 الضلالة (قوله فاعليكم) فالزموا وقوله بسنتي الباء مزيدة في المفعول أو استمسكوا بها فالباء
 للتعدية (قوله بسنتي) أى طريقتي وسيرتي القويمة التي انا عليها مما أصلته لكم من الاحكام
 الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وغيرهما (قوله وسنة الخلفاء الخ) أى طريقتهم فهم أبو
 بكر فعمر فعثمان فعلى فالحسن رضی الله عنهم (قوله عضوا) بفتح المهملة (قوله النواجذ)
 جمع ناجذ بالمجمة (قوله محدثات الأمور) التي لا يشهد لصحتها أصول الشريعة (قوله بدعة)
 هي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع وسيأتي تحقيقه
 (قوله ضلالة) لان الحق ما جاء به الشرع فلا يرجع اليه يكون ضلالة اذ ليس بعد الحق الا الضلال
 (قوله على طريقته) أى من بعده (قوله فانه المسك بمقدم الاسنان) فهو ما يحاز بليغ اذ فيه
 تشبيه المعقول بالمحسوس وكناية عن شدة التمسك بالشدة والجد في لزومه (قوله ان هذا القرآن)
 الموجود في الاذهان والمحفوظ في الصدور والمرسوم في السطور والمقروء باللسنة (قوله بأيديكم)

فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا وكذلك رواد الطبراني في الصغير والبراز عن جابر
ابن مطعم وروى الطبراني أيضا والبيهقي من رواية الحسن بن قتيبة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد وروى البخاري ومسلم وغيرهما
عن عابس بن ربيعة قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر يعني الاسود ويقول اني
لأعلم انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك وروى
البراز موقوفا ومر فوعا من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن شافع مشفع
من اتبعه قاده الى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه أو كلمة نحوها زخ في قفاه الى النار وروى الحاکم عنه
صلى الله عليه وسلم انه خطب الناس في حجة الوداع قال ان الشيطان ألدئس أن يعبد بارضكم ولكن
رضي ان يطلع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم
به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه فقلوه في الحديث السابق من تركه الى آخرها شك من الراوى
في اللفظ وقوله زخ بالزاي والخاء المجمعين أى دفع وفي كل ما تقدم من الأحاديث الصحيحة حث على
اتباع الكتاب والسنة فانهم الامان اللذان أمرنا بالافتداء بهما والداعيان الى سبيل الله فاشدد
بيديك عليهما ولا تنظر الى ما ابتدعه أهل الأهواء فانه من أضر الادواء وستأتيك تفاصيل البدع
بانواعها وما ورد من النهي عنها في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى والأحاديث في ذلك كثيرة جدا فمن
تأملها وأمعن نظره فيما شرعه الله تعالى لنا مما تضمنه الكتاب وبينته السنة علم ان النبي صلى الله تعالى

لكونه ينسبكم تعبدون به تلاوة وامتثالاً لاوامره (قوله فتمسكوا به الخ) أى الزموه ودوروا
معه كيف دارو عاى ذلك على طريق الاستئناف البياني بقوله فانكم الخ (قوله ولن تهلكوا)
بكسر اللام فى الانصح هلا كما معنوا أو بالعذاب الاخرى (قوله بعده) أى بعد التمسك بل
هو يدفع عنكم العذاب ويجزل لكم الثواب ومن كان الكتاب خصياعنه فاحت محجته وظهرت
محجته (قوله بارضكم) أى أرض العرب وهى المسماة بجزيرة العرب كما روى عنه صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان يئس ان يعبد فى جزيرة العرب وقد اختلف فى تهديدها وأحسن ما قيل فى ذلك
انها فيما بين بحر القلزم وبحر عبادان فمن عبادان الى البحرين خمس عشرة مرحلة ومنه الى
عمان ومنه الى مهرة باليمن ومنها الى حضرموت ومنه الى عذيب وهما من اليمن ومنه الى
جدة كل ذلك مسافة شهر ومنه الى ساحل الجحفة خمس مراحل ومنها الى حاضرة المدينة ثلاث
مراحل ومنه الى ايلة عشرون مرحلة وكذلك منها الى بالس ومنه الى الكوفة ثلاثون مرحلة
ومنها الى البصرة اثنتا عشرة مرحلة ومنها الى عبادان مرحلتان فهذا هو الدور المحيط بجزيرة
العرب

عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلا كنهارها لا يحيد عنها الا من مرض قلبه وطاش في مهاوى الضلال ليه وأصل الاتباع المخرج عن الابتداع يحصل بمتابعة العبادات ولا يحصل كمال الاتباع الا بالاعتدائه في جميع حالاته سكونه وحركاته عباداته وعاداته وناسف الصالح من هذا الكمال المشرب الاصفى والحظ الوافر الا في اذنا الله تعالى خلاوة الاتباع ووقانا بفضل شر الفضول والابتداع آمين

الباب الاول في بيان الدليل على العلم بوجوده سبحانه ووجوب الايمان بوجوده وتوحيده وعلى توحيده فقط من غير وجوب هل هو العقل أو الشرع وحاصل ما قيل في ذلك مع بيان الدليل على وجه الاختصار

اعلم ان الدليل على وجوده تعالى باجماع العلماء وطباق العقلاء العقل دون الشرع لان ثبوت الشرع يتوقف على العلم بوجود الله تعالى وبنبوة الرسول فلو توقف العلم بهما أو باحدهما على الشرع لزم الدور المستلزم لغساد الدليل والمدلول ودلالة الشرع على وجوده سبحانه بعد ثبوته بدلالة العقل انما هو للتقوية والتأكد لان تعاضد العقل والشرع يفيد تأكيد الثبوت الموجب لزيادة الاستئناس وكال الاطمئنان ومثل ذلك ما اذا دل على الحكم بالكتاب فانه كاف في افادة الحكم فاذا تعاضدت معه السنة والاجماع والقياس ففي ذلك تمام الثبوت والتأكد للحكم الشرعي ويكون الدليل المثبت للحكم هو الكتاب والثلاثة الباقية معه لمجرد التقوية والتأكد من غير ارتياب واختلاف في الدليل على وجوب الايمان بوجوده وتوحيده فذهبت الاشاعة الى ان وجوب الايمان بذلك ثابت بالشرع دون العقل والمراد بالشرع ما شرعه الله تعالى لعباده وبينه لهم من الاحكام اما باعلام العباد هدايتهم بوحى كما حصل للانبياء والمرسلين أو بالهام هداية الملهم وحده كما في الحديثين وهم المصيبون فيما حدثوا الموافق حديثهم لما جاءت به الرسل وسموا بذلك لانهم حدثوا بالا م كما فسره صاحب الكشف الفائق والمحدث كما قيل نبي نفسه كما كان آدم نبي نفسه قبل خالق حواء وكذلك أصحاب الكهف وبذلك وردت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهذا الالهام الموافق للاصول الشرعية حجة في حق نفسه وليس بحجة على غيره وأما ورقة بن نوفل على ما تشهد به رواية البخارى فقد تدبر بشرع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وآمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومات قبل نزول الشرائع والاحكام واستدل الاشاعة على ذلك بقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا

(قوله على المحجة البيضاء ليلا كنهارها) المحجة الطريقة الى رضا الله تعالى التي أمر بها ويذب عاينها والبيضاء النسرة الواضحة لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة ليلا

يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ووجه الاستدلال ان هذه الآية دلت بمنطوقها على نفي الحجة على الله بعد ارسال الرسل و يفهم منها على ثبوت الحجة للناس على الله سبحانه قبل ارسال الرسل وذلك بان يقولوا ربنا ما نصبت انا دليلا نهتدى به الى وجوب الايمان و يلزم مفهوما على نفي كون العقل حجة بوجوب الايمان اذ لو كان العقل حجة ودليلا على وجوبه لما كان لهم أن يقولوا ذلك قبل ارسال الرسل لكون العقل حجة هادية الى وجوب الايمان فلا حجة لهم بما يعتدون به و بقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فانها تدل بمنطوقها على نفي وقوع العذاب على ترك الايمان قبل البعثة حيث لا عذاب على ترك الايمان قبل البعثة فلا وجوب للايمان بالعقل ونفي العذاب لازم لنفي الوجوب و بالتغاضي ينتفي المزوم و بقوله تعالى ولولا اهل سكا هم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت النار سولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى فهذه الآية تدل بمنطوقها على نفي الاهلاك بعذاب قبل البينة اذ الضمير المحرور في قوله تعالى من قبله عائدا الى البينة بتأويل الدليل وانما كان منطوقها ذلك لان لو انني لا تتفاء الثاني الذي هو الجزاء لا تتفاء الاول الذي هو الشرط فيكون انتفاء الجزاء المذكور في الآية وهو قوله تعالى لقالوا ربنا لولا ارسلت النار سولا لا تتفاء الشرط وهو الاهلاك بالعذاب قبل البينة ومن المعلوم ان انتفاء العذاب على ترك شيء قبل البينة يدل على انتفاء وجوب ذلك الشيء فيكون وجوب الايمان منتفيا قبل البعثة بناء على عدم لزوم العذاب على تركه و يلزم من ذلك عدم كون العقل حجة موجبة للايمان و بالجملة فقد ثبت بهذه الآيات المذكورة ان وجوب الايمان بالشرع لا بالعقل و ذهبت المنصورية أصحاب أبي منصور المتأثرين الى ان وجوب الايمان بذلك بالعقل لا بالشرع وانما يرد الشرع مؤيدا له بعد ثبوته بالعقل قالوا ولم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان ثبوت الشرع يتوقف على وجوب النظر في معجزات النبي ليؤدي ذلك الى تصديق النبي وهذا الوجوب لا يمكن ان يكون بالشرع والالزام الدور فيكون لا محالة بالعقل اذ لا موجب سواهما فاذا انتفى أحدهما تعين الآخر فبطل بذلك ما يدعيه الاشعرية من انه لا يجب بالعقل شيء لان الايجاب الجزئي يرفع السلب الكلي الى غير ذلك من دلائلهم وقد ارتضى هذا الدليل الامام الرازي حيث قال في تفسيره الكبير في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ما نصه

كمهارها ونهارها كليلها (قوله فيكون وجوب الايمان منتفيا) فان انتفاء الالزام يدل على انتفاء المزوم (قوله ويلزم من ذلك الخ) والامانفك وجوب العذاب عن ترك الايمان لا متناع انفسك الالزام عن المزوم (قوله أصحاب أبي منصور الخ) ويسمون بالمأثرية وهو الاشهر (قوله بذلك) أي بوجوده وبتوحيده (قوله لا محالة) لا بد (قوله هذا الدليل) الدال على وجوب الايمان بوجوده وبتوحيده بالعقل (قوله الرازي) مع انه من رؤساء الاشاعرة

لا يمكن نفي الوجوب العقلي بظواهر الآيات اذ لو نفيناها لزمنا نفي الوجوب الشرعي ونفي الوجوب الشرعي باطل فكذا ما يستلزمه ثم انه قد علم من قواعد الشرع ان القاطع العقلي لاسيما المؤيد بالدليل السمعي اذا عارض ظاهر الكتاب والسنة فهو قرينة صارفة عن العمل بالظاهر مانعة عن العمل بموجبه موجبة لجل الكتاب والسنة الى ما يوافق القاطع فينتد وجب صرف الآية الاولى النافية بل لازم مفهوما كون العقل حجة موجبة للايمان الى ما يوافق القاطع بانه حجة موجبة له وذلك انما يكون بصرفها عن الحقيقة الى المجاز اما في لفظ الحجة بان يراد بها الاحتجاج اطلاقا لمابه الاحتجاج على نفس الاحتجاج استعمالا للزوم في اللازم بمعنى الرديف والتابع على ما هو مصطلح اهل البيان لا بمعنى الممتنع الانفسكاك على ما هو مصطلح اهل المنطق ولا خفاء في ان الاحتجاج تابع ورديف لمابه الاحتجاج وحيث لا يكون ارسال الرسل لا فائدة اصل الحجة لدلالة القاطع على كون العقل حجة بل لا يوضح الحجة بحيث لا يبقى لهم مظنة ان يحتجوا دفع العذاب ويقولوا ربنا لو ارسلت الينا رسولا يوقظنا من سنة الغفلة عن الحجة الموجبة للايمان وهو العقل وتنبيهها لما يجب الانتباه له وان لم يكن لهم ذلك الاحتجاج في الحقيقة لثبوت الحجة عليهم وهو العقل الى غير ذلك من الدلائل التي حاصلها

(قوله اذ لو نفيناها) أى الوجوب العقلي (قوله وكذا ما يستلزمه) قال الرازي وأما الدليل السمعي المؤيد للدليل العقلي الدال على ان وجوب الايمان بالعقل لا بالشرع فهو قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل ان يأتهم عذاب أليم وجه الاستدلال ان الله تعالى خوفهم بنزول العذاب قبل ان يذنبوا والعذاب لا يكون الا عن ترك الواجب والموجب اما العقل واما الشرع وقد شرع للنذرين قبل الانذار فتبين ان يكون بالعقل اذ لا يحتمل غير ذلك فتكون هذه الآية نصا في الدلالة على ان وجوب الايمان بالعقل لا بالشرع (قوله لاسيما) السى بمعنى المثل يقال سيمان أى مثالا ومعنى لاسيما المثل وما زائدة أو موصولة أو موصوفة هذا أصله ثم استعمل بمعنى الشخصيص وقد تحذف لافى اللفظ لكنها مرادة وعدة النجاة من أدوات الاستثناء وتحقيقه انه للاستثناء عن الحكم المتقدم ليحكم عليه على وجه اتم بحكم من جنس الحكم السابق ويجوز فى الاسم الذى بعدها الجر والرفع مطلقا والنصب اذا كان نكرة (قوله تابع ورديف الخ) وليس بممتنع الانفسكاك عنه (قوله وتنبيهها) ايظا (قوله ثبوت الحجة عليهم الخ) واما في عموم ٧ نفي الحجة النكرة الواقعة في سياق النفي بان يراد منه اخصيص مجاز أى نفي الحجة فيما كان سبيل معرفته الشرع دون العقل كالعبادات والمعاملات لان نفي الحجة مطلقا فعنى الآية والله اعلم على الوجه الاول لئلا يكون للناس على الله احتجاج في ترك الايمان الواجب بالعقل بعد الرسل لا بداء الحجة بازالة الغفلة عنها وعلى الوجه الثانى الذى نقلناه لئلا يكون للناس على الله حجة في ترك العبادات

صرف الآيات عن ظاهرها إلى ما يوافق القاطع وقد أتى الإمام الرازي بتأويلات ما يخصها يؤل إلى ما ذكرناه موافقا لما عليه المنصوريه وإن كان من أساطين الاشعريه ولما قالوا إن الموجب للإيمان هو العقل ويرد الشرع مؤيد له قالوا من لم تبلغه الدعوة وصادف زمانا يتسكن فيه من الاستدلال ولم يستدل ولم يؤمن فهو كافر يخلد في النار واستظهر وأعلى ذلك بقوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها والشفا جانب الشيء مثل حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالعود على جازأ مشفين للوقوع فيها لو ماتوا على ما كانوا عليه ثم إن المنصورية اختلفوا في كيفية المراد من الوجوب العقلي فذهب المتكلمون منهم إلى أنه ليس المراد من وجوب الإيمان بالعقل الثواب على الاتيان والعقاب على تركه بل نوع ترجيح لأن الاعتراف بالصانع أولى من تركه إذا الاعتراف بما يقتضيه العقل يوجب نوع مدحة والامتناع عنه يوجب اللأئمة وأما في التوحيد فلا شك أنه أحرى من الشراك غيره معه وإنما أح آثار الضعف على هذا الكلام لنفيه الوجوب العقلي المستلزم لنفي الوجوب الشرعي عدل عنه فقهاؤهم فقالوا المراد بوجوب الإيمان بالعقل هو استحقاق الثواب على الاتيان بالإيمان واستحقاق العقاب على تركه الذي هو الكفر والعصيان والعلم بذلك الاستحقاق في باب الإيمان إنما يحصل بالعقل لا بمعنى أن العقل موجب لذلك الوجوب والاستحقاق كما تقوله المعتزلة بل بمعنى أن

بعد الرسل لا تيانهم الحجة الموجبة لها وهو الشرع وعلى الوجهين لا دلالة للآية على وجوب الإيمان بالشرع وعلى عدم وجوبه بالعقل وأما الآية الثانية فالمراد من قوله فيها معذبين موقعين العذاب مجازا لا موجبين العذاب بطريق ذكر المزموم وإرادة اللازم فإن وقوع الشيء رديف وتابع لذلك الشيء وعدم وقوع العذاب قبل البعثة لا ينافي الوجوب اللازم لترك الإيمان الواجب بالعقل إذا إخفاء في وجوب العذاب لعصاة المؤمنين وقد لا يقع بتحضر فضل الله رب العالمين أو بشعاعة الشافعين وكذا يجب صرف الآية الثالثة إلى ما يوافق القاطع وذلك إنما يكون بالتجاوز فيه بالحذف كافي وأسأل القرينة بأن يكون المراد من قبل البينة من قبل إيضاح البينة التي في العقل بأرسال الرسل اللهم إن عن سنة الغفلة عنها وقرينة المجاز في كل من ما عقلية غير أنها في وأسأل القرينة بديهية وههنا كسبية متوقفة على بيان الدليل العقلي القاطع بأن العقل بينة أي حجة موجبة للإيمان كما بينا (قوله وقد أتى الإمام الرازي إلخ) كما نقلنا ذلك عنه (قوله وإن كان إلخ) فإنه وافق الدليل ولم يعأ بمخالفة جماعته (قوله منها) الضمير للحفرة أو النار أو الشفا وتأنثه لتأنيث ما أضيف إليه أولانه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفه كالجانب والجماعة وأصلها شفو فقلت الواو ألفا في المذكر وحذفت في المؤنث (قوله فيها) أي في النار (قوله على ما كانوا عليه) من الكفر فأنقذهم منها بالاسلام (قوله مدحة) أي ما يمدح به (قوله اللأئمة) العدل

العقل كاشف عن وجوب الإيمان بإيجاب الله تعالى كما أن الشرع كاشف عن وجوب عمل الأركان بإيجاب الله تعالى ولا استحالة في اختصاص العقل بالكشف عن وجوب الإيمان بالله تعالى إياه بأنه لو لم يؤمن به لاستحق العقاب على سبيل الأجل لا على سبيل التفصيل من أنه بالنار أو بالمهرير وبالحيات والعقارب وغير ذلك مما وردت به السنة فإن معرفة تفاصيل العذاب متوقفة على الشرع وليكن وجوب الإيمان بالعقل غير متوقف على معرفة لزوم تفاصيل العذاب وإنما يتوقف على معرفة لزوم العذاب على الأجل ومعرفة هذا اللزوم غير متوقفة على الشرع لاستقلال العقل بمعرفته والذي يتفرع على هذا الخلاف هو أن من لم يعرف الصانع ولم يعترف به قبل البعثة فعند الإشاعة معذوره وعند متكلمي المنصورية أن لم يصادف من التمكن من الاستدلال ومات فهو معذور وإن صادف ولم يستدل ولم يعرف ولم يعترف فهو ملام على ترك التصديق والاعتراف وعند فقهاءهم كافر مخلص في النار هذا ما كان من بيان أقوال الفريقين في دليل وجوب الإيمان بوجوده وتوحيده * وأما الدليل على توحيده من غير وجوب الإيمان به فيجوز أن يكون العقل وإن يكون الشرع وأيهما كان سابقاً فقد ثبت الاستدلال به وأيهما كان لاحقاً كان مؤيداً فالسابق المسوق للاستدلال يكون متأيداً واللاحق المسوق لتأكيد يكون مؤيداً ولا يلزم في ثبوته بدليل الشرع الدور إذ الشرع إنما يتوقف على العلم بوجود الله تعالى لا على العلم بوحده إنيته وحاصل البحث أنه لا خلاف بين العقلاء في أن الدليل على وجوده تعالى هو العقل دون الشرع وإن الشرع يقع مؤيداً ويكون العقل متأيداً فقط وأما الدليل على توحيده تعالى فيجوز أن يكون العقل وإن يكون الشرع وأيهما كان متقدماً متأيداً بما بعده وكان ما بعده مؤيداً له وأما الدليل على وجوب الإيمان بوجوده سبحانه وبوحده إنيته فقد شرحنا الخلاف فيه وما يتفرع على ذلك من الخلاف وقد تبين لك ما استدلل به الفريقان وترامى عليه الجمعان ثم اعلم أن المحدثين المستبصرين في الدين لما رأوا الآيات وما ورد عن صاحب المعجزات مثل قوله تعالى وما تكلم معذنين حتى نبعث رسولاً الدال على نفى التعذيب قبل إرسال الرسل ومثل حكمه سبحانه وتعالى في آيات كثيرة على من سبب السوائب ووصل الوصيلة وحجى الحام بالكفر والضلال وأخباره صلى الله عليه وسلم عن كثير من أهل الفترة

(قوله بالمهرير) شدة البرد (قوله معذور) في ترك الأعمال والإيمان (قوله مخلص) باق دائماً (قوله مؤيداً) مقوياً (قوله لا على العلم بوحده إنيته) فلا دور (قوله السوائب الخ) سيأتي الكلام على السائبة والوصيلة والحام (قوله والضلال) هو العدول عن الطريق السوي عمداً أو خطأ والتفاوت بين أدناه وأقصاه كثير (قوله الفترة) هي ما بين نبينا صلى الله عليه وسلم ونبي الله عيسى صلى الله عليه وسلم وكان بينهما مائة سنة أو خمسمائة وتسع وستون سنة

بانهم من أهل النار كما لا يخفى على من سبر أقواله الشريفة وأحواله المنيفة وكما استأذن ربه في الاستغفار لا بويه فلم ياذن له واستأذنه في زيارة قبر أمه فاذن له وأذن لامته في زيارة القبور بعد أن حظرها عليهم كما صحت بكل ذلك الروايات وصح من تسميته لهم بالمشركين وجعله إياهم من الضالين وصح أيضا أخباره عن أناس معينين بانهم يبعثون أمة وحدهم كقس بن ساعدة وأمثاله ممن صحت فيهم الرواية بذلك قسموا أهل الفترة ثلاثة أقسام القسم الأول من استبصر ببصيرته فاعترف بوجود الله وتوحيده ولم يدرك دعوة نبينا بل بقي على أصل فطرته ونظر بعين بصيرته فلم يغير ولم يبدل فهو لاء افترقوا فمنهم من بقي على أصل التوحيد وما استفاض من أفراد الله تعالى في عبادته التي تطافرت على الأرسال به جميع الرسل ومنهم من اتبع من بقيت شريعته ولم تنسخ ملته كعبسي بن مسير فحكم هؤلاء ما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم من أنهم يبعثون أمة وحدهم وأما من غير وبدل فاحل وحرم وسبب السوائب ووصل الوصيلة واتبع دينا جديدا وأشرك بالله سبحانه فبعد غيره بما يستحسنه من أشجار وأحجار وأنبياء أو ملائكة أو أناس غيرهم ورأوا أن هذه العبادة تقر بهم إلى الله فهيؤلاء هم أهل النار المستحقون لآلیم العذاب والبوار فان الشريك قد استقر قبضه في جميع العقول من العالمين ولله الحجة البالغة ولو شاء هذا كم أجمعين والقسم الثالث من لم يغير ولم يبدل بل بقي على أصل جهالته إلا أنه لم يعترف بما فطر الله عليه العقول السليمة من الاعتراف بوجوده ووحدانيته فهذا الذي بسطنا فيه الاختلاف الواقع بين الفريقين من

(قوله سبر) اختر (قوله حظرها) منعها (قوله الروايات) أي الآتية في باب زيارة القبور (قوله الضالين) الجاهلین بالله تعالى (قوله أمة) قال في النهاية الأمة الرجل المنفرد بدين كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قاتل الله ويقال لكل جيل من الناس والحيوان أمة (قوله قس) بالضم كافي القاموس (قوله ابن ساعدة) الأيادي روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يرحم الله قسا اني لارجو يوم القيامة ان يبعث أمة وحده (قوله وأمثاله) كزيد بن عمرو بن نفيل فإنه قد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده (قوله قسموا) جواب لما في قوله لما رأوا الآيات (قوله فطرته) خلقته أي بقي على ما فطره الله عليه من معرفته والاقرار به (قوله استفاض) اشتر (قوله ولم تنسخ) تغير وتزال (قوله السوائب) جمع سائبة وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا انتجت الناقة خمس أبطن آخرها لشقوا أذننها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شئت فذاقني سائبة فيجعلها كالبهيرة في عدم الانتفاع بها واذا ولدت الناقة البطن الثالثة أنثى فهي لهم واذا ولدت ذكر فهو لآلهم واذا ولدتهمما وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر (قوله والبوار) أي الهلاك

الاشاعرة والمنصورية والذي عليه أساطين العلماء من المحدثين المستبصرين بنور اليقين الوارثين
 لعلوم سيد المرسلين انهم آمنون ان تمكنوا من زمان يتمكنهم فيه امعان النظر فلم يصرفوه وكيف وكل
 ذرة من ذرات الوجود تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ففي كل
 شيء له آية تدل على انه واحد هذا ما انتهى اليه المقال في بيان هذه الأقوال والله الملمهم بالصواب
 واليه المرجع والمآب

الباب الثاني في بيان هل يصح إيمان المقادير وسوق الخلاف الكائن في جواز التقليد
 في أصول الدين وبيان القول المختار في جميع ذلك

اعلم وفقنا الله وإياك ان التقليد لغة وضع الشيء في العنق محيطا به واصطلاحاً أخذ قول الغير من غير حجة
 وقد اختلف العلماء في جواز التقليد في أصول مسائل الدين وهو العلم الذي يبحث فيه عن ذات الله
 تعالى وما يجب له وما يمتنع عليه من الصفات وعن أحوال الممكنات والمبدأ والمعاد على قانون الاسلام
 وسمى بعلم الكلام لان أول مسألة دارت فيه

(قوله والمنصورية) أصحاب أبي منصور المازدي (قوله بالصواب) ضد الخطأ (قوله
 الملمهم) الملقن (قوله المآب) المرجع (قوله أخذ قول الغير) نخرج أخذ غير القول
 من الفعل والتقرير عليه فليس بتقليد (قوله من غير حجة) يستند اليها خرج به أخذ القول
 مع الحجة فهو اجتهاد وافق اجتهاد القائل به (قوله في أصول مسائل الدين) كحدوث العالم
 ووجود الباري وما يجب له وما يمتنع عليه من الصفات وغير ذلك (قوله من الصفات) أي
 الثبوتية والسلبية وقوله وعن أحوال الممكنات لعل البحث عن صفاته تعالى وأحوال الممكنات من
 قبيل البحث عن أحوال اعراض موضوع العلم لان موضوعات مسائل العلم قد يكون موضوع العلم
 وقد يكون اعراض موضوعه هذا اذا كان البحث عن الممكنات من حيث استنادها اليه تعالى
 لا ندراجة في البحث عن الاعراض واما على ما قيل من انه قد يبحث في الكلام عن أحوال الممكنات
 لا من حيث الاستناد كقولهم الاعراض لا تنتقل في التعريف اشكال ويمكن تخصيص الاحوال
 بالحينية المذكورة ويكون البحث عن أحوالها لا من تلك الحينية استطراداً كما في شرح المقاصد
 (قوله على قانون الاسلام) احتراز عن اهلبيات الفلاسفة فانها على قانون عقولهم وافق الاسلام
 أو خالفه كما في شرح المواقف (قوله وسمى بعلم الكلام الخ) فوضوعه هو ذات الله كما ذهب اليه
 القاضي الارموي وغيره والمشهور عند المتكلمين ان موضوعه المعالوم من حيث يثبت له ماهو من
 العقائد الدينية أو وسيلة اليها وذهب جماعة منهم الغزالي الى ان موضوعه هو الوجود من حيث هو
 هو غير مقيّد بشيء ويمتاز عن الاطبي المشارك له في ان موضوعه أيضا هو الوجود مطلقا باعتبار ان

مسئلة الكلام فقال الجمهور - وور بالمتنع لا جتماع على وجوب المعرفة واقلوله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله فامر بالعلم بالوحدانية والتقليد لا يفيد العلم وقد ذم الله التقليد في الأصول ومدح عليه في الفروع حائلا عليه فقال في الأصول انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون وحث على السؤال في الفروع بقوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وفيل بالجواز لا جتماع السالف على قبول كفاي الشهادة من الناطق من غير استفسار عن معناها ولا قيل له هل نظرت أو تبصرت بدليل ويقاس على الوحدانية غيرهما من المعتقدات الاسلامية على القولين السابقين وقيل يجب التقليد وان النظر والبحث فيه حرام والقائلون بهذا افتروا فرقتين فرقة نفت النظر وقالت المطاوب العلم والنظر لا يفضي اليه فلا اشتغال به حرام وفرقة اعترفت به وقالت بحرمة خشية وقوع الانظار فيه بالضللال بسبب الشبه المؤدية الى الارتياح وور بما يتوهم ان هذا مذهب الشافعي وغيره من السالف انهم عن علم الكلام والاشتغال به وليس كذلك بل هو محمول على من لم يكن ذا قدم صدق في تحقيق المسالك فيؤديه الى الشك والالتباس والوقوع في المهالك قال الميهقي في شعب الايمان وكيف يكون العلم الذي يتوصل به الى معرفة الله وصفاته وما يجب له وما يمتنع عليه وأحوال المعاد

البحث فيه على قانون الاسلام وقد بين فساد في الكتب الكلامية وأما تعريفه فهو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها (قوله مسئلة الكلام) أي كلام الله تعالى هو قديم أو حادث كما هو مشهور بين أهل السنة والمعتزلة ووقعت فتن عظيمة بينهما بسببه إذ قد روي ان بعض الخلفاء العباسية كان على الاعتزال فقتل جماعة من علماء الأمة طالباً منهم الاعتراف بحديث القرآن فغلبت عليه تسمية الشيء باسم أشهر اجزائه أو أنه سمي به لان أبوابه عنونته وأولاً في كتب المتقدمين بالكلام في كذا فبعد تغيير العنوان بقي الاسم بحاله أو أنه سمي به ليكون بازاء المنطق للفلاسفة أو أنه سمي به لانه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات ومع الخصم (قوله فقال الجمهور) ورجحه الامام الرازي والآمدي (قوله بالمتنع) ووجوب النظر (قوله بالوحدانية) ويقاس غير الوحدانية عليها (قوله على أمة) أي ملة (قوله أهل الذكر الخ) أي العامة ليعلموا كم ففيه وجوب المراجعة الى العامة (قوله وفيل بالجواز) وبه قال الغنبري وغيره ولا يجب النظر (قوله ولا قيل له هل نظرت الخ) لانه صلى الله عليه وسلم كان يكتفي في الايمان من الاعراب وليسوا أهلاً للنظر باللفظ بكلماتي الشهادة المنبث عن العقد الجازم ويقاس غير الايمان عليه (قوله حرام) لانه مظنة الوقوع في الشبه والضلال لا اختلاف الاذهان والانظار (قوله وما يجب له) من الصفات (قوله وما يمتنع عليه) منها (قوله وأحوال المعاد الجسماني

وغيره من السمعيات وبيان النبي والتميز بينه وبين المتنبى وغير ذلك مما تدعو الحاجة اليه حراما بل هو من فروض الكفايات لرد شبه المبطلين وضلال الملحدين وعلى كل حال فهذه الأقوال مسوقة في الجواز المقابل بالحرمة لا في الصحة المقابلة بالبطلان فيصح التقليد المذكور إلا أن المقلد على القول الأول وهو المختار عاص بترك النظر والاستدلال والمراد بالنظر الواجب على المقلد النظر على طريقة العامة لا على طريقة أهل النظر من تحرير الأدلة وتدقيق العبارات بل يكفيه النظر الجلي والاستدلال الاجمالي ليجزم بعقيدته ويطمأن بطويته وإن لم يكن قادرا على إيراد له لو طلب منه بعبارة ومثل ذلك ما أجاب به الأعرابي الأصمعي عن سؤاله عن معرفة به بقوله البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير وأما الخوض فيما يخوض به المتسكّمون من إيراد الشبهة ودفعها والقاء التوجيهات وقلعها فهو جائز بل فرض في حق المتأهلين الذين اتوا نظرا في تحقيق اليقين وأما من يخشى عليه الوقوع في هوة تيك الأباطيل فلا يجوز له الخوض فيه وليرجع إلى ما استقر عليه عقد صدره السليم وتلافيه وقد سئل بعض العلماء عن الاشتغال في علوم الفلاسفة أخوان الشياطين

(قوله وغير ذلك) من قواعد العقائد الإسلامية (قوله مما تدعو الحاجة اليه) لدفع شبه الملحدين والمبتدعين في أصول الديانات (قوله لرد شبه المبطلين إلخ) ولا يحصل كمال ذلك إلا باتقان قواعد علم الكلام المبينة على الحكميات والاهليات لكن لا ينبغي أن يتعلمه إلا ذكوي ذودين يكفه عن الدخول في الزلل الذي ربما يوقعه فيه الدليل صاحب جدوتحرر والايخاف عليه الميل إلى المذاهب الباطلة (قوله فيصح التقليد) أي على الأقوال الثلاثة (قوله تحرير) تهذيب (قوله ويطمأن) يسكن (قوله بطويته) ما انطوى عليه (قوله أبراج) وهي اما الانسا عشر شبت بالقصور لانها ينزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر وعظام الكواكب سميت بذلك لظهورها وأغير ذلك (قوله فجاج) طرق (قوله اللطيف) المحسن إلى خلقه بإيصال المنافع اليهم والعالم بخفايا الأمور ودقائقها فهو على الأول يرجع إلى صفة الفعل وعلى الثاني إلى صفة العلم على ما في شرح المواقف وفي الشروح الحديثية هو الذي لطف وامتنع عن أن يدرك بالكمية وهذه الاختلاف مبني على اختلاف فهم في معنى اللطف (قوله الخبير) معناه العليم فهو صفة عامة توقيل معناه الخبير فهو صفة كلامية وبما سبق ذكره دفع الأولون دليل الثاني بأننا لا نسلم أن الأعراب ليسوا أهلا للنظر فإن المتهرب النظر على طريق العامة كما أجاب الأعرابي الأصمعي إلى آخر ما ذكره المواقف (قوله في هوة) قال في القاموس الهوة كقوة ما نهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها (قوله وتلا) من تلاوة (قوله علوم الفلاسفة) حد علم الفلاسفة علم باصول يعرف

ومن شاكرهم من الكفرة والمعتلة الملحدون فجوز ذلك وجعل الاشتغال به جائز الاعداد العدة
للخصوص ولا يتم له ذلك الا بالنظر الى هاتيك الرسوم لكن لا مقابل بثلاثة شروط الاول ان يكون
ضابطا لكتاب والسنة متضلعا من علومهما فقيهها باصول الفقه والحديث النبوي عارفا بقوال السلف
والطريق المستقيم السوي والثاني ان يكون واثقا بان لا تهزه رياح الا باطيل ولا تنزله الشكوك في
قال ولا قيل والثالث ان لا يمزج كلامهم الباطل بكلام المسامين ولا يخلط الشك باليقين فيكون كمن
أراد أن يرتق ففتق وركب طبقات عن طبق واذا اجتمعت فيه هذه الشروط ساغ له أن ينظر في أقوالهم
لهدم قواعد ضلالاتهم وليكن اشتغاله في الاهم فالاهم مما يخشى منه سقوط بعض الامة فيكون اذا
قد أزال عن بعض اخوانه المسامين ما همه وأغمه فن رأى زمانا هذا وجد الناس قد اشتغلوا في
العلوم الفلسفية وصرفوا أعمارهم في جمع فنونها واستمسكوا بفنائها وغصونها ونظروا الى العلوم
الشرعية بعين الاحتقار وزخرفوا الكلام في تمهيد قواعدهم الخبيثة فاستحقوا من الله الاعداد
والبوار وسند كرطراف من قواعدهم في باب البسوع ان شاء الله تعالى قال الشيخ الامام تاج الدين

بها حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح وفائدة العمل بما اقتضاه العقل من حسن وقيح (قوله
ومن شاكرهم) شاكرهم (قوله الملحدون) الضالين المضلين المائلين الزائعين (قوله لاعداد
الح) كان يكون مستعداهم (قوله ولا يتم الح) أي اعداد العدة (قوله الرسوم) الرسم
مالا شخص له من آثار المنازل (قوله ضابطا) حافظا (قوله ولا تنزله) تحركه (قوله
لا يمزج) أي يخلط (قوله لا يخلط) أي يمزج (قوله يرتق) الرق الضم والاتحام وهو هنا
الفتق (قوله ففتق) الفتق الشق (قوله طبقات عن طبق) حالا بعد حال (قوله ساغ) جاز
(قوله لهدم) أي نقض (قوله ضلالاتهم) جمع ضلالة وهي ضلال هدى (قوله ما همه) الهم
الحزن أو ما هم به في نفسه (قوله وأغمه) الغم الكرب (قوله اعمارهم) أي مدة حياتهم
(قوله فنونها) جمع فن وهو النوع من الشيء (قوله بفنائها) غصونها (قوله الاحتقار) الانذال
(قوله وزخرفوا الكلام) حسنه بترقيش الكذب (قوله في تمهيد) بسط (قوله الخبيثة)
الغير الطيبة (قوله والبوار) أي الهلاك قال السنوسي وقل ان يفلح من أولع بصحبة كلام
الفلاسفة أو يكون له نور إيمان في قلبه أو لسانه وكيف يفلح من وإلى من حاد الله ورسوله وخرق
حجاب الهيبة ونبذ الشريعة وراء ظهره وقال في حق مولانا عز وجل وفي حق رساله عليهم الصلاة
والسلام ما سولت له نفسه الحقي ودعاه اليه وهمه المحتل ولقد خذل بعض الناس فتجده يشرف كلام
الفلاسفة الملعونين ويشرف الكتب التي تعرضت لنقل كثير من حقائقهم لما تمكن في نفسه الامارة
بالسوء من حب الرياسة وحب الاغراب على الناس بما يفتهم على كثير من عبارات واصطلاحات

السبكي في كتابه معيد النعم ما نصه ومنهم طائفة تبعت طريقة أبي نصر الفارابي وأبي علي بن سينا وغيرهما من الفلاسفة الذين نشؤوا في هذه الامة واشتغلوا باباطيلهم وجهالاتهم وسموها بالحكمة الاسلامية ولقبوا أنفسهم بحكماء الاسلام وهم أحق بان يسموا سفهاء جهلاء اذ هم أعداء أنبياء الله ورسوله والمحر فون لكلام الشريعة عن مواضعه عكفوا على دراسته ترهات هؤلاء الاقوام وسموها بالحكمة الاسلامية واستجهاوا من عرى عنها ولا تكاد تلقى أحد منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعمري ان هؤلاء لأضر على عوام الناس من اليهود والنصارى لانهم يلبسون لباس المسلمين ويزعمون انهم من علمائهم فيقتدي العوام بهم وهم لا يعتقدون شيئا من دين الاسلام بل يهدمون قواعده وينقضون عراه عروة عروة شعر

وما انتسبوا الى الاسلام الا * لصون دماءهم أن لا تسالا

فيأتون المناكر في نشاط * ويأتون الصلاة وهم كسالى

فالخذر الخذر منهم وقد أفتى جماعة أئمتنا ومشايخنا بتحريم الاشتغال في الفلسفة ثم قال

يوهم ان تحتها علوما دقيقة وهي ليس تحتها الا التخليط والهلوس والكفر الذي لا يرضى ان يقوله عاقل وربما يؤثر بعض الحق هو سهم على الاشتغال بما يعنيه من التفقه في الدين على طريق السلف الصالح والعمل بذلك ويرى هذا الخبيث لانطاس بصيرته وطرده من باب فضل الله تبارك وتعالى الى باب غضبه ان المشتغلين بالتفقه في دين الله تعالى العظيم القوائد دنيا وأخرى بليد والطبع ناقصو الذكاء فإجهل هذا الخبيث وأقبح سريره وأعشى قلبه حتى رأى الظلمة نورا والنور ظلمة ومن يرد الله فتنته فلن يملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم فهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب كالون للسحت انتهى حتى ان بعض فرق الضلال كان سبب ضلالهم مطالعة كتب الفلاسفة وهم الواصليين والنظامية والجامهظية والاسماعيلية طالعوا كتب الفلاسفة فصاروا من أشقى الفرق الضالة خصوصا الاسماعيلية فانهم تفلسفوا ولم يزالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأموال الشرعية كذا في شرح المواقف (قوله نشؤا) أي ربوا وشبوا (قوله والمحر فون) المغيرون (قوله ترهات) أي أباطيل (قوله ولعمري الله) العمر بالفتح وبالضم وبالضمتين الحياة الا انه في القسم لا يستعمل الا في المفتوح فقط كما هنا (قوله يهدمون) ينقضون (قوله وينقضون) النقض فسخ التركيب ضد الابرام والعروة أخت الزر (قوله لصون) أي لحفظ (قوله المناكر) جمع منكر اسم جامع لما نهى الله عنه (قوله في نشاط) في طيب نفس (قوله وهم كسالى) متشاقلون عنها فاترون فيها (قوله فالخذر الخذر) أي احترزوا منهم لا يضاؤنكم (قوله بتحريم الخ) ولقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن

ولقد حصل ضرر عظيم على المساميين بمزج كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين وما كان ذلك الا في زماننا
وقبله يسير منذ نشأ نصير الطوسي ومن تبعه لاحياهم الله ثم قال أيضا من ترك الكتاب والسنة واشتغل
بمقالات ابن سينا ومن نحاحوه قائل قال الشيخ ابن سينا وقال خواجه نصير ونحو ذلك ان يضرب
بالسياط ويطاف به في الاسواق وينادى عليه هذا جزء من ترك الكتاب والسنة واشتغل
باباطيل المبتدعين ثم قال لم أجد أضر على عصرنا وأفسد لعقائدنا من نظرهم في الكتب الكلامية
التي أنشأها المتأخرون بعد نصير الطوسي انتهى فليستق الله عبد علم ان الله سائله ماذا عمل
ولينظر المشتغل الحريص على ذلك الى قلبه وليتدبر بلبه وليعرض ما اشتغل به على الكتاب فانه
متعرض في يوم الحساب لرد الجواب ولئن اتفق من استجمعت به هذه الشرائط واستحكمت به
الروابط فهلا قرأ علوم الرافضة واشتغل بما أودعوه في كتبهم من أصولهم وفروعهم مع انهم أولى
باعداد العدد وأحق من أولئك بما نسقدهم من كل برهان وسند وكيف وهم قد وافقونا في لباسنا
وزاجونا في أملاكنا ونفوسنا بسحرهم في أسلاكنا وأما أولئك فلم تبق الا كلماتهم الخبيثة
مسطورة

قراءة التوراة مع كونها كتابا بالهيا فلان ينهى عن قراءة كلام الفلاسفة أحق (قوله ضرر) هو
الحقائق المفسدة بالغير (قوله بمزج) خلط (قوله نحاحوه) قصص طريقه (قوله بالسياط)
بالمقارع (قوله بأباطيل) جمع باطل على غير قياس كانهم جمعوا باطلا قاله الجوهري (قوله ثم
قال) أى السبكي (قوله بعد نصير الطوسي) كالكتب الموجودة الآن في أيدي الناس وذلك
لكثرة خلط الفلسفة فيها حتى لا يكاد يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات وهذا كلام
التأخرين (قوله الى قلبه) سمي به لانه محل الخواطر المختلفة الحاملة له على التقلب (قوله بلبه)
بخالص عقله (قوله برهان) هو لغة الشعاع الذي يلي وجه الشمس واصطلاحا دليل سمي به
لوضوح دلالاته (قوله وسند) هو ما يذكر لتقوية المنع (قوله وزاجونا) ضائقونا (قوله
ونفثوا) النفث النفخ مع الريق (قوله في أسلاكنا) هي الخيوط فان من جملة أنواع السحر
النفث في الخيوط فان السحرة يعقدون عقدا في خيوط وينفثون عليها وسيأتي تحقيق السحر
والمراد انهم خالطونا بمخالطة كلية بحيث لم يتميزوا عنا وهو اعلىنا بحيث صرنا معهم كالمسحورين
لاننى ما ألقوه علينا من دسائسهم في محاوراتهم معنا حتى ان كثيرا من يبرأ عن بدعته ظاهرا ويلتزم
ما التزمه أهل السنة بحيث يخفى حاله على كل أحد فيتوسل بذلك الى شبهه ودسائس ياقبها في كلامه
لاجل تضليل مخاطبيه من حيث لا يشعر ومنهم من ألف كتابا في مناقب الشافعي رحمه الله وأودع فيه
من الدسائس الرضية ما لا تخفى على السني المتبحر ومنهم من ألف كتباً في مذاهب المجتهدين وذكر

في مواطن عاوم الشريعة وهاجلة بها قائمون وعليها عاكفون ولم نر أحدا منهم جاء بنايحه كمنه وأسفر
عن وجه ضلالتة ولكن أبادهم الله تعالى فهم في النار يسجرون وقد ورد أن عمر بن العاص رضي
الله تعالى عنه لما افتتح مصر ووجد فيها من كتب اليونان خرائن كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يستشير فيه فها هو فاعل فيها فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا مـ
باحراقها وقال له حسبنا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم عن كل كتاب وسنة فهماد واء كل داء
والنور الساطع في الظلمات قل هو لادين آمنوا هدى وشفاء فواظفروا هؤلاء بتلك الكتب لا تأخذوها
معابدوتها فتوا عليها تهافت الفراش ما بين قائم منهم وقاعد هذا ما انتهى إليه المنال من بيان خلاصة
الاقوال في جواز التقليد في أصول الدين وعدم جوازه وأما القول في صحة إيمان المقلد فعليه الجمهور
الشيخ أبو الحسن الأشعري فعنه أنه لا يصح إيمانه وقد شنع عليه كثير من الناس بأنه يلزمه تكفير
غالب العوام بل كلهم في هذا الزمان وقد قال الإمام القشيري أن هذا مكذب عليه والتحقيق أن لفظ
التقليد يطلق بمعنيين أحدهما قبول قول الغير والعمل به بغير حجة والثاني الاعتقاد الجازم لا لوجب
فهو بالمعنى الأول قد يكون ظنا وقد يكون وهما ولا شك أن هذا لا يكفي وكلام الشيخ وغيره من اطلق
عدم الصحة في التقليد وارد على هذا وأما بالمعنى الثاني فلم يقل أحد من علماء الاسلام أنه لا يكفي في
الايان أبو هاشم من المعتزلة وما قاله أبو الحسن بحاررناه وأفتى به الامام تاج الدين السبكي في
صورة استفتاء استفتي به صحيح باجماع أهل الاسلام اذ لا بد في الايمان من الاعتقاد الجازم الذي
لا يتشكك والدليل على ذلك قوله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون قال الواحدى في تفسيرها
أجمع أصحابنا على أن شرط الايمان طمأنينة القلب على ما اعتقده بحيث لا يتشكك ولا يضطرب
اذا حرك لقوله وهم يعلمون إلى آخر كلامه رضي الله عنه وقد أوضح الكلام في الشقين المولى سعد

فيها ما يخالف مذاهيم قصد بذلك إلى ترويج مذهبه وابطال مذاهيمهم (قوله في مواطن) أما كن
(قوله عاكفون) مقبأون (قوله وأسفر) أى كشف (قوله أبادهم) أهلكتهم (قوله
يسجرون) يوقدون (قوله حسبنا) كافينا (قوله هدى) تقدم معناه أول الكتب (قوله
وشفاء) من ادواء الكفر والجهالة والأمراض القلوب والشك والزيغ (قوله بتلك) الكتب
(قوله وتهافتوا الخ) أى تساقطوا عليها تساقط الفراش بالفتح دويبة تطير فتساقط في النار (قوله
في هذا الزمان) وهم غالب المؤمنين (قوله وقد قال الخ) أى في دفع التشنيع (قوله
والتحقيق) كما ذكره ابن السبكي في جمع الجوامع (قوله وهما) وقد يكون شكاً (قوله
لا يكفي) لأنه لا إيمان مع أى تردد فيه (قوله بالمعنى الثاني) وهو المعتمد (قوله الا ابو
هاشم) فإنه قال لا يكفي بل لا بد لصحة الايمان من النظر (قوله تاج الدين السبكي) هو

الذين فقال الحق ان المعرفة بدليل اجالى يرفع الناظر عن حضيض التقليد فرض عين لا يخرج عنه
 لأحد من المكافين و بدليل تفصيلي يتمكن معه من اراحة الشبهة والزام المنكرين وارشاد
 المسترشدين فرض كفاية واعلم ان وجود الجزم من المكاف ان كان بسبب من ضرورة أو برهان كما
 يسمى عاميا يسمى معرفة و يقينا وان كان بغير سبب وموجب بل بتقليد محض يسمى اعتقادا فان
 طابق الواقع فصحيح والافساد وجهل مركب فالثاني كاعتقاد كافة الكافرين المقلدين لأنهم
 وقد أجمعوا على كفر صاحبه والأول كاعتقاد عامة المؤمنين المقلدين فصاحب هذا الاعتقاد على
 الصحيح آثم عاص بترك النظر والاستدلال فيبقى في مشيئة الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه
 بما يستحق ثم يدخله الجنة بفضلها فالواجب على كل مسلم ان يتعلم دليلا اجاليا ليكون في دينه على
 بصيرة ولا يخشى عليه الشك عند عرض الشبهات وكيف ينفعه التصميم بلسانه والقلب الذي هو
 محل ايمانه يقول

صاحب جع الجوامع (قوله حضيض) سفل (قوله من ضرورة) كالحكم بان زيدا متحرك
 من شاهده يتحرك (قوله أو برهان) كالحكم بان العالم حادث (قوله كما يسمى عاميا) قد
 اختلفوا في تعريف العلم اختلافا كثيرا والمختار في تعريفه عند المتكلمين انه صفة توجب لموصوفها
 تميزا بين المعاني لا يحتمل النقيض كما ذكره في المواقف (قوله وموجب) المراد من الموجب ما يعم
 الدليل القطعي والشبهى والبدئية العقلية والوهمية (قوله بل بتقليد محض يسمى اعتقادا) وان لم
 يحصل بذلك جزم من المكاف فان كان راجعا على مقابله يسمى ظنا وان كان مرجوحا يسمى وهما
 وان مساويا يسمى شكافا لا يمان ان حصل بهذه الثلاثة التي ذكرناها فالاجماع على بطلانه وان
 حصل من القسم الأول وهو العلم والمعرفة فالاجماع على صحته وان حصل من القسم الثاني وهو
 الاعتقاد فان طابق الخ (قوله فصحيح) كاعتقاد المسلمين ان العالم حادث (قوله والا) اى
 والايطابق الواقع كاعتقاد الفلاسفة ان العالم قديم (قوله وجهل مركب) الجهل انتفاء العلم
 بالمقصود اى ما من شأنه ان يقصد ليعلم بان لم يدرك أصلا ويسمى جهلا بسبب طأ وأدرك على خلاف
 هيئته في الواقع ويسمى جهلا مركبا لانه جهل المدرك بما في الواقع مع الجهل بانه جاهل به فهذا جهل
 آخر قد تركبهما كاعتقاد الفلاسفة ان العالم قديم (قوله وقد أجمعوا على كفر صاحبه) وكونه مخلا
 في النار (قوله فصاحب هذا الاعتقاد) هو الذى عليه محط الخلاف وقوله وعلى الصحيح اى
 يكون مؤمنا لكنه آثم الخ (قوله بترك النظر الخ) ٧ وبه قال أبو حنيفة وسفيان الثوري ومالك
 والاوزاعي والشافعي وأحمد وعامة الفقهاء وأهل الحديث بل نقل بعضهم الاجماع على ذلك (قوله
 على بصيرة) اى نفس بصيرة أى شديدة الابصار ويحتمل انه مصدر بمعنى تبصر (قوله يقول

لأدرى فيكون من الذين قال الله فيهم الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم وقد قيل
 ان من النفاق ما لا يعرفه صاحبه من نفسه وهو نفاق من يولد بين المسلمين فيسمع منهم كلمات
 الايمان فيقول كما يقولون اتباعا وتقليدا حتى لو ولد بين اليهود والنصارى لقال مثل ما يقولون من غير
 ملاحظته وتصميم بقلبه والقائه على ذلك بلبه فليحذر جواب المسلمين فانه لا يمكن ان ينطق الابما
 في قلبه ولا يخش ان يقول هاهاه لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلناه قال سبحانه حكاية عن
 المنافقين يوم ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني
 حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور وقد دلت الآية على انهم لم يعبدوا أصناما بل كانوا مع المؤمنين ولم
 يكونوا عارفين بما وجب من معرفته فاذا كان الأمر كذلك فلا يغتر المقلد بقوة تصميمه وكثرة
 عبادته انه على الحق لتوجه النقض عليه بتصميم اليهود والنصارى على معتقداتهم الفاسدة وعدم
 رجوعهم عنها ولو نشروا بالمناسير فهذا لا يدل على حقيقة معتقداتهم فللنساء بين قوم يدينون بشئ
 والمخالطة تأثير عظيم في التصميم فليتنظر المسلم الى ما انطوت عليه طويته وليتأمل في خلق الله وما خلق
 لأجله واذا أشكل عليه شئ وجب عليه ان يسأل فعلى قدر المعرفة تكون الخشية وعلى قدر الخشية
 تكون الانابة وعلى حسب احسن العبادات وعلى قدره ترجى الرحمة وفقنا الله سبحانه للعلم والعمل

لأدرى) أى متحيرا (قوله فيكون الخ) أى من جملة المنافقين (قوله ان من النفاق) أى
 من يعرفه صاحبه من نفسه كمنفاق الذين يظهرون الاسلام بين الناس ويضمرون الكفر في قلوبهم
 كالذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن في معناهم كالزنادقة والملاحدة وان منه ما لا يعرفه
 الخ (قوله لأدرى سمعت الناس الخ) فانه اذا أتى الملكان في القبر ينطق بما عنده من غير زيادة
 ولا نقصان لان الانسان في ذلك المحل لا يترك كفاي الدنيا يتكلم بما ليس في قلبه بل ان كان عالما
 بالحق ينطق به وان كان شاك فيه غير عالم به يقول لأدرى (قوله ألم نكن معكم الخ) يريدون
 موافقتهم في الظاهر (قوله فتنتم أنفسكم) بالنفاق (قوله وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (قوله
 وارتبتم) أى شككتهم في الدين (قوله وغرتكم الأماني) كامتداد العمر (قوله حتى جاء
 أمر الله) وهو الموت (قوله الغرور) الشيطان أو الدنيا (قوله بما وجب) أى عليهم وقوله
 من معرفته أى حتى جاءهم أمر الله الذي هو الموت فيقال لهم يوم القيامة فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
 ولا من الذين كفروا وما لكم بالنار هي مولاكم وبئس المصير (قوله على معتقداتهم الفاسدة)
 وأباطيلهم تقليد الآبائهم الضالين المضلين وأما تصميمهم على كون معتقداتهم حقا وعدم رجوعهم الخ
 (قوله فهذا لا يدل الخ) أى ولا على كونهم في دينهم على بصيرة (قوله فللنساء) أى التريسة
 (قوله المخالطة) أى معهم

وجنبنا بفضل الخطأ والخطيئة آيين فان قلت قد عرفت ما تقول فاذا كررنا خلاصة ما عليه أهل الاسلام
لا كون على بصيرة في الدين متبعاً سبيل المؤمنين الموحدين فان لم ان أول الواجبات عليك معرفة
الله سبحانه بصفاته وأفعاله ولا يكون ذلك الا بعد معرفتك ايام وجوب وجوده وللتكاملين في
اثبات الوجوب دلائل كثيرة وبراهين غزيرة مبنية على بيان ان العالم حادث قالوا ان العالم جميعه
أعيان وأعراض وكلها حادثه على ما بين في الكتب الكلامية واذا ثبت ان العالم بجميع أجزائه
محدث كان محتاجاً الى محدث

(قوله معرفة الله) معرفة الله تعالى واجبة اما شرعاً كما ذهب اليه الاشاعرة أو عقلاً كما
ذهب اليه المعتزلة (قوله أول الواجبات عليك معرفة الحق) وهو ما عليه الأكثرون منهم
لشيخ أبو الحسن الأشعري اذ معرفة الله تعالى هي أصل المعارف والعقائد الدينية وعليها
تفرع وجوب كل واجب وقيل هو النظر في معرفة الله واليه ذهب جمهور المتكاملين والمعتزلة
والاستاذ أبو اسحق الاسفرايني وقيل هو أول جزء من النظر وقيل هو القصد الى النظر واليه ذهب
القاضي الباقلاني واختاره ابن فورك وامام الحرمين قيل النزاع انقضى لانه ان أريد أول الواجبات
المقصود أولها وبالذات فهي المعرفة اتفاقاً وان لم يرد ذلك بل أريد أول الواجب مطلقاً فالقصد الى
النظر والافان شرطاً كونه مقدوراً فالنظر والافان قصد وقال أبو هاشم أول الواجبات الشك وهو
مردود بما ذكر في الكتب الكلامية قلت واتفق السلف على ان أول ما يؤمن به العبد الشهادتان
(قوله دلائل كثيرة) قد ذكرناك بعضها سابقاً (قوله العالم) هو بفتح الهمزة وهو ما سوى
الله تعالى من الموجودات يقال عالم الأجسام وعالم الأعراض وعالم النبات وعالم الحيوان فيخرج
صفات الله تعالى فانها ليست غير الذات كما انها ليست عينها (قوله حادث) خلافاً للفلاسفة فانهم
ذهبوا الى قدم العقول والنفس الفلكية والأجسام الفلكية بموادها وصورها الجسمية وأنواعها
واشكالها وأوضاعها والعناصر بموادها ومطاق صورها الجسمية مع أشخاصها وصورها النوعية
الى غير ذلك من ضلالاتهم وقد بين المتكاملون فساد كل هذا وابطالانه (قوله جميعه) أي السماء
وما فيها والأرض وما عليها (قوله أعيان) الأعيان ما تقوم بنفسها ولا تحتاج الى محل تقوم به
كالشجر والحجر وزيد (قوله وأعراض) العرض ما يقتصر الى محل كالطعوم والروائح (قوله
حادثه) بعد ان لم تكن (قوله محدث) بما ذكره وغيره من الدلائل القطعية (قوله محتاجاً الى
محدث) لانه اذا كان حادثاً كان مسبوقاً بالعدم وما سبقه العدم لم يكن وجوده لذاته ويستوى في
العقل امكان وجوده وعدمه فلا بد له من مخصص يرجح أحد الجانبين على الآخر فعلم ذلك ببداية
العقل كما ان من رأى قصر اميناً عرف ان له باناً قداماً كما قيل لأعرابي بم عرفت ربك قال البعرة

وذلك المحدث لا بد أن يكون قديما واجبا للوجود اذ لو لم يكن واجبا للوجود لكان جائزه فلم يكن قديما واذ لم يكن قديما بل كان حادثا لا احتاج الى محدث فيلزم الدور والتسلسل وهو وجود حوادث لا أول لها وكلاهما محال فكل ذرة من ذرات العالم من حيث حدوثها واقتارها الى من يمسك عليها وجودها تنطلق بلسان حاطها عن هذا القديم الواجب الوجود فلينظر العاقل في مصنوعات ذي الجلال والاول ما ينظر الى نفسه من ابتداء خلقه الى حين بلوغه كمال عقله وما انطوى عليه من بديع الصفة وكال الحكمة ثم ينظر في جميع هذا العالم سفله وعلوه يجده مسخر المايراد منه ويتأمل بما انطوى عليه من الحركات والسكون والطاوع والغروب وغير ذلك من الاجتماع والافتراق والاستواء والميل والوجود والعدم على هذا النهج الغريب والاسلوب العجيب فانه لا يشك ان له صانعا قديما واجبا للوجود واحد الاثر يك له ولا وزير ولا معين له ولا ظهير موصوفا بصفات الكمال من الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام وغيرهما من الصفات التي أثبتتها لنفسه في كتاب العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم سالها الطاريق المستقيم بين التعطيل والتمثيل فهو موصوف بما وصف به نفسه كما يليق بجلال قدسه على ذلك درج السلف الصالح ذوو العلم الراجح وما اشتبهه علينا مما أثبتته الله سبحانه لنفسه من اليد والرجل وغير ذلك

تدل على البعير وأثار الأقدام تدل على المسير فهيكمل علوى بهذا الطاقة ومركزه على بهذه الكشافة يدلان على صانع خبير يدل على ان للعالم صانعا (قوله قديما) لا أول لوجوده (قوله بل كان حادثا) اذ لا واسطة بين القدم والحدوث فكل موجود ما قديم أو حادث (قوله قديما) لا أول لوجوده (قوله لا شريك له) والا لا ختم النظام المشاهد في العالم كما سيحىء في الباب الخامس (قوله ولا وزير) عاضد يحمل عنه تفكر التدبير (قوله الحياة) صفة أزلية أبدية تصح قيام الصفات بموصوفها (قوله والقدرة) صفة أزلية أبدية تؤثر في الممكن حيث تعلقت الارادة به (قوله والارادة) صفة أزلية أبدية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه (قوله والعلم) صفة أزلية أبدية ينكشف بها المعالوم عند تعلقه به انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه (قوله والسمع والبصر) صفتان أزليتان أبديتان ينكشف بهما الوجود عند تعلقه به (قوله والكلام) صفة أزلية أبدية بها يوجد الأمر والنهي وغيرهما من أقسام الكلام (قوله التعطيل) الذي هو مذهب الجهمية (قوله والتمثيل) الذي هو مذهب المشبهة (قوله وغير ذلك) كلوجه والنفس والعين والاستواء والانيان والمحيى والنزول والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وان كالأندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله ولا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا

نفوض عامه اليه مع تنزيهه تبارك وتعالى عما لا يليق به في جهر القول وخافيه وبذلك قال
الامام أبو الحسن الاشعري وغيره من الأئمة الكرام والعلماء الاعلام فذاته لا تشبه الذوات كما ان
صفاته لا تضاهي الصفات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فصدر الآية يدل على نفي التشبيه وعجزها
على نفي التعطيل ونعتقد ان صفاته سبحانه قديمة أبدية كما ان ذاته أزلية أبدية ونزله تبارك وتعالى
عن كل ما لا يليق به من صفات الاجسام وحوادث الاعيان والاجرام ونوحده بملك الضر والنفع
والعطاء والمنع وغير ذلك من خواص الالهية التي لا يملكها الا الله عالمين ان لا معبود بحق في الوجود
سواه فهو الاله الواحد المتبجى في جميع الامور اليه المتوكل في كل الشؤون عليه فله الاسماء الحسنى
نقتصر منها على ما ورد واليه الامر كله من القبول والرد يستحيل وصفه

(قوله في جهر القول وخافيه) كما درج على ذلك السلف الصالح (قوله ليس كمثله) اختلف
في الكاف هنا فقيل زائدة وقيل أصلية ومذهب المحققين الثاني واعترض بانها لو كانت
أصلية لكان تقديره ليس مثل مثله شيء لان الكاف بمعنى مثل فيلزم اثبات مثل الله تعالى وذلك
محال وأجيب بان هذه قضية سالبة وهي تصدق بانتفاء الذات وانتفاء النسبة فان قلنا ليس
زيد في الدار يصدق ذلك بانتفاء زيد وانتفاء الدار وانتفاء حصوله فيها وفائدته المبالغة في
التنزيه وتقول ان ذلك من باب السكاية كما ذكره السعد في شرح التلخيص فيكون نفيا
للشيء بنفي لازمه لان نفي اللازم يستلزم نفي المانوم كما يقال ليس لأخي زيد أخ فأكوز يد ملزوم
والأخ لازمه لانه لا بد لأخي زيد من أخ هو زيد فكذا نفيت ان يكون لمثل الله مثل والمراد
نفي مثله تعالى اذ لو كان له مثل لكان هو مثل مثله اذ التقدير انه موجود (قوله وعجزها على نفي
التعطيل) كما قال الامام أبو حنيفة في الفقه الأكبر لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ثم قال
بعد ذلك وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا وبقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرفيتنا انتهى
وقال نعيم بن حماد من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر
وأقول السائب في ذلك كثيرة (قوله قديمة) بالزمان ولا محذور في تعدد صفات قدماء وانما
المحذور في تعدد ذوات قدماء (قوله أزلية) أي غير مسبوقه بعدم (قوله أبدية) أي لا يلحقها
عدم (قوله فله الاسماء الحسنى) تأنيث الأحسن أي لأنها دالة على معاني هي أحسن المعاني
(قوله على ما ورد) لأن أسماء الله توقيفية على المذهب المختار أي يتوقف اطلاقها على الاذن فيه
وليس النزاع في أسماء الاعلام الموضوعية في اللغات انما النزاع في الاسماء المأخوذة من الصفات
والأفعال فذهب المعتزلة والكرامية انه اذا دل العقل على اتصافه تعالى بصفة وجودية أو سلبية جاز
ان يطلق عليه اسم يدل على اتصافه به سواء ورد بذلك الاطلاق اذن شرعي أو لم يرد وكذا الحال

بالظلم اذ هو المالك المقسط العادل ولا يجب عليه شيء بل هو المتفضل على خلقه وله الفضل لا تعلق أفعاله
بالاغراض وانما هي حكم ومصالح ولا تجري عليه الاعراض تعالى عن كل شبيه ومعارض عال على
عرشه دان بعامة من خلقه أحاط عامه بالامور وأنفذ في خلقه سابق المقدور يعلم خائنة الاعين وما تخفي
الصدور فالخلق عامون بسابق عامه لا يملكون لانفسهم من الطاعة نفعا ولا يجدون الى صرف العصية
عنها دفعا خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به وخلق جميع أفعالهم وأما الاسباب العادية فقد
أجرى الله سبحانه ما قدره في مقارنتها للمسببات فلا تنكر ولا عليها يتكل فهو الخالق للكل فالخلق
لميز الواليترددون من قدر الى قدر وأمره سبحانه نافذ فيهم فلا ينجزهم حذر وقد خلق للجنة خلقا فهم
بأعمالها بمشيئة الله عامون وبقدرته وإرادته ينفذون وخلق النار أهلا فهم عن الهدى محجوبون
وبأعمال أهل النار يعامون والمؤمنون في الايمان يتفاضلون وبصالح الاعمال متزايدون لا يخرجون

في الأفعال وقال القاضي أبو بكر كل لفظ دال على معنى ثابت لله تعالى جازا طلاقه عليه بلا توقف اذ لم
يكن اطلاقه وهو المسال لا يليق بكبريائه (قوله بالظلم) كما قال تعالى ولا يظلم ربك أحدا فهذه النفي
لكمال ثبوت ضده الذي هو العدل وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب انما هو
لكمال ثبوت ضده (قوله لا تعال أفعاله) وهو مذهب السلف والأشاعرة ووافقهم على هذا
جهايزة الحكماء وخالفهم فيه المعتزلة فذهبوا الى وجوب تعليلها وقالت الفقهاء لا يجب ذلك لكن
أفعاله تابعة لمصالح العباد تفضلا واحسانا لنا في اثبات مذهبنا وجهان يبطلان المذهبين معا أعني
وجوب التعليل ووقوعه تفضلا أحدهما لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصا لذاته مستكملا
بتحصيل ذلك الغرض لانه لا يصالح غرضا للفاعل الا ما هو أصالح له من عدمه وهو معنى الكمال فاذا
يكون الفاعل مستكملا بوجوده وناقصا ببدونه ثانيهما ان غرض الفعل أمر خارج عنه يحصل
تبعاً للفعل وبتوسطه وهو سبحانه وتعالى فاعل لجميع الأشياء ابتداء فلا يكون شيء من الكائنات
الا فاعلا له صادر عنه لا غرضا للفعل آخر له مدخل في وجوده بحيث لا يحصل ذلك الشيء الا به يصالح ان
يكون غرضا لذلك الفعل وليس جعل البعض من أفعاله غرضا لولي من البعض الآخر فجعل بعضها
غرضا من بعض آخر دون عكسه تحكم بحيث فلا يتصور تعليل في أفعاله أصلا والبحث مستوفى في
الكتب الكلامية (قوله خالق) أي أوجد وأنشأ والخلق مصدر وهو هنا بمعنى الخلق (قوله
الاسباب) جمع سبب وهي أمر يرتبط به الشيء من حيث الذات وجودا وعدما (قوله للمسببات)
فهو خالق الاسباب والمسببات (قوله يعملون الخ) كما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت
توفي صبي من الأنصار فدعى النبي صلى الله عليه وسلم الى جنازته فقام طوي عصفور من عصفير
الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق هذه أهلا وهذه

بالذنوب من الايمان ولا يدخلهم في الكفر كبيرة ولا عصيان ولا تشهد بالجنة الا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم المختار ولا نحكم على مسيئهم بالنار والقرآن كلام الله عز وجل فليس بمخلوق وانه سبحانه قريب بالاجابة عند السؤال بعيد بالتعز لا ينال أرسل رسوله الى خلقه مبشرين ومنذرين وبمجزاته الباهرة مؤيدين ونبينا صلى الله عليه وسلم أفضل المرسلين وامام المتقين وله الشفاعة العظمى في يوم الدين وكلما أثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث الشفاعة وغيرها وعذاب القبر وسؤال الملكين وأحوال البرزخ وأحوال المعاد والجنة والنار وغير ذلك مما وردت وصحت بها الآثار وجب الايمان به فالخلق بآجالهم ميتون وبعد الضغطة في القبور مسؤولون وبعد البلاء منشورون ويوم القيامة الى ربهم يحشرون وكما بدأهم له من شقاء وسعادة يومئذ يعودون فاهل الجنة بصنوف اللذات فيها يتنعمون والى ربهم ينظرون لا يمارون في النظر اليه ولا يشكون وأهل الجحيم عن ربهم محجوبون وفي النار يسحبون خلا من شاء الله اخر اخرجهم من الموحدين أهل الايمان فانه سبحانه

أهلا الهمة فيه للاستفهام على سبيل الانكار والواو فيه للحال يعني أن تعتقدى ما قلت والحق غير الجزم به يعني لا تجزمى بإعائشة انه من أهل الجنة فان الله تعالى خلق الجنة والنار وخلق لكل منهما أهلا في الأزل (قوله ولا تشهد بالجنة) لجواز أن لا يختم للشهود له بخير وان كانوا من فضل الله جاء قويا لكل من أهل الايمان الجنة وقوله الا لمن شهد له النبي أى لا تشهد بجنة ولا بنار الا لمن علم بالنص لاننا نعلم حقيقة باطنه ومآلات عليه والسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال أحدها انه لا يشهد لأحد الا للأنبياء وهذا القول ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي الثاني انه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث وهو الذي ذكره المصنف وهو المختار الثالث ان يشهد لمن جاء فيه النص ولمن شهد له المؤمنون مستدلين بما في الصحيحين انه من مجازاة فأنوا عليها بخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ومر بأخرى فأنى عليه بشر فقال وجبت وفي رواية كرر وجبت ثلاث مرات فقال عمر يا رسول الله ما وجبت فقال هذا أنتم عليه خيرا وجبت له الجنة وهذا أنتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض (قوله ولا نحكم على مسيئهم بالنار) أى لا نخلد كما هو شأن الكفرة لكن نرجو للحسن ونخاف على المسيء (قوله بآجالهم) أى لا يموت أحد الا بأجله وهو الوقت الذي كتب الله في الأزل انتهاء حياته فيه بقتل أو غيره خلا قال كثير من المعتزلة في المقتول (قوله ينظرون) رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة في العقل لانه تعالى موجود وكل موجود فرؤيته جائزة عقلا وواجبة بالنقل لاخبار الكتاب والسنة بحصولها في الدار الآخرة قال الله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا الحديث قال بعض العامة فيمن قال ان غير النبي رأى الله في الدنيا

كلوردينهم عليهم باخراجهم من النيران ونمسك عن تكفير أهل القبلة ما لم يبتدعوا فن فعل من ذلك
منهم ما يوجب كفرًا كان عن سبيل المؤمنين خارجا وفي سبيل الغواية ناهجا وأفضل الخلق بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق فعمرو الفاروق فعثمان ذو النورين فعلي بن أبي طالب
ثم باقي العشرة الذين أوجب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ويخص الباقرين بالفضل
والفضل على حسب ما نالهم من مقامهم الجليل ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم ونمسك
عن الخوض فيما شجر بينهم فهم خيار أهل الأرض ارتضاهم سبحانه لنبيه وجعلهم أنصار دينه
فهم أئمة المسلمين وحجاة الدين وأما كرامات الأولياء وهي خوارق يجر بها الله على أيديهم
ليكرمهم بها

بالرؤية البصرية قد اجترأ على الله وأنه زنديق يقتل وتوقف فيه غيره (قوله ونمسك عن تكفير
الح) وهو ما عليه السلف وجهور المتكلمين والفقهاء (قوله وفي سبيل) طريق وقوله ناهجا
سالكا (قوله الصديق) بكسر أوليه المهملتين بعد هما تحتية لقب به لمبادرته لتصدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم (قوله الفاروق) سمي به لفرقانه ظهور الإيمان بعد اسلامه بعد أن كانوا من
قبل في غاية الاخفاء له خوفا من الكفرة وقيل لقب به لأنه فرق بين الكافر والمؤمن في قتله للنفاق
الذي لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تأييده قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم الآية (قوله ذو النورين) لقب به لتزوجه بنتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يقع ذلك لغيره منذ وجد (قوله العشرة) المبشرة بالجنة المجموعة في قول بعضهم

أبو بكر وسعد مع سعيد * وعثمان علي والزبير

وطلحة وابن عوف مع أمين * وفاروق لهم في الخلد خير

(قوله ونمسك عن الخوض الح) ولأن ذكر أحد منهم لا يخير وأما ما صدر من بعضهم مع بعض ما
هو شرفي الصورة فانه إما كان عن اجتهاد أو لم يكن على وجهه فساد من اصرار وعناد بل كان
رجوعهم عنه إلى غيره مع انبناء على حسن الظن بهم ولقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني
ولقوله إذا ذكر أصحابي فامسكوا ولما ذهب جمهور العلماء إلى أن الصحابة كلهم عدول قبل فتنة عثمان
وعلي وكذا بعده لقوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم رواه الدارمي وابن
عدي وغيرهما وقال ابن دقيق العيد في عقيدته وما نقل فيما شجر بينهم واختلفوا عنه ما هو باطل
وكذب فلا يلتفت إليه وما كان صحيحا أو لئلا تأويل أحسن فان الشناء عليهم من الله سابق وما نقل
من اللاحق يحتمل التأويل والمشكوك والموهوم لا يبطل المحقق والمعلوم هذا وقال الشافعي تلك
دعاء طهر الله أيدينا عنهم فأنلوا الستيناهم أو سئل أحمد بن حنبل عن أمر علي وعائشة فقال تلك أمة

فهى ثابتة وتكون من معجزات أنبيائهم وقد ينعم الله على بعض أحيائه والصالحين من عباده في براز خهم بأنواع التنعيم ويكرمهم كما ثبتت الرواية بما تفضل به عليهم من مزايا التكريم والنعيم المقيم هذا ما انجز اليه الكلام والتبيين من تحرير خلاصة ما عليه أهل الدين من القول الفصل في التقليد في الأصول الكلامية والعقائد الإسلامية وأما التقليد في الفروع الفقهية فلا يجوز الآن الاتقليد الأئمة الأربعة لأنضباط قواعدها بضبط المقلدين ومعرفة أقوالهم المروية عنهم بصحيح نقل الراويين ومع ذلك فقد بذل مقاديرهم الوسع في دراية استدلالهم وتقرير أقوالهم فوصلت اليها والحمد لله سليمة من التغيير والتحريف بنقل الأئمة الثقات والرواة الاثبات وقد صنف فيها التصانيف وألفت التأليف وأما غير مذاهم من مذاهب الصحابة والتابعين وباقي المجتهدين فقد اندرست باندراس نقلها وماتت بموت حملتها فلا يتأني فيها التقليد وإنى للقلد التناوش من مكان بعيد ثم إن ماصح من أقوالهم لا يجوز تقليده أيضا لعدم أمن المقادير من أن تكون مشروطة بشرط لا خبرة له فيه.

قد خلت لها ما كسبت وإنكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون (قوله ثابتة) أى جائزة وواقعة أما جوازها فهو أن وجود الممكنات مستند إلى قدرته الشاملة لجميعها فلا يمنع شئ منها على قدرته ولا يجب غرض في أفعاله ولا شك أن الكرامة أمر ممكن إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته وأما وقوعها فلقصة مريم حيث حبلى بلا ذكرو وجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة وجعل هذه الأمور معجزات لزكريا وأورها صا العيسى مما لا يقدم عليه منصف وقصة آصف وهى احضاره عرش بلقيس فى طرفة عين ولم يكن ذلك معجزة لسليمان اذ لم يظهر على يده مقارن الدعوى (قوله الفقهية) المنسوبة إلى الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية (قوله وألفت التأليف) فعز أن يوجد حكم الا وهو منصوص عليه اجالا أو تفصيلا (قوله المجتهدين) جمع مجتهد وهو البالغ العاقل ذو ملكة يدرك بها العلوم فقيه النفس وإن أنكر القياس العارف بالدليل النقلي والتكليف به ذو الدرجة الوسطى لغة وعربية وأصولا وبلاغة ومتعلق الأحكام من كتاب وسنة وإن لم يحفظ المتن وقال السبكي هو من له من هذه العلوم ملكة وأحاط بمعظم قواعد الشرع ومارسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود الشارع ويعتبر لا يقاع الاجتهاد لالكونه صفة فيه كونه خبير بمواقف الاجماع كي لا يخرقه والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وشرط المتواتر والآحاد والصحيح والضعيف وحال الرواة ولا يشترط علم الكلام ولا تفاريع الفقه ولا الذكورية والحرية وكذا العدة على الأصح وليبحث عن المعارض وعن اللفظ هل معه قرينة (قوله بموت حملتها) فلا تعرف لها قواعد تتخرج عليها أحكامها (قوله وإنى) من أين (قوله التناوش) التناول

أو مقرنة بمانع يمنع عند المجتهد فيلاقيه لكن بقي ههنا شيء ذكره بعض الأفاضل مما ينبغي التفتن له وهو ان المسئلة الفقهية اذا نقلت ينبغي ان ينظر فيها فان كان مأخذها مشهورا معلوما من الكتاب والسنة والاجماع فلا نزاع فيها الا حذوان لم يكن مأخذها كذلك بل كانت اجتهادية فان كان ناقلاها مجتهدا لم يلقه مقلده اتباعه ولا يلزم المقلد ان يطلب منه دليلا لان كلام المجتهد دليل له وان لم يكن ناقلاها مجتهدا بل كان مقلدا فان نقلها ذلك المقلد عن المجتهد وثبت نقله عنه أو كان بثبوت صدوقا لم يلزم اتباعه أيضا وان لم ينقلها عن المجتهد بل جاء بهما من قبل نفسه أو مقلدا آخر أو أطلق فان بين فيها دليلا شرعيا فلا كلام فيها حينئذ وان لم يبين ينظر فان كان كلامه موافقا للأصول والكتب المعتمدة ولم يكن فيها خلاف جاز العمل بها لكن ينبغي للعامل بها ان لا يقف في مقام تقليده بل يطلب منه دليلا على ما نقل وان كان كلامه مخالفا للأصول والكتب المعتمدة فلا يلتفت اليه أصلا فقد صرح العلماء بان ما لا يعلم صحته لا يصح اتباعه فضلا عما علم بطلانه والله سبحانه أعلم

﴿الباب الثالث في بيان الايمان والاسلام وتلخيص ما اختاره الفحول من بيان حقيقة الدين﴾
اعلم ان الايمان لغة مطلق التصديق وقد يضمن معنى الاعتراف والاقرار فيعدي بالباء كما يقال آمن بالله ومعنى الاذعان فيعدي باللام ومنه فآمن له لوط وشرا تصديق خاص لما علم بالضرورة انه من الدين فالوحد اجالا كفي الايمان به اجالا ومالو حظ تفصيلا اشترط الايمان به كذلك والمراد بالتصديق الاذعان لحكم المخبر وقبوله وجعله صادقا

(قوله فيلاقيه) اذ مع بعد الزمن وعدم التدوين لا يوثق بالمذهب كما أفاده الجلال المحلى في شرح جمع الجوامع لاحتمال تطرق الاختلال الى شروطه ومعتبراته بنسيان أو سهو ونقلته ورواته (قوله الايمان) افعال من الأمن للصيرورة أو التعدية بحسب الأصل كان المصدق صار ذا أمن من أن يكون مكذبا أو جعله الغير آمنا من التكذيب والمخالفة (قوله مطلق التصديق) قال الله تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما أنت بمؤمن لنا أى مصدق فيما حدثناك به (قوله يضمن) التضمن اشتراب اللفظ معنى آخر وفائدته ان تؤدى كلمة مكان كلمتين (قوله معنى الاعتراف الخ) فالإيمان بالله الاعتراف بوجوده وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الوثاق به صار ذا أمن (قوله ومعنى) أى وقد يضمن معنى الخ (قوله ومنه فآمن الخ) وقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قوله من الدين) كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء (قوله اجالا) كالملائكة والكتب والرسول (قوله تفصيلا) كجبريل وموسى والانجيل (قوله كذلك) وعليه الأشاعرة ووافقهم على ذلك الصالحى وابن الراوندى من المعتزلة (قوله الاذعان) أى الانقياد وعدم العصيان (قوله لحكم المخبر الخ) والتكليف بذلك وان كان من الكيفيات

بعد العلم بصدقه لا يشهد العلم فقط فانه لا يكفي لان كثير من اليهود وغيرهم من الكفرة كانوا يعرفون صدقه ولم يكونوا مؤمنين بذلك كما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله عز من قائل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعمون فالإيمان على التحقيق وهو ما عليه جماهير المحدثين والفحول من أساطين الدين مغاير للمعرفة وان نشأ عنها اذ هو على ما قررت نسبة الصدق بالقلب أو اللسان الى القائل وهو فعل وهي ليست بفعل بل من قبيل الكيف فهو اذا غير منقول عن معناه اللغوي الذي هو التصديق الا انه اعتبر فيه شرطان أحدهما المعرفة التي هي منشؤه ومصدره والآخر الانقياد والاستسلام لذي هو محققه ومظهره واعتبارهما شرطين لا جراء أحكامه الشرعية أولى من اعتبارهما في مفهومه الشرعي شطرين اذ يلزم الثاني النقل عن المعنى اللغوي وهو لا يصار اليه بلا دليل بل الدليل على خلافه حيث كثر طلبه من العرب ولم يسمع استفسار أحد منهم عنه وما وقع في الاستفسار عنه في الأحاديث كحديث سؤال جبريل النبي أخرجه الشيخان وغيره قائما هو عن متعلقاته ودليل ذلك ما وقع عليه الجواب مطابقا لما انضم اليه الخطاب ثم اعلم ان هذا التصديق الناشئ عن المعرفة والاستسلام لا يشترط ان يكون عن دليل موجب للعلم يقتضاه بل لو حصل قهريا كفي على الأصح اذ المقصود من الدليل البسوغ به الى المطلوب والتوصل الى المقصود فاذا حصل تم المطلوب وأفاد المأرب وهذا الذي ذكرناه من بيان حقيقة الإيمان المفيد السلوك في سبيل المؤمنين يوم القيامة عند رب

النفسيات دون الأفعال الاختيارية بالتكليف بأسبابه كالقاء الذهن أو صرف الذهن وتوجيه الحواس ورفع الموانع (قوله العلم) أي المعرفة كما ذهب اليه الجهم بن صفوان (قوله آتيناهم) يعني علماءهم (قوله يعرفونه) انضمير للرسول (قوله أبناءهم) أي يعرفونه بأوصافه كعرفتهم أبناءهم لا يتبسون عليهم وغيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لم أشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت (قوله والتكليف) هو ما لا يقبل القسمة لذاته وان قبلها بواسطة قسمة موضوعه ولا يتوقف تصويره على تصور غيره (قوله فهو) أي الإيمان (قوله شرطان) الشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته (قوله واعتبارهما) أي المعرفة والاستسلام وقوله وهو أي خلاف الأصل (قوله كثر) في الكتاب والسنة (قوله كفي) وظاهر كلام شرح المقاصد انه لا يكفي بذلك العلم القهري بل لابد من تحصيله بعد بطريق الاستدلال ورد بان حصول الاستسلام الباطن بعد حصول العلم القهري حصول المقصود مغن عن استحصاله بتعاطي أسبابه فلو جهه الاكتفاء بحصول القهري المنضم اليه الاستسلام والتكليف بتعاطي الأسباب انما هو لمن لم يحصل له

العالمين هو الذي عليه أغلب المتكلمين فعندهم لو أتى بهذا التصديق على الوجه الذي قررته وبالطريق الذي حررته ولم يأت بالشهادتين فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى لكنه عاص داخل في عداد العصاة على أنه لو طلبت منه فلم يأت بها فهو من الكافرين وأما بالنسبة للأحكام الدنيوية وأجرها عليه فلا بد له من النطق بها فإن الشارع قد جعل الأحكام الشرعية دائرة عليها منوطة بهم ما وأجابوا عن أحاديث حتى يشهدوا وحتى يقولوا بأنه لا يدل على خصوصية ركن القول بل يحتمل الركنية ويحتمل الشرطية لأجراء أحكام الإسلام ويرجح الثاني أنه رتب على القول فيه الكف عن الدم والمال دون النجاة في الآخرة التي هي محل النزاع وكثير من المتكلمين والفقهاء بل نقل الإمام النووي في شرحه لمسلم الاتفاق عليه أنه شرط للنجاة أيضا إلا أنه يحتمل السقوط لعارض خرس ونحوه وأما التصديق بالمعنى السابق فلا يحتمل السقوط ومذهب الخوارج يشترط انضمام اقرار اللسان وعمل سائر الجوارح اليه فها ركان منضمين إلى التصديق عندهم فمن أدخل بواحد من هذه الثلاثة فهو كافر ومذهب الكرامية

ذلك العلم القهري (قوله لكنه عاص) بل لكل من الأئمة الأربعة قول أنه مؤمن عاص بترك التلطف وبه يعترض دعوى الإمام النووي في شرح مسلم اتفاق أهل السنة والمحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخالفا في النار (قوله فلا بد من النطق بهما) وهو أصح الروايتين عن الأشعري وعليه المتريدى (قوله منوطة بهما) والحاصل أن الإيمان على طريقة المتكلمين له حقيقتان النجاة في الآخرة وشرطها التصديق فقط وأجراء أحكام الدنيا ومنطها النطق بالشهادتين مع عدم السجود لغير الله ورمى المصحف بقاذورة وغير ذلك من الصور التي حكم الفقهاء بأنها كفر فالنطق غير داخل في حقيقة الإيمان وإنما هو شرط لأجراء الأحكام الدنيوية (قوله وأجابوا) أي المتكلمون (قوله عن أحاديث) كقوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الحديث (قوله وحتى يقولوا) كافي رواية (قوله ويرجح الثاني) أي احتمال الشرطية (قوله أنه) صلى الله عليه وسلم (قوله عن الدم والمال) حيث قال صلى الله عليه وسلم فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم (قوله دون النجاة في الآخرة) حيث قال وحسابهم على الله (قوله أنه شرط الخ) ومن جعله شرط الميردانه ركن حقيقي والاليم يسقط عند العجز والاكراه بل أنه دال على الحقيقة التي هي التصديق إذ لا يمكن الاطلاع عليها (قوله ركان) الركن هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم (قوله الكرامية) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام قيل هو بكسر الكاف وتخفيف الراء كما ذكره في شرح المواقف وهو الصحيح وإن كان المشهور تشديد الراء كما ذكره السبكي

هو التلطف بالشهادتين ثم ان طابقه تصديق القلب فهو ناج والا فهو مخلد في النار وفي الحقيقة ليس لهم كبير خلاف لان انطابقهم في آخر ما وردوه وفصلوه وعند المعتزلة هما أيضا ركان معتبران كما تقوله الخوارج الا ان الخوارج أدخاوا من أخل بالاعمال في عدد الكفار ولم تدخله المعتزلة بل حكموا عليه بالمنزلة بين المنزلتين فليس هو مؤمن ولا كافر ومع ذلك فهو مخلد في النار وبينهما فرق آخر من حيث الذنوب فعند المعتزلة هذا الحكم في الكفار وعند الخوارج في الجميع اذ لا صغيرة عندهم وعند جميع المحدثين وهو مذهب الامام مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهو المروي عن التابعين يشترط انضمام عمل سائر الجوارح لاعلى وجه الركنية بل على وجه التكميل فن أخل بأعماله فلا ينزع منه أصل الايمان الموجب للخلاص او في النيران بل ينزع منه كماله الموجب للموالاتة من المسامحين والثناء عليه من رب العالمين فحكمه الاثبات مع النفي والنفي مع الاثبات وبذلك سماه الحسن البصري منافقا لما عمل بخلاف ما كان يقتضيه تصديقه المتين المنبئ عن ضعف اليقين الذي هو من سمات المنافقين والدليل الواضح على تخلخل اليقين الذي هو من أوضح الشعب للدين وقد عقد البخاري أبوابه في كتاب الايمان من صحيحه على ذلك وعقد بابا للنقل أقوال السلف انه قول وعمل ويزيد وينقص فهنا شيان أحدهما كونه قولاً وعملاً والثاني كونه يزيد وينقص والمراد بالقول ما هو أعم من النطق بالشهادتين والقول القلبي واما العمل فالمراد به أيضا ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات وأرادوا بذلك ان الاعمال

(قوله التلطف بالشهادتين فقط) فلما وافقون عندهم مؤمنون كما هو الايمان اكن يقولون انهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به وقولهم ظاهر الفساد وذهب الجهم بن صفوان الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب وهذا القول أظهر فسادا مما قبله فان لازمه ان فرعون وقومه كانوا مؤمنين فانهم عرفوا صدق موسى وهرون ولم يؤمنوا بهما كما قال تعالى وحججوا بها واستيقنتها أنفسهم وكذلك أهل الكتاب فانهم كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم بل ابليس يكون عند الجهم مؤمنا كامل الايمان فانه عارف ربه (قوله التابعين) جمع تابعي وهو صاحب الصحابي (قوله على وجه التكميل) فهو عندهم تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالأركان فهذا هو مذهب السلف (قوله فن أخل) بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فكافر كما تقدم ومن أخل بأعماله الخ (قوله بل ينزع منه كماله الخ) فهو فاسق وفاقاو كافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة (قوله الاثبات) أي اثبات الايمان مع نفي كمال الايمان (قوله سمات) علامات (قوله كونه) أي الايمان (قوله والمراد بالقول) ليس هو اللفظ فقط بل ما هو أعم الخ (قوله أيضا) كالقول

أشترط في كماله وهذا الذي شرحناه وعلى جميع الفرق فصلناه إنما هو بالنظر إلى ما عند الله وإما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط فمن أقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر إلا أن يصدر منه ما يدل على كفره إما بقوله أو بأفعاله أو بسوء اعتقاده على ما هو منصوص في أبواب الردة من كتب الفقه وغيرها فمن ارتكب معصية فليس بكافر بالنظر إلى إقراره ومن أطلق عليه الكفر قبل النظر إلى أفعاله وكذلك من نفي عنه الإيمان قبل النظر إلى الواجب من كماله كما أن من نفي الكفر قبل النظر إلى حقيقة حاله وقد نقل هذا القول عن السلف عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وابن جريج ومعه من وغيرهم وهؤلاء الفقهاء الأماص في عصرهم وكذلك نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم ونقل البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأماص فرأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وأطنب ابن أبي حاتم في نقل ذلك بالأسانيد عن كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد انتهت مجمل ما قررت في كونه قولاً وعملًا وما كونه يزيد وينقص فالفائلون بذلك يقولون بأن مجرد التصديق من غير نظر لا ينضمم العمل المأخوذ في مفهومه قابل لهما وقد جعلهم على ذلك الآيات والأحاديث الواردة في قبوله الزيادة والنقصان مما ذكره البخاري في صحيحه وغيره من المحدثين والعلماء السالفين قالوا لا مانع عقلاً من قبوله لهما إذا ليقين الأخص من التصديق متفاوت ضعفاً وقوة فيهما وأيضاً فكل أحد يقطع بأن تصديقنا ليس كتصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(قوله ونقل البخاري الخ) كما قال ذلك عنه ابن وضاح ومكي بن خلف (قوله الآيات) كقوله الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقوله تعالى ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم وقوله تعالى وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيماناً وقوله تعالى ويزداد الذين آمنوا إيماناً إلى غير ذلك من الآيات (قوله والأحاديث الخ) منها قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وكقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان فإنه جعل الإنكار بالقاب وحده أضعف من الإنكار باللسان أو اليد وكذلك حكم صلى الله عليه وسلم بنقصان دين النساء وعمل ذلك بقوله تمكث أحداهن شطراً ثم تهرها لا تصلي إلى غير ذلك من الاختيار (قوله فيهما) ألا ترى إلى ما بين أجلي البديهيات ككون الواحد نصف الاثنين وأخفى النظريات القطاعية ككون العالم حادثاً (قوله ليس كتصديق أبي بكر) فإن التصديق

والمانعون لهم منعوهما بالنسبة لذات التصديق دون آثاره الخارجة عنه ثم قالوا وتفاوت اليقين ليس تفاوتاً في الشدة والضعف بل في التقدم والتأخر وظهوراً وكشافاً أو غير ذلك من تظافر الأدلة فيزيد بذلك في القلب اشراقه إلى غير ذلك ورام بعض المتكلمين التوفيق فقال الصحيح ان نفس التصديق لا يقبلها وإنما يقبلها الإيمان الشرعي بزيادة ثمراته من الأعمال ونقصها والذي عليه المحققون وذكره الكثير من شراح الحديث وغيرهم ان نفس التصديق يزيد بزيادة النظر وتظاهر الأدلة وينقص كذلك ولا يشك عاقل في ان إيمان آحاد فساد المؤمنين ليس كإيمان جبريل ومن ثم قال الامام البخاري عن ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين صحابياً كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على إيمان جبرائيل وميكائيل وفي الباب مسائل كثيرة

من الخفيات النفسانية المتفاوتة قوة وضعفاً (قوله والمانعون الخ) وهم أبو حنيفة وأتباعه واختاره من الأشاعرة امام الحرمين (قوله بعض المتكلمين) بل كثير منهم ومعهم الامام الرازي (قوله لا يقبلها) لان الواجب هو اليقين وانه لا يقبل التفاوت لا بحسب ذاته لان التفاوت انما هو لاحتمال النقيض واحتماله ولو بابعده ينال في اليقين فلا يجامعه ولا يحسب متعلقه لانه جميع ما علم بالضرورة محيى الرسول به والجميع من حيث هو جميع لا يتصور فيه تعدد والال يمكن جميعاً ورد بأن قولهم الواجب هو اليقين والتفاوت لا يكون الا لاحتمال النقيض ممنوع لم لا يجوز ان يكون التفاوت بالقوة والضعف بلا احتمال النقيض ثم ذلك الذي ذكره يقتضي ان إيمان النبي وآحاد الأمة سواء وهو باطل اجماعاً وقولهم لانه جميع ما علم الخ مردوداً أيضاً بأن التصديق التفصيلي في افراد ما علم بحجته به جزء من الإيمان يشاب عليه ثوابه على تصديقه بالاجمال يعني ان افراد ما جاء به متعددة ودخلة في التصديق الاجمالي فاذا علم واحد ادا بالخصوص وصدق به كان هذا تصديقاً مغايراً لذلك التصديق المجمل وجزأ من الإيمان ولا شك ان التصديقات التفصيلية تقبل الزيادة فكذلك الإيمان (قوله بزيادة ثمراته من الأعمال ونقصها) أي جعل الخلاف لفظياً فرع تفسير الإيمان فان فسر الإيمان بالتصديق فلا يقبلها وقد علمت رده وان فسر بالأعمال وحدها أو مع التصديق فيقبلها وهو ظاهر (قوله المحققون) جمع محقق من التحقيق وهو اثبات المسائل بالدلائل ويطلق على العلم بالاشياء على ما هي عليه وعلى بيان حقيقة الشيء على الوجه الحق (قوله وغيرهم) من المتكلمين وغيرهم (قوله على إيمان جبريل وميكائيل) والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين كثيرة كقول عمر رضي الله عنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجع بهم وكان يقول تعالوا بنا نردد إيماناً وعنى على رضي الله عنه انه قال الإيمان يبدو لمطة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللطة قال الجوهرى اللطة بالضم كالنكتة من البياض وعنه انه قال الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان

بما نحن فيه ومما وقع عليه الخلاف كالقول المختار من كون الايمان محالاً لكونه فعل العبد وفعله مخلوق ومن جواز تعاقبه بالمشيئة على وجه التبرك والجهل بالخاتمة ومن بقاء حكمه الشرعي مع النوم والانغماء والغفلة والجنون نظير بقاء النكاح وغيره من سائر العقود في هذه الاحوال لا تتحمله مثل هذه المجازاة ولكون مسائل الايمان والكفر والنفاق من المسائل الحقيقية بالاهتمام لان الله سبحانه علق عليها السعادة والشقاوة والاختلاف الواقع في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الامة بين الصحابة والخوارج ثم حدث خلاف المعتزلة ثم خلاف المرجئة

لمن لا صبر له وعن حذيفة رضي الله عنه يخرج من النار من كان في قلبه وزن ذرة صغيرة من الايمان ومن كان في قلبه وزن حبة خردل من ايمان الى غير ذلك (قوله بما نحن فيه) من الدلالة على زيادة الايمان ونقصائه منها ان الطفل المحكوم بايمانه تبعاً لأحد أصوله اذا بلغ عاقلاً فحدث اعتقاداً واقراراً كانا من ايمانه اذ اعلی ايمانه الأول وكذلك الآخر من اذا اعتقد ثم زال خرسه فافر وكذلك من آمن بالله ورسوله ثم لم يعلم وجوب الصلاة عليه قبلها كان ذلك ايمانه فاذا علم الزكاة وقبلها فكذا ذلك وهكذا سائر شعب الايمان فإزان يكون للايمان امدادات اذا تلاحقت زاد الايمان (قوله وفعله مخلوق) اذا الايمان التصديق بالجنان أو مع الافرار باللسان وكل منهما فعل العبد وهو مخلوق لله تعالى كما حققناه (قوله والجهل بالخاتمة) واليه ذهب كثير من السلف وهو المحكي عن الشافعية والمالكية والحنابلة والأشاعرة ومنعه بعضهم وعليه أبو حنيفة وأصحابه قالوا وانما يقول أنا مؤمن حقاً وفي شرح مسلم عن بعض المتكلمين لا يقول أنا مؤمن ويقتصر عليه بل يضم اليه ان شاء الله وعن الاوزاعي وغيره التخيير وهو حسن صحيح اذ من أطلق نظراً الى انه جازم في الحال ومن قال ان شاء الله فاما التبرك أو للجهل بالخاتمة والكافر في التقييد بان شاء الله كالمسلم انتهى ملخصاً وليس الخلاف فيمن يأتي بان شاء الله شاك في ثبوت الايمان له حالاً لانه كافر بل فيمن هو جازم به حالاً غير ان بقاءه الى الموت عليه غير معلوم (قوله مع النوم الخ) فهو باق حكماً وشرعاً (قوله والخوارج) وهم سبع فرق المحكمة وهم الذين خرجوا على علي عند التحكيم واليهسية وهم أصحاب يهس ابن ابيصم بن جابر والازارقة أصحاب نافع بن الازرق والنجدات أصحاب نجدة بن عامر التجفي والصفرية أصحاب زياد بن الاصفر والاباضية أصحاب عبد الله بن اباض والمجاردة أصحاب عبد الرحمن بن عجرود وبيان عقائدهم واقتراح فرقهم مذكور في الكتب الكلامية (قوله المعتزلة) أصحاب واصل بن عطاء سمي هو وأصحابه معتزلة لما روى انه دخل على الحسن فقال يا امام الدين ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة يعني الخوارج وجماعة آخرون يرجئون أهل الكبائر ويقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا ان نعتقد في ذلك فتفكر الحسن

القائلين بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وسموا بذلك لأرجائهم الأمر كان المتعين على كل أحد الاعتناء بتلك المسائل والنظر بعين الفكر إلى تلك المطالب والوسائل وهذا ما انتهى إليه الكلام على وجه الاختصار في تحقيق حقيقة الإيمان وأما الكلام في الإسلام فالإسلام لغة الطاعة والانقياد وشرعا الانقياد والاستسلام إلى الأعمال الظاهرة وبهذا المعنى الشرعي الموافق للمعنى اللغوي يتوافق مع الإيمان فهما على هذا المعنى متلازمان وقد يطلق بمعنى آخر شرعي فقط على الأعمال الظاهرة فله حينئذ معنيان شرعيان باعتبار تعلقهما ما لانه يتعلق بالمعنى الأول باعتبار المبدأ والمنشأ والمعنى الثاني باعتبار التحقق والمظهر وقد أطلق بعضهم اسم المرادف على الإيمان

وقبل أن يجب قال واصل أنا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا ثم قام إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وثبت له المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن قد اعتزل عنا واصل فلذلك سمى هو وأصحابه معتزلة قلت فعلى هذه الرواية يقتضى أن خلاف المرتبة حدث قبل خلاف المعتزلة ويلقبون بالقدرية لاسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها وهم عشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا الواسلية أصحاب واصل بن عطاء والعمرية أصحاب عمرو بن عبيد والهادية أصحاب أبي الهذيل العلاف والنظامية أصحاب النظام والاسكافية أصحاب أبي جعفر الاسكاف والجعفرية أصحاب جعفر بن جعفر بن مبشر بن حرب والمزدارية أصحاب عيسى المزدار والشمسية أصحاب هشام بن عمر القرظي والصاحبية أصحاب الصالحى والحائطية أصحاب أجهس بن حائط والحديبية أصحاب فضل الحديبي والمعمرية أصحاب معمر بن عباد السلمى والشمسية أصحاب ثمامة ابن أشرس والحياطية أصحاب الحسين الحياط والحياطية أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ والكعبية أصحاب أبي القاسم الكعبي والجبائية أصحاب أبي على الجبائي والاسدارية أصحاب الاسداری والبشرية أصحاب بشر بن المعتمر والبشمية لانفراد أبي هاشم عن أبيه وبيان معتقداتهم مذكور في الكتب الكلامية (قوله لأرجائهم الأمر) أى تأخيرهم لانهم يؤخرون العمل عن النية وعن الاعتقاد من أرجأ أى أخره ومنه أرجه وأخاه أى أمهله وأخره وفرقهم خمس اليونسية أصحاب يونس النيرى والعبيدية أصحاب عبيد المكذب والغسانية أصحاب غسان الكوفي والثوبانية أصحاب ثوبان المرجي والتومنية أصحاب أبي معاذ التومنى وبيان عقائدهم مذكور في الكتب الكلامية (قوله متلازمان) يتمتع انفكاك أحدهما عن الآخر (قوله فله) أى الإسلام (قوله والمنشأ) انه هو ناسى عن ذلك (قوله والمظهر) اذ لا يتحقق ولا يظهر الا بهما

والاسلام والأظهر الذي قاله بعض المحققين واستصوب به الجهم الغفير من الاساطين انهما متلازمان المفهوم فلا يعتبر في الخارج إيمان بلا اسلام ولا عكسه اذ لا ينفك أحد هما عن الآخر ودليل ذلك قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً فان الاسلام يتناول العمل والاعتقاد معاً لان العامل الغير المعتقد ليس بذي دين مرضي ولا يصح أعماله بدون صحة الاعتقاد وقال تعالى ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ولا يكون دين الاسلام مقبولا الا بانضمام التصديق اليه وبما فصلت استدلال الامام المزني وأبو الحسين البغوي على تلازمها فلا يكون المسلم مساماً اسلاماً مقبولا الا اذا كان مؤمناً وكذلك لا يكون المؤمن مؤمناً مقبولا حتى يكون مساماً وقد ينفك الاسلام عن الايمان اذا أريد به الاعمال الظاهرة كما بسطنا في تحرير المعنيين وصحة الاطلاقين اذا علمت ذلك وتبينته هان عليك تقرير الأحاديث التي وردت في بيان الايمان والاسلام في حديث سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الشيخان فاجابه عن الايمان بمتعلقاته من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

(قوله والاسلام) وجعلوا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان الاسلام شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة الخديث أي ان شعائر الاسلام والاصل عدم التقدير مع انهم قالوا ان الايمان هو التصديق بالقلب ثم قالوا الاسلام والايمان شيء واحد فيكون الاسلام هو التصديق وهذا الميقال أحد من أهل اللغة وانما هو الطاعة والانقياد (قوله انهما) أي الايمان والاسلام (قوله مساماً) اذ لا بد للمؤمن من اسلام به يتحقق ايمانه ولا بد للمسلم من ايمان به يصلح اسلامه (قوله هان) سهل وخف (قوله بالله) أي بأنه تعالى واحداً في ذاته ووصفاته وأفعاله لا شريك له في الربوبية ولا في الألوهية وهي استحقاق العبادة الى غير ذلك مما سيأتي وبما مر (قوله وملائكته) جمع ملك على غير قياس أو جمع ملائك على مفعول اذ هو من اللوكة وهي الرسالة ثم خفف بنقل الحركة والحدف فصار ملاكاً وقيل فيه غير ذلك والشاء لثابت الجمع وقيل للبالغة غلبت في الاجسام النورانية المبرأة عن الكذب كما برأت عن الجسمانية القادرة على التشكل بالاشكال المختلفة أي بانهم عباد له مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون و بانهم سفراء الله بينه وبين خلقه صادقون فيما أخبروا به عنه وانهم بالغون من الكثرة ما لا يعامه الا الله (قوله وكتبه) أي بانها كلام الله تعالى و بأنه تعالى أنزلها على بعض رسله وبأن كل ما تضمنته حق وصدق وبعض أحكامها نسخ وبعضها لم ينسخ قال الزمخشري وغيره وهي مائة كتاب وأربعة كتب أنزل منها خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم وعشرة على ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور والفرقان (قوله ورسله) أي بأنه أرسلهم الى الخلق الى غير ذلك مما سيأتي (قوله واليوم الآخر) وهو من الموت الى آخر

وبالقدرة خير وشرة وعن الاسلام بالأعمال الظاهرة من النطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان وعكس في الجواب في حديث عبد القيس الذي رواه الشيخان فأجاب عن الايمان بالأعمال الظاهرة المذكورة الا انه جعل بدل الحج اعطاء الخس من المغنم وغير ذلك من الأحاديث التي اجتمع فيها ذكر الايمان والاسلام معا أو ذكر أحدهما فقط وكذلك الآيات كقوله تعالى فأخرجناه من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وقوله عز من قائل قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا الى غير ذلك من الآيات التي ورد فيها الايمان مقرونا بالاسلام أو مفروقا عنه بحيث ورد ما يدل على تغايرهما باقتراءهما فهو باعتبار ان المراد بالاسلام معناه الثاني الذي قدمناه وهو الأعمال الظاهرة وحيث ورد ما يدل على اتحادهما بانفراد أحدهما فهو باعتبار تلازم المفهومين على ما حقق أو ترادفهما على ما قيل وإطلاق الايمان في حديث عبد القيس على الأعمال باعتبار انها متعلق بمفهوميهما المتلازمين وهما التصديق والانقياد أو ما حديث جبريل المذكور فيه الايمان والاسلام معا فالمراد بالاسلام فيه بالمعنى الآخر الذي هو الأعمال الظاهرة فقط المقرونة بالايمان المفسر معه بذلك متعلقاته والآيات المذكورة جارية على هذا الأسلوب من ان المراد بالاسلام فيها الأعمال الظاهرة باقتراءه مع الايمان ويؤيده ما ورد

ما يقع يوم القيامة أي بوجوده وما اشتمل عليه من عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين وغير ذلك مما مر (قوله وبالقدر خير وشرة) أي بأن ما قدره الله من الازل لا بد من وقوعه وما لم يقدره مستحيل وقوعه وبأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضائه وقدره وارادته (قوله بالشهادتين) وسيأتي تحقيقهما (قوله والصلاة) وهي لغة الدعاء بخير وشرا أفعال مفعلة مفتوحة بالكسرة مختمة بالتسليم غالبا (قوله والزكاة) وهي لغة النماء وشرا اسم للخروج من المال (قوله والحج) هو بفتح الحاء وكسر هاء لغة القصد الى معظم وشرعا زيارة مخصوصة في زمن مخصوص بفعل مخصوص (قوله وصيام) هو لغة الامساك وشرعا امساك مخصوص (قوله المغنم) وهو ما أخذ من الكفار عنوة والحرب قائمة (قوله من المؤمنين) ممن آمن بالوط والآية في الذاريات (قوله غيريت) أي أهل بيت (قوله أو ترادفهما) الترادف هو الاتحاد في المعنى دون اللفظ كالانسان والبشر (قوله على ما قيل) وقد علمت فساد (قوله وإطلاق الايمان) جواب سؤال مقدر تقديره هو ان بتفسير الاسلام بما ذكرنا وبإطلاقه على ما حققت من المعنيين يستقيم تقرير الأحاديث التي ظاهرها التعارض لكن إطلاق الايمان على الأعمال الظاهرة في الحديث المذكور لا يستقيم على تفسيره للايمان فما تقول عنه فأجاب بقوله وإطلاق الح

عن ابن عباس وغيره انهم لم يكونوا منافقين بل كان اسلامهم ضعيفا ويدل عليه قوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله الى آخرها الدال على ان معهم من الايمان ما تقبل معه اعمالهم وحينئذ يؤخذ منه انه يجوز في الايمان عن ناقصه وعليه الأحاديث الواردة بمثل ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وله محامل غير ذلك مما لو استقصيناها لطلال المقال واستوسع المجال فأدنى الى الملال لكن نذكر ما قاله ابن القيم في رسالته في بيان الطجرتين الى الله ورسوله عند قوله تعالى فأخرجنا من كان فيهما من المؤمنين فواوجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال فرق بين الاسلام والايمان هنا السراقة ضاه الكلامان فان الاخراج هنا عبارة عن النجاة فهو اخراج نجاة من العذاب ولا ريب ان هذا مختص بالمؤمنين المتبعين للرسول ظاهر او باطنا وقوله فواوجدنا فيها غير بيت من المسلمين لما كان للوجودين من المخرجين أو وقع اسم الاسلام عليهم لان امرأة لوط كانت من أهل هذا البيت وهي مسلمة في الظاهر فكانت في البيت الموجودين لافي القوم الناجين وقد أخبر الله سبحانه عن خيانة امرأة لوط له وخيانتها انها كانت تدل قومها على أضيافه وقاهبهم معهم وليست خيانة فاحشة فكانت من أهل بيت المسلمين ظاهرا وليست من المؤمنين الناجين ومن وضع دلالات القرآن وألفاظه مواضعها تبين له من أسرارها وحكمها ما يهمل العقول ويعلم منه التنزيل من حكيم حميد وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور وهو ان الاسلام أعم من الايمان فكيف استثنى الأعم من الأخص وقاعدة الاستثناء تقتضي العكس ويتبين ان المسلمين مستثنون مما وقع عليه فعل الوجود والمؤمنين غير مستثنى منهم بل هم المخرجون الناجون انتهى ما قاله بحروفه اذا عامت ذلك فاعلم ان لها أوزانا كثيرة وأمثلة مشهورة غزيرة فمنها الفقير والمسكين فانه اذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما دل عليه الآخرون قرن بينهم ما تغايرا فإيراد الفقير حينئذ من كان محتاجا بالمسكين من أسكنته الحاجة وان كان له ما يستمسك من حاجته بملك أو كسب حلال لا نقي والكنه لا يكفيه الكفاية اللازمة بحاله كن يحتاج لعشرة وعندة ثمانية الى آخر ما قررره في هذا المبحث ومنها البر والتقوى والفسوق والعصيان والمنكر والفاحشة وغير ذلك من الأشباه والنظائر

(قوله ابن عباس وغيره) في تفسير الآية وهو أصح التفسيرين (قوله الى آخرها) هي لا يترككم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم والآية في الحجرات (قوله وهو مؤمن) وفيه قولان أحدهما هذا والثاني لا ينفي عنه اسم الايمان من أصله ولا يطلق عليه لايهامه كمال ايمانه بل يقيد فيقال مؤمن ناقص الايمان وأما اسم الاسلام فلا ينفي باتتفاء كمن من أركانه بل ولا باتتفاء جميعها ما عدا الشهادتين وكان الفرق ان نفيه يتبادر منه اثبات الكفر بمبادرة ظاهرة بخلاف نفي الايمان قاله ابن حجر (قوله العكس) أي استثناء الأخص من الأعم (قوله والنظائر) كالإثم والعدوان

وليكن الكلام الآن في البر والتقوى وهو ان حقيقة البر الكمال المطلوب والمنافع التي في الشيء فالبر كلمة جامعة لجميع أنواع الخير والكمال المطلوبين من العبيد ويقابله الاثم فان الائم كلمة جامعة للشر والعيوب التي تدم عليها العبيد فيدخل في مسمى البر الايمان واجزاؤه الظاهرة والباطنة ولا ريب ان التقوى جزء هذا المعنى قد دل عليها البر بالدلالة التضمنية لكونها جزء مفهومه وأكثر ما يعبر بالبر عن بر القلب وهو وجود طمع الايمان فيه وحالاته وما يلزم ذلك من طمأنينته وسلامته وانشراحه وقوته وفرحه بالايمان كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فان للايمان فرحة وحلاوة ولذا في القلب فن لم يجدها فهو فاقد للايمان أو ناقصه وهو من الذين قال الله عز وجل فيهم قالت الأعراب آمنوا قل لم نؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم فهو لاء على أصح القولين مسامون غير منافقين وليسوا بمؤمنين اذ لم يدخل الايمان في قلوبهم فيباسبها حقيقة وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله ايماناً واحتساباً أمرأوسياً فيفعل ما أمر الله به ايماناً بالأمر وتصديقاً بموعده ويترك ما نهى الله عنه ايماناً بالنهي وخوفاً من وعيده وكل عمل لا بد له من مبدء وغاية فلا يكون العمل طاعة وقرية حتى يكون مصدره عن الايمان ويكون هو الباعث عليه وغايته ابتغاء مرضاة الله وهو الاحتساب وبهذا يقرن بينهما كما في قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايماناً واحتساباً الى آخره وقوله من قام ليلة القدر ايماناً واحتساباً الى غير ذلك من نظائر مولا شك ان البر داخل في مسمى التقوى الذي هو جامع لجميع أصول الدين وفروعه هذا اذا افتراقا وعند اقتران أحدهما بالآخر فالفرق بينهما فرق ما بين السبب المقصود والغاية المقصودة لنفسها فان البر مطلوب لنفسه اذ هو كمال العبد وصلاحه وأما التقوى فهي الطريق اليه لانها مأخوذة من الوقاية فاصلها وقوى والوقاية وسيلة وفي ذلك غنية لمن تدبر وتأمل حق التأمل واستبصر وبالجملة فجميع

والتوبة والاستغفار وأمثال ذلك (قوله ايماناً) تصديقاً بثوابه وقوله واحتساباً اخلاصاً وانتصابهم على الحالية أو على انه مفعول له (قوله الى آخره) أي غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله من قام ليلة القدر) أي أحيائها (قوله احتساباً) غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله من نظائره) كقوله صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله وقوى) قابت واوها التي هي فاء الكلمة تاء ولزمت في تصريف الكلمة كما قبلت في تجاه فالتقوى في اللغة فرط الصيانة وأما معناها الشرعي فينقسم الى قسمين قسم عام لانواعها وهو الصيانة والاجتناب عن كل مضر يخاف في الآخرة وهو التقوى المرادة من قوله تعالى واتقوا الله حتى تقاته وقسم خاص ببعض أنواعها وهو المتعارف في الشرع المراد عند الإطلاق وعدم القرينة وهو صيانة النفس عما يستحق به العقوبة من فعل للعصية أو ترك للطاعة فاجتناب الكبار لازم في هذا المعنى الحاضر

ما يذكر في الآيات والأحاديث من بيان متعلقات الإيمان وشرائع الإسلام الباطنة والظاهرة فهو بيان
لجل يشملها اسم الدين وهو دين الإسلام المرصى عند رب العالمين والدين يطلق بوجه الاشتراك لغة
على العادة والسيرة والحساب والقهر والقضاء والحكم والطاعة والخال والجزاء ومنه مالك يوم الدين
والسياسة والرأى ودان عصي وأطاع وعز وذل فهو من الأضداد وشرايع اسم لما شرعه لنا ووضع
الهي سائق لنسوى العقول باختيارهم المحمود إلى ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم وهو والملة والشرعية
ألفاظ متساوية تختلف مفاهيمها وتتحد مصادقاتها فهو من حيث أنه يدان أى يخضع ويطاع له
يسمى ديناً ومن حيث أنه يجتمع على أحكامه يسمى ملة ومن حيث أنه يقصد لا نقاذ النفوس من
المهلكات يسمى شريعة وهو دين الإسلام الذى لا يرضى الله سبحانه بغيره قال تبارك وتعالى ان
الدين عند الله الإسلام وهو الدين الخالص من كل ما يشوبه من كفر أو شرك أو نفاق ففيها وان
حصل دين أى طاعة إلا أنهم لم تخلص لرب الأرباب وخالق المسببات والأسباب كما قال تعالى فاعبدوه
مخلصاً للدين ألا الله الدين الخالص وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وما أعظم هذا الدين
وأحلاه في القلوب وما جزاء من أخلصه فخالطت بشاشته فؤاده عند علام الغيوب ولقد كان صلى الله
عليه وسلم يكثر من ان يقول في دعائه اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فانظر الى سيد الشفعاء

باتفاق لدخوله تحت الترك المعبر في حقيقة وأما الصغائر فقل لا يعتبر لتحققة تركها إلا نكفرة
عن مجتنب الكبائر كما قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فليستحق
بها العقوبة وقيل نعم يستحقها لوجود صورة الذنب وأما الكبائر المذكورة في الآية فقد جعلها بعض
المفسرين على أنواع الشرك لاجل مقابل الصغائر ويؤيده ما صرح به العلماء ان العقاب من الله
تعالى على الصغيرة جائز عقلاً وشراً ولو مع اجتناب الكبائر هذا هو مذهب أهل السنة (قوله لغة)
على أمور كثيرة كما في القاموس منها اطلاقه على العادة الخ (قوله يوم الدين) وكما تدان
(قوله وتتحد مصادقاتها) فهم متحدون بالذات ومختلفون بالاعتبار (قوله شريعة) تشبيهاً
لها بشريعة الماء من حيث انها تقصد لا نقاذ النفوس من العطب والجهة الجامعة ان في الشريعة حياة
الاشباح وفي الدين حياة الارواح بل فيه حياة الارواح والاشباح وعليه تكون الجهة الجامعة القصد
للا نقاذ (قوله ان الدين عند الله الاسلام) لا يقال ان هذا مناف لما هو المختار من ان الدين اسم
جامع للإيمان والاسلام لاننا نقول ان الدين كما يطلق على ذلك المجموع يطلق على هذا الفرد اما
بالاشتراك أو الحقيقة والمجاز أو التواطئ أو غير ذلك (قوله مخلصاً للدين) من الشرك والرياء
(قوله ألا الله الدين الخالص) أى هو الذى وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فانه المنفرد بصفات
الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر (قوله مخلصين له الدين) لا يشركون به

وأفضل الأنبياء صلى الله عليه وسلم كيف كان يدعو ويطلب تثبيت قلبه الشريف عليه فأنبت أيها
المسكين حري بمعرفة معرفته وأصداده لتبين عندك الأشياء وتعال العلياء وستأتيك تفاصيله
بتفصيل البعض من شرائعه وبيان جوامعه وقواطعه فيقظ لها فكرك واجمع لها ذكرك وفقنا الله
سبحانه لنيل حقائق التصديق وأذاقنا من حلاوة الإيمان المقرون بعلم التحقيق آمين
﴿الباب الرابع في تحقيق معنى كلمة الاخلاص شهادة أن لا اله الا الله﴾

وبيان اعرابها وغير ذلك

اعلم ان هذه الكلمة الطيبة هي التي أرسل الله بها جميع رسله الى عباده وطلب منهم التحقيق بمعنى
مادات عليه من توحيد سبجانه بالوحيته وافراذه في عبادته فوعده من تحقق بها النعيم المقيم وتوعده
من لم يعمل بمقتضاها بالعذاب الأليم فهي العروة الوثقى لمن بها تمسك والقبلة الهادية لمن تعبد وانسك
وتسمى بكلمة الاخلاص لما أفادته من الخالص في معناها وهو موافقة الحال للقال ولما كان الموحد
الآتي بها قد قصر الألوهية على الله تبارك وتعالى في جميع أحواله وأظهر ذلك بمقاله سميت بكلمة
التوحيد لما أفادته من التجريد والتفريد وتسمى بالكلمة الطيبة أيضا لأنها طيبة في نفسها وعند
ربها ذات طيب بلسان قائلها ولذا اذ في قلب الموحد بها وقدم مثلها سبجانه وتعالى بالشجرة الطيبة التي
طاب أصلها وزكي فرعها فأتت أكملها لئلا تكون شبيهة بالنظرين فقال عز من قائل ألم تر كيف
ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها
وضد هذه الكلمة الطيبة الكلمة الخبيثة وهي كل كلمة تضمنت شركا أو كفرا وقدم مثلها سبجانه
بالشجرة المجتثة من فوق الأرض فلا قرار لأصلها فثبتت ولا ارتفاع لفرعها فتزكو فقال تعالى ومثل

(قوله حري) حقيقة (قوله الكلمة الطيبة) وهي كلمة الشهادة (قوله الى عباده) كما سيأتي ذلك في
الباب الخامس (قوله العروة الوثقى) من الحبل الوثيق (قوله تمسك) وهو مستعار لتمسك الحق
(قوله والقبلة) وهي القبلة الح (قوله وتنسك) عطف تفسير على تعبد (قوله موافقة الحال
للقال) وانما سميت بذلك لأنها لا تكون سببا للاخلاص الا اذا كانت مقرونة بالاخلاص
(قوله والتفريد) لله سبحانه عن الاشياء والامثال وسيأتي تحقيق ذلك (قوله وعند ربها)
وطيبة عند ربها (قوله ذات) هي ذات (قوله بالشجرة الطيبة) وقد فسرت بالنبخلة وروى
ذلك مرفوعا (قوله ثابت) في الأرض بعروقه فيها (قوله وفرعها) أعلاها (قوله تؤتي
أكلها) تعطي ثمرها (قوله كل حين) أفتة الله لأثمارها (قوله بإذن ربها) أي بإرادة خالقها
وتكوينه (قوله أو كفرا) أو دعوة الى الكفر أو تكذيبا بالحق (قوله بالشجرة) الخبيثة
وقد فسرت بالحنظل

كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فلا بد من العلم بمعناها ليتحقق
القائل بمعناها ولا ينال الاستعداد المؤدى الى بلوغ المراد الا بمعرفة الامثال والاضداد وبذلك تنال
الرتبة القعساء وبضدها تنبئين الاشياء قال توحيد يضاده الشرك فهي ضدان أو يقابله تقابل العدم
والمملكة فهي مستقابلان ومثل ذلك الكفر والايمان وكذلك الغفلة تناقض الذكر والهووى يناقض
الاخلاص وهذه الاربعة تحجب كثيفة تحجب العبد عما يراه من توحيده واخلاصه وذكره له
وايمانه بربه فاعلم ذلك وتيقن ان ليس المراد من أمر الملك بها التماثل فقط بل العلم والتحقق بما
دلت عليه هذه الكلمة الشريفة فقد أمر الله سبحانه أشرف خلقه بالعلم بها فقال فاعلم أنه لا اله الا هو
وخاطبه تعريضا للغيرنا هيا عن ضدها بقوله عز من قائل لئن أشركت ليحبطن عملك ولتسكونن من
الخاسرين واعلم ان حاصل القول الفصل في هذا ان من تكلم بهذه الكلمة الطيبة مع قرينتها من
الشهادة برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم حكمنا عليه بالاسلام وفوضنا حكمه الى العليم العلام لكن
لا بد في قبوله عند الله سبحانه ان يكون معتقدا لما يقول ولا يكون ذلك الا بعد العلم المقبول ثم لا بد
في العمل بمقتضى عقيدته ان لا يأتي بالنافي فاذا يكون قد أتى بالامر التام الكافي ولما كانت هذه

(قوله اجتثت) استؤصات وأخذت (قوله من فوق الأرض) لان عروقها قريبة
منه (قوله من قرار) أى استقرار (قوله وبذلك) أى بمعرفة الأمثال والاضداد (قوله
القعساء) الرفيعة (قوله ضدان) فالضدان هما المعنيان الوجوديان اللذان بينهما
غاية الخلاف ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالسواد والبياض والمراد بغاية الخلاف
التنافي بينهما بحيث لا يصح اجتماعهما (قوله تقابل العدم والمملكة) والعدم والمملكة هما ثبوت أمر
ونفيه عما من شأنه أن يتصف به كالبصر والعمى مثلاً فالبصر وجودى وهو المملكة والعمى نفيه عما
من شأنه أن يتصف به ولهذا لا يقال فى الحائض أعمى (قوله الاربعة) أى الشرك والكفر والغفلة
والهووى وقوله تحجب جمع حجاب الستر (قوله كثيفة) أى لا يدرك الشئ مما وراءها (قوله
تجب) تستر (قوله بلبه) بعقله (قوله ذلك) أى الذى ذكرناه (قوله بل) المراد العلم
الحق (قوله بمادلت عليه الخ) فان النطق بهما من غير فهم معناهما لا يكفي عند الله تعالى (قوله
أشرف خلقه) محمد صلى الله عليه وسلم (قوله تعريضا للغير) لان الخطاب له صلى الله عليه وسلم
خطاب لأمته (قوله عن ضدها) أى ضد هذه الكلمة الطيبة وهى الكلمة الخبيثة المتقدمة (قوله
لئن أشركت ليحبطن عملك) أو هذا على سبيل الفرض والمراد به اقنات الكفرة والاشعار على
حكم أمتهم (قوله ولتسكونن من الخاسرين) وعطف الخسران على الحبوط من عطف المسبب
على السبب (قوله بعد العلم) بمعناها

الكلمة الطيبة أساس كل ملة وعليها نصب القبلة اعتبرت لها هذه الأمور على الوجه المذكور وأما
الاذكار من غيرها فلا بد من معرفة معناها وقصد ليحصل الثواب لئلا ذكر في شكره وحمده وظاهر
كلام القاضي عياض وغيره أن مجرد الذكرك باللسان لا ثواب فيه بنزلة أصوات ما لا يعقل قال الجلال
البلقيني أنه حق لا شك فيه وقال ابن حجر الهيتمي في شرح العباب وفي الفتاوى الحديثية بعد أن نقل
قول النووي في الذاكار الذكري يكون بالقلب وباللسان والافضل ما كان بهما فإن اقتصر على
أحدهما فالقلب أفضل الدال على أن مجرد الذكرك باللسان يحصل فيه الثواب ولك أن تقول إن أريد
الثواب من حيث اللفظ فالحق عنده لأنه غير متعبد بلفظه أو من حيث المعنى وتعلق القلب به فالحق
الثواب والثاني أفضل فكلامه صريح في أنه إذا كان لذكر حيثيتان حيثية من جهة لفظه وحيثية
من جهة المعنى واشتغال القلب به فالحيثية الثانية أفضل وللاولى فضل لكونها مؤيدة للثانية ووسيلة
إليها وأما إذا لم تكن له إلا الحيثية الأولى كان عارياً عن الثواب والله أعلم ثم إنه لا بد في حصول
الاسلام من التماثل بالاله الا الله محمد رسول الله وهل يكفي ابدال كل كلمة بمرادفها مثل لامعبود
الارزاق مثلاً وأحد رسول الفتاح في ذلك اختلاف كبير ونقل كثير وأغلب العلماء على أن الشارع
لما تعبدنا بهذه الالفاظ بأعيانها وجب علينا الاتيان بها حتى إن كثيراً من العلماء أوجب لفظ أشهد
ولم يكتب بما يراد فهم من أعلم أو اعترف أو غير ذلك قالوا وهو الا حوط للدخول في باب الاسلام

(قوله أساس) أصل (قوله المذكور) ثم استطراد وقال وأما الخ (قوله وغيره) من
الأمّة (قوله ما لا يعقل) فيكون بالهذيان أشبه (قوله وقال) أحد بن حجر الخ (قوله
بالقلب) وهو التفكير في جلال الله وصفاته وآياته في أرضه وسماواته وفي معاني الكتب
والأحاديث واعتباراته وهذا النوع أرفع الذاكار كما ذكره القاضي عياض (قوله أفضل)
لما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة (قوله
الدال) أي قول النووي (قوله باللسان) من غير ملاحظة القلب (قوله إن تقول) هذا
مقول قول ابن حجر (قوله فكلامه) أي كلام ابن حجر (قوله به) أي بالمعنى (قوله وللاولى)
التي هي من جهة اللفظ (قوله مثله الخ) ولك أن تمنع التوازن لأن مفاهيم هذه الالفاظ متغايرة كما
لا يخفى (قوله اختلاف كبير الخ) فالروايات والمآورد على أنه لا يجوز الايمان بغير كلمة لا اله الا الله
وهو ما نقل عن أغلب العلماء وبعضهم يجوز بما يؤدى معناه ومنهم الحليمي (قوله لفظ أشهد)
ويوافق رواية أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا بالحديث وهو ما اعتقده بعض المتأخرين من
الشافعية (قوله من اذلم) أي في افادة مطلق العلم لا مطلقاً لما سئذ كان الشهادة أخص من العلم
وبذلك يجمع بين كلاميه

والخروج عما به يلام بقى حكم قائل ذلك عندنا فى الظاهر لاندخوله فى عدد المساميين وتجري عليه
أحكام المؤمنين فظاهر كلام الروضة عدم الاشتراط ومعنى أشهد أقر بلسانى وأذعن فى قلبى عالما
بذلك عالما خاصا كما ورد فى بعض الأحاديث إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه فى بعض
الحوادث إذا علمت ذلك مثل الشمس فأشهد وإذا كانت الشهادة أخص من العلم لكونها عبارة عن
الناطق الصادر من صميم القواد الصادق فى دعوى الاتحاد كانت حاملة لقائل كلمة التوحيد على العمل
بمقتضاها والقول بموجبه أو ما لا اله فأنه من أسماء الأجناس يقع بأصل وضعه على كل معبود بحق
أو باطل لكنه خصص بالاطلاق على المعبود بالحق وهو الله سبحانه وتعالى والمرجح أنه اسم جنس
غير صفة لأنك نصفه فتقول هو واحد صمد ولا يوصف به فلا تقول شئ الله وهو فى أصل وضعه واشتقاقه
قيل مشتق من أله على وزن علم بمعنى تحير لأن الفطن تدهش فى معرفة المعبود فيكون الإله المألوه فيه
وقيل من أله على وزن ضرب بمعنى عبد فيكون الإله بمعنى المألوه أى المعبود إلا أنه جعل من الموحدين

(قوله بقى) أى لكن بقى (قوله عندنا) أى الشافعية (قوله كلام الروضة) فى
الإيمان (قوله عدم الاشتراط) ويؤيدها كتفاؤهم فى حق من لم يدن بشئ بأمنت وكذا
أؤمن بالله بأن لم يردبه الوعد أو أسلمت لله أو الله خالق أو ربى ثم يأتى بالشهادة الأخرى فإذا اكتفوا
بنحو الله خالق مع أنه لا شئ فيه من الوارد نظرا للمعنى دون اللفظ فالأولى الاكتفاء بالإله إلا الله
كما هو واضح لأنه وجد فيه اللفظ الوارد نظر الرواية حتى يقولوا (قوله ومعنى أشهد أقر)
قلت فعلى هذا يكون معنى الشهادة فى أشهد أن لا إله إلا الله أقرار باللسان وتصديق بالجنان ويشهد
لذلك قول المفسرين إن شهد فى قوله تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم بمعنى بين فى
حق الله تعالى وبمعنى أقر فى حق الملائكة وبمعنى أقر واحتج فى حق أولى العلم من الثقلين فإن قلت
فهنى على هذا المعنى حقيقة أم مجاز قلت ذكرها مجاز لغوى وحقيقة شرعية حيث شبه الإقرار
والتصديق بشهادة الشاهد فى البيان والكشف فأطلق على ذلك الشهادة فيكون من قسم
الاستعارة وإن قلت الأصل أن يكون اللفظ حقيقة فالصارف عنه ههنا قلت الصارف عنه ههنا
عدم استقامة المعنى اللغوى فى هذا المقام إذا الشهادة فى اللغة تحجب معنى الأخبار بصحة الشئ عن
مشاهدة وعيان كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله إذا علمت مثل الشمس فأشهد والافدع وتحجب
بمعنى الحضور كما يقال شهد شهود إذا حضره وتحجب بمعنى القسم كما تقول أشهد بكذا بمعنى أحلف به
وتحجب بمعنى تحمل الشهادة إذا جعلها عليك وتحملتها كما تقول فلان أشهد على الخادثة والواقف مثلا
وكل هذا غير مستقيم كما لا يخفى (قوله أخص من العلم) فكل شهادة علم ولا عكس (قوله
كانت) جواب إذا وقوله حاملة أى باعثة (قوله جنس) وهو ما وضع للماهية من حيث هى

المعبود بحق قاله فعال بمعنى مألوه أى معبود فهو وصفة مشبهة ككتاب بمعنى مكتوب نقبه شهاب عن
البيضاوى فى حاشيته عليه وبما صحح من اسميته يكون قد نقل من الوصفية الى الاسمية كفى كتاب
صيغة ونقل اولاد لاد وقال اميرد هو مشتق من ألهت الى فلان أى سكنت اليه ومنه قول الشاعر

* ألهت اليها والحوادث جنة * فالخلق يسكنون ويطمئنون بذكره وقال الضحاك انما سمي
الها لان الخلق يتألمون اليه فى حوائجهم أى يتضرعون اليه وقيل هو مشتق من الالاد وكل
مرتفع فهو لاد تقول العرب طلعت الالهة تعنى الشمس وقيل من لاد بمعنى احتجب وقيل من
اوله وأصل الاله لاد بفتحة الواو همزة كفى وشاح وشاح لان الخلق يضرعون اليه ويأجئون اليه كما
يأله الطفل الى أمه قاله محيى السنة فى معالمة وقال ابن الأثير فى نهايته ما نصه قال الله تعالى قالوا نعبد
الملك يعنى الذى تلجأ اليه وتستغيث به وسميت أصنام المشركين آلهة لانهم كانوا يلجئون اليها
قال الله تعالى أله مع الله أى أيؤله الى غيره وقوله ويذكرك والاهتسك أى عبادتك ومن قرأ
وأطنتك أراد أصنامك وقالوا الشمس آلهة لانهم عبدوها قال الشاعر * وأعجنا الالهة ان تؤبنا *
وقال أبو الهيثم لاله الا الله أى لا معبود الا الله والتأله التعبد وفى حديث وهيب اذا وقع العبد
فى الهانية الرب لم يجد أحدا يأخذ بقلبه انتهى وحاصل ما تقدم ان الاله اسم جنس يطلق على من
تسأله القلوب بخواص الألوهية التى اجتمعت بالاله الحق سبحانه وتعالى فهو الاله الحقيقى ومتأله
بخواص الألوهية التى أوجبت له افراذه بالعبادة هو الموحى وكل ادعى هذه الخواص أو بعضها
أو ادعى له فهو اله باطل والمدعى له هو المشرك المعطل وسيأتى مزيد بحث لذلك وبيان لخواص
الالهية وما قالته الأئمة الأعلام وما يفرع على ذلك من الأحكام فى الأبواب الآتية وفقها الله لتامها
بمنه وفضله آمين والله علم لذات الواجب تعالى المستحق للعبودية لا يخلق على غيره أصلا وصرح امام

أى من غير اعتبار تغيرها فى الخارج أو النهن (قوله معبود) بحق (قوله شهاب) أى الخفاجى
(قوله كفى كتاب) أى كما فعل ذلك فى كتاب المائى له (قوله من ألهت) على وزن علمت
(قوله ومنه قول الشاعر) هو محمد بن يزيد (قوله يسكنون) أى اليه (قوله من الالاد) وهو
الارتفاع (قوله من لاد) يلىه (قوله احتجب) اذا تدركه الأبصار (قوله أبعدت الواو
همزة) لاستثقال الكسرة عليها (قوله محيى السنة) أى البغوى (قوله تؤبنا) أى ترجع
(قوله فى الهانية) فعلائية بضم (قوله لم يجد أحدا يأخذ بقلبه) أى اذا وقع العبد فى عظمة الله
تعالى وجلاله وغير ذلك من صفاته تعالى وصرف همه اليها أبغض الناس حتى لا يميل قلبه الى أحد
(قوله والله علم لذات الواجب تعالى) الى آخره لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد من اسم تجرى
عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه (قوله لا يطلق على غيره أصلا) وهو علم من أجل من

النحاة الخليل بن أحمد ان الله علم لذاته تعالى كما نقل عنه محي السنة في تفسيره وعليه الغزالي ومن زعم انه اسم لفهوم الواجب لذاته وانه كلي انحصر في فرد كالشمس الا ان الشمس يمكن غيرها من الافراد بخلاف أفراد الله فقد سبها سبوا فاحش لان لا اله الا الله كلمة توحيد فلو كان اسما لفهوم وقد انحصر في فرد لم يفد التوحيد لان المفهوم من حيث هو يحتمل الكثرة واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان لانا فية للجنس واله اسمها مبني على الفتح والاحرف لا يحجب النفي وابطاله ولا تسمى استثنائية قال ابن هبيرة الالهنا موجبة وليست استثنائية فان الله سبها لانه لا يستثنى من شيء اذ ليس كذا شيء لان المثالية يطرقها الاشتداد ولا يعرف الا بان لا يشبهه شيء فكيف يستثنى بل هو واجب الوجود واسم

غير اعتبار اصل اخذ منه كما عليه الاكثرون ومنهم أبو حنيفة ومحمد بن الحسن والشافعي والخليل والزجاج وابن كيسان والخلعي وامام الحرمين والغزالي والخطابي وغيرهم وهو المختار وقيل انه مشتق واختلفوا في اشتقاقه على عشرين قولاً كما في القاموس (قوله ان الله علم لذاته تعالى) بشهادة افادة التوحيد فلو لم يكن علم المأفاده كما ذكر لا يقال في لازم من هذا دور لتوقف كل من العامية والافادة على الآخر لانا نقول لانسلم لزوم ذلك فان وصف العامية موقوف على الافادة والافادة على الجملة نفسها لا على وصف العامية فلا يلزم لاختلاف الجهة وهذا تصوير المنقول بصورة المعقول لتقوية اثبات المطلوب على الوجه المقبول لا اثبات اللغة بالاستدلال حتى يقال انه غير جائز على المذهب الحق على اننا نقول ان الاعلام ليست من اللغة (قوله وعليه الغزالي) قال الغزالي في المقصد الاسنى الله اسم للمنفرد بالوجود الحقيقي الجامع لصفات الالهية والاشبه انه جار في الدلالة على هذا المعنى مجرى الاعلام وكل ما ذكر في اشتقاقه تعسف وتسكاف وهو أعظم أسماؤه لانه دال على الذات مستجمع لجميع الصفات وغيره لا يدل الا على آحاد المعاني كالقدرة والعلم ولانه أخص الاسماء به لانه لا يطابق على غيره لاحتمية ولا مجاز اولانه لا يتصف به العبد البتة بخلاف البواقي ولانه يوصف بسائر الاسماء فيقال الرحمن الرحيم من أسماء الله ولا يقال الله من أسماء الرحمن الرحيم لانه دال على كنه الحقيقة فاستغنى عن تسميته بغيره وغيره يعرف به (قوله لانا فية للجنس) وتسمى لا التبرئة لانها تدل على نفي الجنس كما انها تدل على البراءة منه لانها للتخصيص على كل فرد من أفراد الجنس وعملت عمل ان من نصب الاسم ورفع الخبر لمشابهتها في التوكيد ولزوم الصدر والدخول على الجمل الاسمية (قوله على الفتح) قيل لتضمنه معنى من الاستغراقية وقيل لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر ومحل نصب هذا عند الاخفش والمبرد وعند الزجاج ان حركة اسمها اعرابية فيكون منصوباً بالفتحة واداء التنوين لا ينافيها فانه ليس من لوازم الاسم والاعراب فيجوز انفسا كما عناه وعند البعض انها لا تعمل فيه أصلاً وهو وحده مرفوع المحل على انه مبتدأ وأما خبرها في حذفه بالاتفاق

الله مرتفع بعد الإلوهية وهذه الكلمة العظيمة قد اشتملت على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده لا نك نفيت الآلهة فكفرت بالطاغوت وأثبت الألوهية لله وحده فآمنت بدفع قوله إن الله لا يستثنى من شيء يريد أن الله بدل من اسم لا أي من محله فانه مبتدأ في الأصل ويتعذر البديل على اللفظ فتعين الجمل على المحل وتعذر على اللفظ بسبب أن البديل على نية تكرار العامل ولا هذه لا تعمل في المعارف وأيضا لما انتقض النفي بالأبطل عملها فيما بعد هاو أيضا لما فتح اسمها على تضمين من الموجب لكونها في العموم وكان النفي منتقضا كما سلف كان في ذلك زيادة من في الإثبات وليس ذلك بجائز عند جمهور البصريين وهذا من ابن هبيرة مبالغة في التجرد والافتشال الاستثناء التصادق وهو مع الآلهة متصادقان وعلى كل حال فالاسم المكرم المقدس مرفوع على أنه بدل بعض من محل اسم لا لكنه يخالف الإبدال من حيث أنه يناقضه في حكمه وليس فيه ضمير يرجع إلى المبدل مع أنه بدل بعض من كل فهذا من خواص بدل البعض

(قوله بالطاغوت) بالشیطان والأصنام وكل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادة الله (قوله في الأصل) قبل دخول لا (قوله بسبب أن البديل على نية تكرار العامل) لأن الغرض منه أن يذكر الاسم مقصودا بالنسبة بعد التوطئة لذكره بالتصريح بتلك النسبة إلى ما قبله لإفادة تأكيد الحكم وتقريره (قوله ولا هذه) التي لنفي الجنس وقوله لا تعمل في المعارف بل أعمالها خاص بالتمكرات المتصلة (قوله على تضمين من الخ) هذا على قول من قال علة البناء تضمن معنى من الاستغراقية وأما على القول الآخر من أنها علة التركيب فلا يتأتى ما ذكره (قوله وعلى كل حال فالاسم المكرم المقدس مرفوع الخ) فإن قلت هل يجوز نصبه قلت على مقتضى قواعد العربية أنه لا شك في جواز ذلك لكن السهلي منعه في أماليه حيث قال لا يجوز في نحو لا إله إلا الله من نصب المستثنى ما جاز في نحو ما فعلا ولا قليل منهم كالمجز في ولم يكن لهم شهداء لأنفسهم إلا الرفع وذلك لنسبة بدعيمة لم ينسب عليها من حذاق النحو بين الأقليل وهو أن النصب إنما حقه الإيجاب فإذا دخل النفي على كلام قائم بنفسه جاز لك من النصب ما جاز قبل دخول النافي وإذا دخل على كلام لا يستقيم تقديره عريانه تعين اعتبار حكم النفي وامتنع اعتبار حكم الإيجاب انتهى (قوله لكنه يخالف الإبدال الخ) والأقرب أن يكون البديل من الضمير المستتر في الخبر المقدر لأن الإبدال من الأقرب وهو الضمير أولى من الأبعد ولأنه لإدعاء إلى الاتباع باعتبار المحل مع إمكان الاتباع باعتبار اللفظ ثم البديل أن كان من الضمير المستكن في الخبر كان نظير البديل في نحو ما فقام أحد الأزيد لأنه فيهما باعتبار اللفظ وان كان من الاسم كما ذكر كان نظير البديل في نحو لا أحد فيها إلا زيد لأن البديل فيهما باعتبار المحل (قوله في حكمه) أي أن حكمه مخالف لحكم المبدل منه إيجابا وسلبا (قوله مع أنه بدل بعض من كل) كما صرح جوابه لأنه ليس عين

الواقع بعد الا وقال الكوفيون في ذلك الاحرف عطف عطف اسم الله سبحانه على الله وهي عندهم بمنزلة لا العاطفة في ان ما بعدهما يخالف ما قبلها والفرق بينهما ان لا نفي الايجاب والا لايجاب النفي وأما خبر لا فيقدر من الأفعال العامة كوجود والمعنى حيث لا مستحق للعبودية في الوجود أو موجود لا الله أي الفرد الذي هو خالق جميع الكائنات ولا يجوز ان يكون مستثنى مفرغا من ضمير موجود الذي هو الخبر وان كان الضمير يرجع الى الله لانه يفيد حيث لا اثبات وجود الله تعالى لا وحده انيته وليس ذلك بما اذا لم ينكر أحد وجوده وانما اشرك به المشركون مع اقرارهم بأنه الخالق الرازق المدبر للعالم بأن عبده وامعه غيره للتقريب اليه قال تعالى حاكما عنهم وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله سبحانه واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكان اخلاصهم الدين بأن تركوا الشرك معه فالتقص من هذه الكلمة الطيبة انما هو اثبات الوحدةانية له تعالى وتفرده بالالهية ولهذا تسمى كلمة التوحيد لا كلمة اثبات وجوده تعالى ولا خفاء ان التوحيد مرتبة أخرى بعد الوجود لانه اذا ثبت الشيء في الخارج يسأل عنه أهو واحد أوله شريك فالمراد به حيث لا ما يقطع عرق الشركة الشاملة للشركة في الوجود

المبدل ولا مشتقلا عليه ولا يمكن وقوع بدل الغلط في كلام الله تعالى فتعين بدل البعض اذا لا خامس فان قلت هل يمكن اعرابه بغير البدلية من سائر التواريخ قلت لا يمكن ان يكون عطف نسق لعدم توسط الحرف ولا صفة لعدم الاشتقاق ولو تقدير اولا عطف بيان لعدم الايضاح ولانا تأكيد الغضيا لعدم اتحاد اللفظين في مادة الحروف وهياتها ولانا تأكيد معنوا لعدم الألفاظ المخصوصة فتعين ان يكون بدلا كما يقتضيه السبر والتقسيم وخص البديل بالبعض لعدم استقامة غيره كما ذكرناه (قوله الواقع بعد الا) كما قال ابن الضائع بالضاد والعين لوقيل ان البديل في الاستثناء قسم على حدة ليس من تلك الابدال التي تبينت من غير الاستثناء لكان وجهها هو الحق انتهى (قوله عطف) وذلك عندهم في باب الاستثناء خاصة قاله أبو حيان ورد ما عندهم بقولهم ما قام الازيد وليس شيء من أحرف العطف يلي العامل وأجيب بأنه ليس تأليها في التقدير اذا الأصل ما قام أحد الازيد (قوله كوجود) فان قلت فلم يقدر الخبر المندوف ممكنا كما قدره بعض أهل الاستدلال مع ان نفي الامكان يستلزم نفي الوجود من غير عكس فيكون أبلغ في الرد قلت أجيب عن ذلك بأن عدم تقدير الامكان لعدم قرينة دالة عليه ولأن التوحيد هو بيان وجوده ونفي غيره لا بيان الامكان وعدم امكان غيره على ان هذا القول رد لخطأ المشركين في اعتقاد تعدد الآلهة في الوجود فيكون الامكان مسكوتا عنه بحسب دلالة القول ومقتضى المقام فتقدير الخبر المندوف ممكنا ونحوه غير صحيح لفظا وان كان صحيحا عقلا والواجب على المتكلم رعاية المقام واعطاء كل مقام حقه (قوله بأن تركوا الشرك معه) حيث لا يذكرون الا الله

وفي عبادة المعبود قال الباذلي والأولى أن يقدر الخبر مؤخرًا بعد الالفاظ لئلا يظن أنه استثناء مفرغ وقد صرح الشفتازاني في تلويحه أيضًا بأنه لا يجوز أن يكون الاستثناء مفرغًا وههنا كلام لصاحب المنتخب والامام تاج الدين السبكي وغيرهما مشتمل على أولوية عدم تقدير الخبر وفيه من المناقشات الباردة مما ليس لديه عائدة أعرضت عنه خوف حصول السئام وعروض الملل وحاصله أن صاحب المنتخب لا يجعل الله مبتداً بل كلمة مفردة لا معرفة ولا مبينة فلا يثبت له خبر افتقار تابع بذلك بنى تميم فأنهم لا يثبتون له خبراً وفيما فات من جعل الاله بمعنى المعبود بالحق والله علم على الذات المقدسة يستقيم مقصود الكلام من غير خصام قال الفاضل الباذلي فإن قلت إذا قدرت الخبر فلم تقدره مفرداً ولم تقدره جمعاً مثل موجودين إذا لا بد من التعدد في المبدل منه عند من قال بالبدلية وإذا كان مفرداً كيف يدخل المستثنى فيه حتى يخرج فلا يصلح للاستثناء عند القائل بالاستثنائية وأقول لا يجوز جمعه في مثل هذا التركيب لأن الجمع مجموع ومعنى العام جميع والمفرد في سياق النفي عام في أفراد لا جمع

ولا يدعون سواه لعالمهم بأنه لا يكشف الشدائد الا هو (قوله استثناء مفرغ) وهو ما إذا فقد التمام من الكلام المنفي بأن لم يصرح فيه بالمستثنى منه وسمى مفرغاً لأن ما قبل الانقراض لا يعمل فيما بعده (قوله بأنه لا يجوز أن يكون الاستثناء مفرغاً) واقعا موقع الخبر لأن المعنى على نفي الوجود عن آلهة سوى الله تعالى لا على نفي مغايرة الله عن كل الوجودات جواز كون الاستثناء مفرغاً هو ما عليه النجاة بل ما بعد الا مرفوع على البدلية كما تقدم (قوله وههنا كلام لصاحب المنتخب) حيث اعترض على النجاة في تقدير الخبر في كلمة الشهادة فقال يلزم من قولهم في لاله الا الله التقدير لاله في الوجود الا الله ان يكون ذلك نفياً لوجود الاله ومعاً اوم ان نفي الماهية أقوى في التوحيد الصريح من نفي الوجود فكان اجراء الكلام على ظاهره والاعراض عن هذا الاضمار أولى وأجاب أبو عبد الله محمد بن أبي الفضيل المرسى عن ذلك في رى الظما آن فقال هذا كلام من لا يعرف لسان العرب فإن الاله في موضع المبتدأ على قول سيبويه وعند غيره اسم لا وعلى التقديرين فلا بد من تقدير الخبر وما قاله من الاستغناء عن الاضمار فاسد وأما قوله إذا لم يضر يكون نفياً للماهية فليس بشيء لأن نفي الماهية هو نفي الوجود إذ لا تصور الماهية الا مع الوجود فلا فرق بين لاماهية ولا وجود وهذا مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة فأنهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود انتهى فإذا عرفت ذلك تبين عند ذلك أن عدم تقدير الخبر فاسد من جهة اللفظ والمعنى (قوله فقد تابع بذلك بنى تميم) أي تابعهم في عدم الإثبات فقط والأفهم يقدر أن جعلهم الاسم مبتدأ يحتاج إلى خبر مقدر غير جائز إثباته عندهم (قوله ومعنى العام جميع) لأن مدلوله من حيث الحكم عليه كلية أي محكوم فيه على كل فرد مطابقة اثباتاً أو سلباً (قوله عام في أفراد) أي وضع الماذكرنا من أن الحكم العام على كل فرد مطابقة

فكيف يجمع والاستثناء يقتضي التعدد لا الجمعية بدليل جواز الاستثناء من العدد وكذلك البديل
البعض فإنه يقتضي التعدد في البديل منه انتهى محصل ما قاله وهذه السكامة الطيبة قد اشغلت على
قضيتين أحدهما سالبة كلية مشتملة على موضوع وهو الاله ومحمول منوى وهو موجود ونسبة بينهما
وحكم هو الانتزاع وبعد هذه القضية قضية موجبة شخصية فإنه أوقع على موضوعها وهو الله الحكم
كما انتزع عن الاله فهذه قضيتان سالبة وهى لا مستحق للألوهية في الوجود وموجبة وهى الله هو
المستحق للألوهية فهو مثل المركبات من الموجهات لكن العبرة عند المناطقة بالقضية الأولى في إطلاق
اسم السلب والایجاب وقدم السلب مبالغة في تنزيهه سبحانه عن الشريك وهذه خلاصة ما قيل
في هذه السكامة الطيبة من بيان المفردات والأعراب على أحد الوجوه وبقيت وجوه أخرى صحيحة

(قوله من العدد) نحو أخذت عشرة الأربعة الاثنين (قوله على قضيتين) القضية قول يصح ان
يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب فيه (قوله سالبة) وهى ما اذا كان الحكم فيها بالانتزاع وقوله كلية
وهى ما اذا كان موضوعها كلياً بين فيه كمية الأفراد وكان الحكم فيها على كل الأفراد واللفظ الدال
على كمية الأفراد يسمى سوراً وقوله على موضوع وهو المحكوم عليه وسمى موضوعاً لأنه وضع ليحكم
عليه وقوله ومحمول وهو المحكوم به وسمى به لجله على الموضوع وقوله منوى أى مقدر وقوله ونسبة
بينهما يربط المحمول بالموضوع وتسمى نسبة حكمية وقوله وحكم هو اسناد أمر الى آخر إيجاباً أو
سلباً والإيجاب هو إيقاع النسبة والسلب هو الانتزاع أى انتزاع النسبة (قوله قضية موجبة) وهى
ما اذا كان الحكم فيها بالإيقاع وقوله شخصية وهى ما اذا كان موضوعها جزئياً وسميت شخصية
لان موضوعها شخص معين (قوله فهو مثل المركبات من الموجهات) فنطوقه فى الألوهية عن
غير الله ومفهومه اثبات الألوهية لله تعالى وحده قال الجلال المحلى فى لأعلم الا يزيد منطوقه فى العلم
عن غير زيد ومفهومه اثباته لزيد (قوله وبقيت وجوه أخرى صحيحة) منها ما ينسب الى الزمخشري
أن لا اله فى موضع الخبر والاله فى موضع المبتدأ ولا يخفى ضعفه لأنه يلزم منه أن يكون الخبر مبنيّاً
مع لا وهى لا يبنى معها المبتدأ ومنها ان الاسم المعظم مرفوع بلا كفايرفع الاسم بالضم وذلك بأن
يكون اله بمعنى مألوه فيكون الاسم المعظم مرفوعاً على انه نائب الفاعل ساداً مسدداً الخبر كفاي قولنا
ما مضروب العمران ولا يخفى أيضاً ضعفه لان اله ليس بوصف فلا يستحق عملاً ومنها ان الابعنى غير
والاسم المعظم صفة لا سم لا باعتبار المحل ذكر ذلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن بعضهم والتقدير
لا اله غير الله فى الوجود ولا شك بأن الا فى هذا التركيب وان كان لا مانع له من جهة الصناعة النحوية
لكن المعنى يمنع ذلك لان المقصود من كلمة التوحيد أمران فى الألوهية عن غير الله واثباته لله تعالى
ولا يفيد هذا التركيب فان قيل يستفاد ذلك بالمفهوم قيل أين دلالة المفهوم من دلالة المنطوق ثم هذا

لكن المذكور هو المشهور بين المعربين ومشي عليه ابن مالك وغيره من النحاة وأجابوا عن وجوه مخالفته لا بدال بأجوبة لا تفي هذه العجالة ببسطها ولكن نذكر وجهي آخر صحيحا اختاره ناظر الجيش في شرح التسهيل وغيره من ان المجموع من لامع اسمها في موضع رفع بالابتداء والخبر المقدر لهذا المبتدأ ولم تعمل فيه لا عند سيبويه واذا كان النفي قد أبطل بالا كان الاخبار عن الاله بأنه الله والمعنى المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له وقد أسلفت البيان لمعنى الاله وأنه الذي تتأله القلوب بتخصيصه بما يختص بالوحيته فهو اذا المستحق للعبادة والمنفرد بذلك الولاية والسيادة وقد ارتضى

المفهوم ان كان مفهوم لقب فلا عبرة اذ لم يقل به الا الله فاق وبعض الخنابلة وان كان مفهوم صفة فقد عرف في أصول الفقه انه غير مجمع على ثبوته فقد تبين ضعف هذا القول لا محالة (قوله لكن المذكور) من القول بالبدلية (قوله ومشي عليه ابن مالك وغيره الخ) فان ابن مالك لما تكلم على حذف خبر لا العامة عمل ان واكثر ما يحذفه الجازيون مع الانحولا اله الا الله وهذا الكلام منه يدل على ان رفع الاسم المعظم ليس على الخبرية وحينئذ يتعين رفعه على البدلية وصرح كثير من النحاة بالرفع على البدلية (قوله اختاره القاضي ناظر الجيش الخ) قال ناظر الجيش وأما القول بالخبرية فقد قال به جماعة والذي يظهر لي انه أرجح من القول بالبدلية وقد ضعف القول بالخبرية ثلاثة أمور وهي انه يلزم من القول بذلك كون خبر لا معرفة ولا لا تعمل في المعارف وان الاسم المعظم مستثنى والمستثنى لا يصح أن يكون عين المستثنى منه لانه لم يذكر اليبين به ما قصد بالمستثنى منه وان اسم لا عام والاسم المعظم خاص والخاص لا يكون خبرا عن العام لا يقال الحيوان انسان والجواب عنها اما الأول فانك قد عرفت ان مذهب سيبويه ان حال الاسم المعظم مع لا لا عمل لها في الخبر وانه حينئذ مرفوع بما كان مرفوعا به قبل لا وقد عمل ذلك بأن شبهها بأن ضعفها حين ركبت وصارت كجزء كلمة وجزء الكلمة لا يعمل ومقتضى هذا ان يبطل عملها في الاسم لكن أبقوا عملها في أقرب المعمولين وجعلت هي مع معمولها بمنزلة مبتدأ والخبر بعدها على ما كان عليه مع التجرد واذا كان كذلك لم يثبت عمل لا في المعرفة وأما الثاني فلان سلم ان اسم لا هو المستثنى منه وذلك ان الاسم المعظم اذا كان خبرا كان الاستثناء فيه مفرغا والمفرغ هو الذي لا يكون المستثنى منه مذكور انعم الاستثناء فيه انما هو من شيء مقدر لصحة المعنى ولا اعتداد بذلك المقدر لفظا ولا خلاف يعلم في نحو ما زيد الا قائم ان قائما خبر عن زيد ولا شك ان زيدا فاعل في قوله ما قام الا زيد معنى مستثنى عن مقدر في المعنى التقدير ما قام أحد الا زيد فعلى هذا الامتافاة بين كون الاسم المعظم خبرا عن اسم قبله وبين كونه مستثنى من مقدر اذ جعل خبرا منظورا فيه الى جانب اللفظ وجعله مستثنى منظورا فيه الى جانب المعنى وأما الثالث فهو انه يقال ان قولك بأن الخاص لا يكون خبرا عن العام مسلم لكن في

الامام السنوسي تفسير الاله بالغنى المطلق عن كل ماسواه المقتقر اليه جميع من عداه وهذا ان الوصفان
 يوجبان له التعزز بجميع صفاته العليا واسماؤه الحسنى ويوجبان له عز شأنه التفرد بمالك الضر والنفع
 والعطاء والمنع فليس للخلق ولي من دونه ولا شفيع الا من بعد اذنه وكاهم داخلون تحت ظلال امره
 والمتقدمون من المشركين الأولين وان كانوا يعامون ان ذلك خاص بالله وحده فلذلك كانوا
 يسمونه سبحانه وتعالى اله الآلهة زاعمين ان الله تبارك وتعالى لا يسع الخلق كاهم وانهم قد جعلوا
 اشياء من صور وتماثيل يسمونها آلهة ولا يعترفون حقيقة الألوهية فيها بل يرون انها وسائل تقر بهم
 الى الله وتشفع لهم عند الله واذ انكروا على النبي صلى الله عليه وسلم أمره لهم بكلمة التوحيد وقالوا
 اجعل الآلهة اهلوا احدا والدليل على ذلك قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
 وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الى غير ذلك من الآيات التي تفيد اقرارهم بملكه

لا اله الا الله لم يخبر بخاص عن عام لان العموم منفي والكلام انما سبق لنفي العموم وتخصيص الخبر
 المذكور بواحد من افراد ما دل عليه اللفظ العام (قوله بالغنى المطلق الخ) فيكون معنى كلمة
 التوحيد لا مستغن عن جميع ماسواه ولا مفتقر اليه جميع من عداه الا الله (قوله وهذا ان
 الوصفان) اعني استغناؤه عن كل ماسواه وافتقار من عداه اليه وقوله يوجبان له التعزز بجميع
 صفاته الخ ما استغناؤه عن جميع ماسواه فيوجب له الوجود والعدم والبقاء اذ لو لم يجب له تعالى هذه
 الصفات لكان محتاجا الى محدث لان انتفاء شيء من هذه الصفات يستلزم الحدوث وكل حادث مفتقر
 الى محدث وكذا يوجب له التنزه عن النقائص ويدخل في التنزه عنها وجوب السمع والبصر
 والكلام اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان متصفا بالنقائص ومحتاجا الى من يدفع عنه تلك
 النقائص وكذا يوجب له تعالى التنزه عن الأغراض في أفعاله وأحكامه اذ لو لم يجب له تعالى التنزه عن
 الأغراض لكان محتاجا الى ما يحصل به غرضه وكذا يوجب له تعالى أن لا يجب عليه فعل شيء من
 الممكنات ولا تركه اذ لو وجب عليه فعل شيء منهم لكان محتاجا الى ذلك الشيء ليتكامل به اذ لا يجب له
 تعالى الا ما هو كمال وأما افتقار جميع ما عداه اليه فيوجب له تعالى القدرة والارادة والعلم والحياة
 اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان عاجزا عن إيجاد شيء من الكائنات وكذا يوجب له تعالى
 الوحدة اذ لو لم يجب له بل كان معه ثان في الألوهية لم يفتقر اليه شيء من الكائنات ويؤخذ من افتقار
 جميع ما عداه اليه تعالى حدوث العالم بأسره اذ لو كان شيء منه قديما لكان مستغنيا عنه غير محتاج
 اليه (قوله ويوجبان له التفرد بمالك الضر والنفع الخ) اذ لو كان في شيء من المخلوقات تأثير في أثر ما
 لكان ذلك الأثر مستغنيا عنه تعالى غير مفتقر اليه (قوله اجعل الآلهة اهلوا احدا) بأن جعل
 الألوهية التي كانت لهم لواحد (قوله فأنى يؤفكون) يصرفون عن توحيد بعد اقرارهم بذلك

الحقيق لهذه الأمور الجسام والأحكام العظام وقوله سبحانه واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون يدل دلالة لا محيد عنها على أنهم كانوا لا يعتقدون استقلال آلهتهم بالنفع والضرو وغيرهما وكذلك ما رواه أحمد في مسنده والترمذي في جامعه من حديث حصين بن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا حصين كم تعبد قال سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء قال فمن الذي تعبد في رغبتك ورهبتك قال الذي في السماء إلى آخر الحديث يدل دلالة ظاهرة على أنهم يقررونه بملك تلك الأمور وأنهم كانوا يقولون في تلبيتهم لا شريك لك الا شريك تملكه وما ملك لجميع ذلك يدل على أنهم لا يسمونهم آلهة بالمعنى الذي ذكره الامام السنوسي وإنما يعبدونهم ليقربوهم إلى الله في وان أطلقوا عليهم اسم الآلهة وبه صرح المحقق الشريف في شرحه للمواقف وإذا لم يكن ذلك المراد من هذه الكلمة الطيبة فالأولى تفسير الآلهة بما تقدم وهو المناسب لوجود الاستعمال والقاطع لمواد الفساد الجامع لما من الموحدين اذ لا يمكن مراده رحمه الله تعالى انه اذا قال الموحدين وتأمل في معنى هذه الكلمة التي هي كلمة التقوى فوصف الله تعالى بالغنى الذاتي عن كل ما سواه وافتقار جميع من عداه اليه فهو سيده ومولاه فبرزت أنوار التوحيد من آفاق قوادسها وأخلص سره عن شوب الشرك والحادة تيقن ان ذلك الموصوف العظيم والمهمين

(قوله وقوله سبحانه) مبتدأ خبره يدل على (قوله واتل عليهم) أي على مشركي العرب (قوله ماذا تعبدون) سألتهم ليريه ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة وقوله فنظل لها عاكفين ندوم (قوله هل يسمعونكم) أي يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون خذف ذلك لدلالة اذ تدعون وقوله اذ تدعون أي عليه (قوله أو ينفعونكم) على عبادتكم لها وقوله أو يضرون من أعرض عنها (قوله بل وجدنا آباءنا عاكفين) أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم نفع أو ضرر والتجؤا إلى التقليد (قوله يدل) خبر المبتدأ (قوله زلني) قرني أو منزلة (قوله وافتقار) احتياج (قوله فبرزت) أشرقت (قوله آفاق) جمع أفق الناحية (قوله شوب) خلط (قوله العظيم) فسر صاحب المواقف العظيم بقوله أي اتفت عنه صفات النقص فرجعه صفة سلبية وقيل معنى العظيم اتقى عنه جميع صفات النقص وحصل له جميع صفات الكمال فيرجع إلى الصفات السلبية والثبوتية معاً (قوله المهمين) أصله مؤمنين من الأمن قلبت همزة هاء ومعناه الشاهد وفسر كونه شاهداً تارة بالعالم فيرجع إلى صفة العلم وأخرى بالتصديق بالقول فيرجع إلى صفة الكلام وقيل معنى المهمين الأمن أي الصادق في قوله وقيل هو بمعنى الحفيظ وقال البيضاوي المهمين الرقيب الحفيظ لكل شئ

الكريم هو المختص بالوحدان فإد العباد من العابدین المطلوب في قضاء الخوائج لجميع العالمين فاذا قال لا اله الا الله أقروا واذعن اذعانا وافيوا واعترف اعترافا صحيحا كافيا أن لا مستحق للألوهية وهي استحقاق العبادة الا الله وحده فبرئ عن عبادة كل معبود وفي ان يكون الله غيره بهذا الوصف موجود وأثبت الألوهية لمستحقها ووضعها في موضعها فكان أحق بها وأهلها فلا بد للمسلم ان يعرف ما تعبد به الله به من أنواع العبادات ويميزها عما التبتت به من سبب العبادات ليخصها بالاله الحق خالق الأرض والسموات ومن نظر بعين البصيرة في الآيات القرآنية والسير النبوية علم كيف يكون المدخل والمخرج فازداد تبصرا ونورا فإنا لرب أدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وهذه الكلمة الطيبة هي مبنى العقائد الدينية وأساس المقاصد الإسلامية قد فطر الله عليه جميع الناس وأطلع بدرها في غياهب الالتباس وبالتحقق بما تؤذيه أمر العباد ولاجلها جردت سيوف الجهاد فليس لاحد غيره فيأرضيه واختاره مما هو محتص بجلاله وعظمته من صنوف العبادات نصيب بل هي مختصة بالمالك الصمد القريب المجيب فاشهد الله سبحانه وليشهده كل اني أعلم وأعمل بمقتضى ما أعلم أن لا معبود بحق في الوجود الا الله وحده لا شريك له فمن عبد من دونه أو معه فعبادته

(قوله الكريم) ذو الجود وقيل المقتدر على الجود ومرجعها الفعل والقدر وقيل معناه العلى الرتبة فيرجع الى صفة اضافية وقيل الذي يغفر الذنوب وفي بعض شروح الحديث الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد عوف واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى وان رفعت حاجته الى غيره لا يرضى واذا جنى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذبه والتجاء ويغنيه عن الوسائل والشفاعات اجتمع له جميع ذلك لا بالتحقق فهو الكريم المطابق وذلك له تعالى فقط (قوله واذعن اذعانا) انقادا تقيدا (قوله في الآيات) جمع آية وهي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها (قوله القرآنية) المنسوبة الى القرآن وهو اسم الكتاب الله تعالى وقد اختلفوا في وجه تسميته بالقرآن والصحيح ما روى عن الامام الشافعي وهو ما قال به جماعة من أهل العلم انه اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى مثل التوراة والانجيل (قوله والسير) جمع سيرة وهي السنة والطريق (قوله النبوية) المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم (قوله مدخل صدق) ادخال مرضيا (قوله مخرج صدق) اخراجا ملقى بالكرامة (قوله سلطانا نصيرا) حجة تنصرتي بها على من خالفني (قوله الدينية) المنسوبة الى دين محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وأساس) أصل (قوله فطر) خلق (قوله بدرها) البدر القمر اذا كمل (قوله غياهب الالتباس) ظلمة الاشتباه (قوله بالمالك) المتصرف في مخاوفاته كيف يشاء (قوله الصمد) المصمود اليه أي المقصود في جميع الخوائج (قوله المجيب) لادعية

زور وبهتان وأنابرىء من عبادة غيره مستعين بالله من غوائل الشيطان فلا أعبداً إلاياه وبه أستعين
 فى ملاسمة ما يحبه ويرضاه ولا حول لى عن المعصية ولا قوة لى على الطاعة ومنها هذا التحول الإلله
 وحاصل القول الفصل ما قاله الفاضل ابن القيم فى شرح منازل السائرين الى رب العالمين عند إرادته
 مقامات الكمل من الصالحين وتغييرهم عنها بالبقاء والفناء وغير ذلك ما نصه والجامع لهذا كله تحقيق
 شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفة وعملاً وحالاً وقصدًا وحقيقة هذا النفى والاثبات الذى تضمنته هذه
 الشهادة هو الفناء والبقاء فيفنى عن تأله ما سواه علماً وإقراراً وتعبداً ويبقى بتأله وحده فهذا الفناء
 وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذى اتفقت عليه المرسلون وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله
 الخليقة وشرعت له الشرائع وقامت عليه سوق الجنة واسس عليه الخلق والأمر وحقيقته أيضاً البراء
 والولاء البراء من عبادة غير الله والولاء لله كما قال تعالى لقد كان لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين
 معه إذ قالوا القومهم أنابراء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ يئسناو ينسكم العداوة
 والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده

عباده (قوله زور وبهتان) كذب وشرك وباطل (قوله مستعين) ملتجأ (قوله غوائل)
 دواهى (قوله ولا حول لى عن المعصية) أى لا تحويل ولا انصراف لى عن معصية الله إلا بعصمة
 الله أى بحفظه (قوله على الطاعة) أى طاعة الله أى عبادته (قوله إلا بالله) أى بمعوثته (قوله
 والفناء) وهو الذى يسميه الصوفية بتوحيد خاصة الخاصة حيث أنهم قسموا التوحيد الى ثلاثة
 أقسام توحيد العامة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصة الخاصة وتحقيق ذلك مذكور فى كتب الصوفية
 قال شارح العقيدة الطحاوية وهو أى توحيد خاصة الخاصة الذى ينتهى الى الفناء ورب حظير يفضى
 الى الاتحاد انظر الى ما أنشده شيخ الاسلام أبو اسمعيل الأنصارى رحمه الله حيث يقول

ما وحيد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعتة * غارية أبطلها الواحد

توحيد إياه توحيد * ونعت من ينعت لا حد

وان كان قائله رحمه الله لم يرد الاتحاد لكن ذكر لفظاً مجازاً جاذبه به الاتجاه اليه وأقسم بالله جهده
 أيمانه أنه معه ولو سلك الألفاظ الشرعية التى لا اجمال فيها كان أحق مع أن المعنى الذى حمله لو
 كان مطلوباً بمنزلة الشارع عليه ودعا الناس وبينه فان على الرسول البلاغ المبين فأين قال الرسول
 هذا توحيد العامة وهذا توحيد الخاصة وهذا توحيد خاصة الخاصة الى آخر ما قال (قوله سرق)
 جمع ساق (قوله أسوة) قدوة اسم لما يتأسى به (قوله برآء) جمع برىء (قوله بكم) أى
 بدينكم أو بعبودكم أو بكم وبه (قوله حتى تؤمنوا بالله وحده) فتتقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة

وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لأبيه اتني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فإنه سيهدين وقال أيضا يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الى آخر السورة وهذه براءة منهم ومن معبودهم وسماها براءة من الشرك وهي حقيقة المحو والاثبات فيمحو الهية ما سوى الله من قلبه علما وقصد او عبادة كما هي محوثة من الوجود ويثبت فيه الهيته سبحانه وحده وهي حقيقة الجمع والفرق فيفرق بين الاله الحق ومن ادعت اليه الالهية بالباطل ويجمع تأله وعبادته وحبه وخوفه ورجاءه وتوكله واستغاثته على الاله الحق الذي لا اله سواه وهي حقيقة التجريد والتفريد فيتجرد عن عبادة ما سواه ويفرده وحده بالعبادة فالتجريد ينفي والتفريد يثبت ومجموعها هو التوحيد فهذا كله متعلق بتوحيد الالهية وهو النافع المثمر المنجى الذي به تنال السعادة والفلاح وأما تعلقه بتوحيد الربوبية الذي أقرب به المشركون عباد الأصنام فغاياته فناء في تحقيق توحيد مشترك بين المؤمنين والكفار وأولياء الله وأعدائه لا يصير به وحده الرجل مسلما فضلا عن كونه عارفا محققا وهذا الموضوع مما غلط فيه أكابر من الشيوخ والمعصوم من عصمه الله والله المستعان انتهى وقال أيضا في مكان آخر من هذا الشرح فالفكرة في التوحيد استحضار أدلته وشواهد الدال على بطلان الشرك واستحالته وان الالهية يستحيل ثبوتها لاثنين كما يستحيل ثبوت الربوبية لاثنين فكذلك باطل عبادة اثنتين والتوكل على اثنين بل لا تصلح العبادة الا للاله الحق والرب الحق وهو الله الواحد القهار هذا كلامه في الموضوعين فليتأمل فيه ذو عينين وفيما ذكرناه مع ما نقلناه كفاية للمستبصرين وذكرى للناظرين اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(قوله واذ قال ابراهيم) واذ كروقت قوله هذا (قوله براء مما تعبدون) بريء من عبادتكم أو معبودكم (قوله الا الذي فطرني) استثناء منقطع (قوله سيهدين) أي سيثبتني على الهداية أو سيهدين الى وراة ما هداي اليه (قوله وقال) أي ابراهيم (قوله مما تشركون) يعني الأصنام (قوله حنيفا) مأثلا عن الباطل الى الحق (قوله الا لاله الحق الخ) أي المتحقق وجوده أي الثابت فأحق الموجودات بأن يكون حقا هو الله تعالى قال في شرح المواظف معناه العدل وقيل الواجب لذاته أي لا يفتقر في وجوده الى غيره وقيل معناه الحق أي الصادق في القول وقيل مظهر الحق (قوله الواحد) هو الذي لا يتجزأ ولا يتصور فيه التجزؤ وقالوا احد هو الذي لا جزؤه (قوله القهار) هو الغالب الذي لا يغلب فهو صفة فعالية وسلبية (قوله أنعمت عليهم) وهم الأنبياء (قوله غير المغضوب عليهم) وهم اليهود لقوله تعالى منهم من لعنه الله وغضب عليه (قوله ولا الضالين)

الباب الخامس في بيان توحيد الله في ربوبيته وألوهيته واستحقاق عبادته وبيان

معنى العبادة وأنواعها وما يلزم المكلف من أفراد معاملته تعالى

بما يختص بالالهية

اعلم أن التوحيد فعل للموحد وهو وصف الله تعالى بالوحدانية وذلك نوعان توحيد في ربوبيته وهو الذي يسميه أهل الكلام توحيد الأفعال الحاصل بعد توحيد الذات والصفات وتوحيد في ألوهيته وله خواص قد اختص الله سبحانه بجميعها فهو الإله الحق المختص بأن يعامل بها ولا بد لكل موحد أن يفرد به المعاملة بكل واحدة منها فلو عامل غيره ولو بواحدة من هذه الخواص فقد عطل معاملة الله الحق الذي يجب عليه إفراده بهذه المعاملة ويكون حينئذ ذلك الغير الها باطلا له قد تأله بمعاملته العاطلة التي هي من خواص الإله الحق وهذا هو الشرك في الألوهية ولما كان من أجلي خواص الألوهية استحقاق العبادة والتفرد بجميع أنواعها وكانت العبادة نسبة بين عابد ومعبود اقتضى الحال بيان العبادة بأنواعها بعد بيان توحيد الربوبية والألوهية وبيان خواص الألوهية مما يلزم المكلف من أفراد معاملة الله الحق بكل فرد فرد منها فنقول وبالله التوفيق ويبدؤه أزمة التحقيق توحيد الربوبية الذي أقرت به الكفار جميعهم ولم يخالف أحد منهم في هذا الأصل الاثنوية وبعض المجوس وسيأتي الكلام على ما قالوه في بيان الشرك الأكبر أعاذنا الله منه وأما

وهم النصاري لقوله تعالى فقد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا (قوله توحيد الأفعال الحاصل بعد توحيد الذات والصفات) وهذا التوحيد حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفضولة على الإقرار به أعظم من كونها مفضولة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم قالت رسالهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بانكار الصانع فرعون وكان مستيقنا في الباطن كما قال له موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الأرب السموات والأرض بصائر وقال تعالى عنه وعن قومه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا حتى ان الثنوية من المجوس والمناوية القائلين بالأصلين النور والظلمة وان العالم صدر منهما متفقون على ان النور خير من الظلمة وهو الإله المحمود وان الظلمة شريرة مذمومة وهم متنازعون في الظلمة هل هي قديمة أو محدثة فلم يثبتوا بين متناهيين ولكن النزاع انما هو في توحيد الألوهية (قوله بعد بيان توحيد الربوبية) وبيان ان الله خالق كل شيء (قوله والألوهية) وهو استحقاقه سبحانه وتعالى ان يعبد وحده لا شريك له (قوله التوفيق) وهو خلق قدرة الطاعة في العبد (قوله أزمة) جمع زمام (قوله الاثنوية وبعض المجوس الخ) وأما النصاري القائلون

غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك فقد اتفقوا على ان خالق العالم ورازقهم ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم ومجيرهم واحد لا رب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره كما قال سبحانه وتعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ولا يستقيم التوحيد لأربوبية فضلا عن توحيد الألوهية لا بتوحيد الصفات المترتب على توحيد الذات لان صفاته تعالى لا تشبه صفات الخسوفين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد مر ان أهل الكلام يسمون هذا النوع من التوحيد توحيد الأفعال لما ذكره بعض المحققين ان صفة الربوبية تستلزم جميع صفات الفعل وصفة الألوهية تستلزم جميع أوصاف الكمال والاجلال الى آخر ما قال وأما توحيد الألوهية فهو افراد العبادة لله الواحد الصمد لان الاله من يقصد للعبادة ويعامل بما يجب على المكلفين من افراد الاله الحق به من سائر وجوه المعاملات التي هي من العبادات المختصة باله الأرض والسموات كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاعات وقضى ربك ان لا تعبدوا الاياه والقرآن طافح من أمثال ذلك

بالتأليف فانهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب يفصل بعضهم عن بعض بل هم متفقون على ان صانع العالم واحد بل الرب عندهم هو واحد بالذات ثلاثة بالاقنوم والاقانيم يفسرونها تارة بالخواص وتارة بالصفات وتارة بالاشخاص وفساد ذلك مبين في محله (قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطررنا الى اذعانه (قوله ولئن سألتهم من خلقهم) أي العابدين أو العبودين (قوله أم من يملك السمع والأبصار) أي أم من يستطيع خلقهما وتسويهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شيء (قوله ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي ومن يحيي ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (قوله ومن يدبر الأمر) ومن يولي تدبير أمر العالم من الابداد والاعداد والاحياء والاماتة وغير ذلك وهو تعميم بعد تخصيص (قوله الا ليعبدون) أي الا لأن أمرهم بالعبادة أو ليعبدوا الى (قوله أن اعبدوا الله الخ) أي يأمر بعبادة الله واجتناب الطاعات (قوله وقضى ربك) أي أمرا مراعاة طوعا به (قوله أن لا تعبدوا الاياه) لان غاية التعظيم لا تجوز الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام (قوله من أمثال ذلك) بل غالب سور القرآن وآياته متضمنة لنوعى التوحيد وبيانها وتحقيق شأنهما فان القرآن اما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العملي الخبري واماد عوة الى عبادته وحده لا شريك له وقليلا ما يعبد من دونه

ولاشك ان من عبده غيره سبحانه وتعالى فقد جعل ذلك الغير شركا لاله الحق في اهيته سواء سماه اها أم لم يسمه فان هذا الفعل الصادر منه جعل واتخاذ والله تعالى قد عبر عن شركهم هذا بالجعل واتخاذ فقال عز من قائل واتخذوا وجعلوا ويجعلون الى غير ذلك من صدور الآيات البينات التي رد الله عليهم بها اذا علمت هذا تبين لك ان المعركة بين أهل التوحيد وللشركيين في الألوهية فقط وان أهل التوحيد يفر دونهم سبحانه بحقوقها والمشركون يجعلون بعضها لمن تألهوه من متخذاتهم ففرقوا دينهم وقادأمر واجعلهم الجميع له كما قال تعالى وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله لأن الله الدين الخالص أى من شوائب الشرك وجيع الرسل من أولهم الى آخرهم يدعو الى توحيد الله وعبادته فقال نوح لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقد قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون وبذلك يكون التحقق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد المقيدة افادة صريحة ان العبادة مقصورة عليه ومخصوصة به واليه فهي الغاية القصوى والوسيلة الواثقة وقد

فهو التوحيد الادارى العلوي واما أمر ونهى والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اكرامه لاهل توحيدهم وما فعل بهم في الدنيا وما بكرمهم به في العقبى فهو جزاء توحيدهم واما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحصل بهم في العقبى من العذاب والسلاسل والاضلال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوق أهله وجزائهم وفي شأن ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم (قوله اتخذوا) قال تعالى فاؤلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرآنا آلهة وقال تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون وقال لا اتخذوا الهين اثنين (قوله وجعلوا) قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وقال وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله وقال ولا تجعل مع الله الها آخر (قوله ويجعلون) قال تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم أى لا الهتهم التى لا علم لها لانها جاد (قوله المعركة) موضع العراك (قوله حتى لا تكون فتنة) أى لا يوجد فيهم شرك (قوله ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم الاديان الباطلة (قوله اعبدوا الله) أى وحده (قوله وكذلك قال هود وصالح وشعيب) أى قال كل منهم لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره (قوله وابراهيم) كما قال تعالى وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعامون (قوله وقد قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه الخ) وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (قوله القصوى) أى البعيدة (قوله ونقل عن علقمة الخ) أخرجه الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبراز في مسنده من طريق الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن

جعل الله سبحانه العبودية وصفاً أكمل الخليفة وأقر بهم اليه وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم بهافي
أسنى مقاماته وأضاف خواص المؤمنين بوصف العبودية اليه في مخاطباته يعلم ذلك من تأمل في آي
القرآن العزيز فلما جعل صلى الله عليه وسلم احسان العباداة أعلى مراتب الدين وفي مرتبة عين
اليقين هذا وقد رد الله سبحانه على من خالف هذا الأصل وحكم على الوصل بحكم الفصل وهم
المشركون الذين وحدوه بالربوبية وأثروا به في الألوهية توحيدهم فأقامه حجة بالغة وساططاً أميناً
قام بالشرك في الألوهية موجبا لافراده فيها أيضاً وأنه ينبغي أن لا يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب
سواه * اعلم ان العباداة لغة الذل والانقياد واصطلاحاً اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال
والأعمال الباطنة والظاهرة كالتيوحيد فإنه عباداة في نفسه والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان
والوضوء وصلاة الأرحام وبر الوالدين والدعاء والذكر والقراءة وحب الله وخشية الله والانابة اليه
واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته
والخوف من عذابه وغير ذلك مما رضى وأحبه فأمر به وتعبّد الناس فيه قال العلامة عمر بن
عبد الرحمن الفارسي في كشفه على الكشف للزمخشري عند تفسير قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا
ربكم الذي خلقكم وهو خطاب لمشركي أهل مكة ونقل عن علقمة ان كل خطاب بيا أيها الناس فهو
مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فالفظه تحرير الكلام فيه ان العباداة قد تطلق على أعمال
الجوارح بشرط قصد القرينة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف
عابد وهي على هذا غير الايمان بمعنى التصديق والنية والاخلاص بل مشروطة بها وقد تطلق على
التحقق بالعبودية بارتمام ما أمر السيد جل وعلا ونهى وعلى هذا تناول الأعمال والعقائد القلبية
أيضاً فيدخل فيها الايمان وهو عباداة في نفسه وشرط لسائر العبادات انتهى وقال ابن القيم في شرح
منازل السائرین مانصه فالعبادة تجمع أصليين غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقول طريق
معبد أي مدلل والتعبّد التذلل والخضوع فمن أحبيته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له ومن خضعت
له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً ثم قال في مكان آخر من شرحه هذا مراتب العبودية

عبد الله قال ابن عطية وغيره هو في يأيها الذين آمنوا صحيح وأما في يأيها الناس فقد يأتي في المدني
وقال ابن الحصار قد اعتنى المتشاغلون بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه وقد اتفق الناس على ان
النساء مدنية وأولها يأيها الناس وعلى ان الحج مكية وفيها يأيها الذين آمنوا الركعوا واسجدوا قلت
فعلى هذا يكون الخطاب بيا أيها الناس مكي ويا أيها الذين آمنوا مدني انما هو في الاكثر كما قال
مكي أو يحتمل على انه خطاب المقصود به أو جل المقصود به أهل مكة أو المدينة كما قال غيره والبحث
مستوفى في الاتقان للإمام السيوطي (قوله طريق سعبداً أي مدلل) وثوب ذو عبدة اذا كان في

وأحكامها لكل واحد من القلب واللسان والجوارح فواجب القلب منه متفق على وجوبه ومختلف فيه فالمتفق على وجوبه كالاخلاص والتوكل والانابة والخوف والرجاء والتصديق الجازم والنية للعبادة وهذه قدر زائد على الاخلاص فان الاخلاص افراد المعبود عن غيره ونية العبادة لها مرتبتان أحدهما تمييز العبادة عن العادة والثانية تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض والأقسام الثلاثة واجبة وكذلك الصدق والفرق بينه وبين الاخلاص ان للعبد مطالو باو طلبا فالاخلاص توحيد مطالو به والصدق توحيد التطلب فالاخلاص أن لا يكون المطاوب منقسما والصدق أن لا يكون التطلب منقسما فالصدق بذل الجهد والاخلاص افراد المطاوب واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة وكذلك النصيح في العبودية ومدار الدين عليه وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي به وأصل هذا واجب وكماله مرتبة المقر بين وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان واجب مستحق وهو مرتبة أصحاب اليمين وكمال مستحب وهو مرتبة المقر بين انتهى بعض ما قاله في بعض عبودية القلب وعقبه بعبودية اللسان الواجب منها والمستحب وعبودية الجوارح الواجب منها والمستحب أيضا ومن اشتغل بالنظر الى أنواع العبادات هان عليه تمييزها وتبيينها والله الهادي الى سواء السبيل وبالجملة فكل عبادة فهي مقصورة على الاله الواحد من أعمال القلوب والجوارح فكما لو صلى لغير الله أو صام على وجه التقرب اليه كان كافرا مشركا عند جميع الناس فكذلك من تقرب اليه بالأعمال القلبية المذكورة من التوكل والانابة والخوف والرجاء وغير ذلك لكن لما كانت هذه الأمور القلبية من التأله وكان الأولون يتألهون بها ويسمون من توله بها الها وكان مرجع كل ذلك الى القلب وأعماله التي هي منبع التوحيد ومصدر هذا الدين والمرجع اليه في الشك واليقين ومع ذلك فهي الفارقة بين الاله الحق الذي اختص بها على الدوام والاله الباطل الذي لا يحوم الموحد حوله بهذا المقام كان ذلك هو الداعي للتخصيص والموجب للتخصيص وأيضا فالكلام مع من حصل منه الشرك بما تأله في قلبه ورسخ بغيره ولبه من الأعمال الغير المختصة بالمسلمين وأما هذه الأعمال الظاهرة الشرعية المختصة بهم فلا يتعاطاها أحد من سواد ولم ترها تعمل الا لله ولم يعبدوا بها الاياه فهذا هو الذي أوجب تخصيصهم لهذه الأعمال القلبية وبعض البدنية كالسجود وحلق الرأس عبودية والافهميع العبادات قلبيةا وقوليها وبدنيها المختصة به سبحانه وتعالى لاتصلح الاله قال المحقق السعد التفتازاني في شرحه لمقاصد مانصه اعلم ان حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها ولا نزاع بين أهل الاسلام ان خلق الأجسام وتدبير العالم واستحقاق العبادة من الخواص ثم قال في آخر

غاية الصفاقة (قوله الجهد) الطاقة (قوله هان) سهل (قوله ورسخ) ثبت

هذا المبحث وبالجملة فإن التوحيد في الألوهية واجب شرعا وعقلا وفي استحقاق العبادة شرعا وما أمر والى لعبده والى الله واحد سبحانه وتعالى عما يشركون انتهى وحيث اتسع الكلام بحسب المقام تنقل ما قاله الفاضل ابن القيم في كتابه الجواب الكافي عن الدواء الشافي ما نصه ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب العبادة كلها له وحده والتعظيم والاحلال والخشعية والدعاء والرجاء والانابة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمنع الغير التشبيه به من لا شبهة له ولا مثل له ولا ند له وذلك اقبح التشبيه وأبطله واشد قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص الالهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما وهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبه به في خاص حقه وهذا من المحال ان تجيء به شريعة من الشرائع وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقوبهم وأفسدتها عليهم واغتالتهم عنها ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله تعالى الحسن فأرسل اليهم رساله صلى الله عليهم وسلم وأنزل كتبه بما يوافق فطرهم وعقوبهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء اذا عرفت هذا فمن خصائص الألوهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه المخلوق به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبه به ومنها التوبة فمن تاب الى غيره فقد شبه به ومنها الخلف باسمه تعظيما واجلالا له فمن حلف بغيره على هذا الوجه فقد شبه به به انتهى ما قاله والمقصود من ذلك كله القيام بالقسط الذي هو التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له قال عز من قائل قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أن يجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فهذا التوحيد أعظم العدل وأقومه وأصل الدين ومحكمه وذلك بأن يكون الدين كله لله قولا وعملا واعتقادا باخلاص هذه الكلمة الطيبة في لفظها ومعناها شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وروح هذه الكلمة افراد الرب جل ثناؤه وتقدس أسمائه

(قوله بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافى عن طرفي الإفراط والتفريط (قوله وأقيموا وجوهكم) أي توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها (قوله عند كل مسجد) أي في وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة أو في أي مسجد حضرتم الصلاة (قوله وادعوه) أي اعبدوه (قوله مخلصين له الدين) فإن اليه مصيركم (قوله من رسلنا) أي رسل أممهم وعاماء دينهم (قوله أجعلنا الخ) هل حكمنا بعبادة الاوثان أو هل جاء في مائة من ملهم والمراد به الاشتهار

ولا اله غيره بالمحبة والاحلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة
والرهبة فلا يجب سواه وكل ما يجب غيره فانما يجب تبعاً لمحبة وكونه وسيلة الى زيادة محبته ولا يخاف
سواه ولا يرجو سواه ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه ولا يعمل عملاً قد تعبد
الناس به الا فرده به ولا يشرك غيره معه فيكون قد جمع جميع أنواع العبادات فيه قولاً وعملاً
واعتقاداً وتحققاً بما قال وهو كلمة لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه محاصرين له الدين ولو كره المشركون وبهذه
الحقوق التي هي حق الله تعالى على جميع عباديه وحكمه الذي أوجبه على سائر مخلوقه تميز المسلمون
واستسلم اليه المسلمون ولما كان الدعاء لا يصدر في الغالب الا من قام بقلبه كمال الذل والافتقار لاسمائه
في حالة الانكسار والاضطرار كان كما ورد في الحديث مخ العباداة ومن وفق له فقد أوتي الحسنى وزيادة
وهذا الذي ذكرته ملخص ما أشار اليه المحققون مجرداً عن اللجاج عرياً عن الاحتجاج وقد احتج
المتكلمون على نفي تعدد الآلهة ببرهان التمايز المشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا
وتقريره انه لو أمكن الهان لأمكن بينهما التمايز بأن يريد أحدهما حركة جسم في وقت معين
والآخر سكونه في ذلك الوقت والتالي وهو امكان التمايز باطل فاللزوم مثله اما بيان الملازمة فلان
الحركة والسكون كل منهما أمر ممكن في نفسه وكذا تعلق الارادة بكل منهما أمر ممكن اذ لا تضاد بين
الارادتين بل بين المرادين وهو ظاهر واما بطلان التالى فلان التمايز باطل لانه حيثئذ اما أن يحصل

باجماع الانبياء على التوحيد (قوله مخلصين له الدين) من الشرك (قوله ولو كره المشركون)
ذلك الاخلاص وشق عليهم (قوله يبرهان التمايز) من المنع وانما سمى هذا البرهان به لان
ارادة كل منهما تمنع صاحبه عن تنفيذ ارادته وقدرته (قوله لو كان فيهما آلهة الا الله) اعلم ان لوفى
هذه الآية ليست لا تنفاء الثاني في الماضي بسبب انتفاء الاول كما هو أصل اللغة بل الاستدلال بانتفاء
الجزء على انتفاء الشرط من غير دلالة على تعيين زمان اه وقد ظن طوائف من أهل الكلام ان
هذه الآية دليل على توحيد الربوبية وغفلوا عن مضمونها فانه سبحانه أخبر انه لو كان فيهما آلهة
غيره ولم يقل أرباباً وايضاً فان هذا التمايز بعد وجودهما وان كان فيهما وهما موجودتان اله سواه
لفسدتا وهذا افساد بعد الوجود ولم يقل لم يوجد اودلت الآية على انه لا يجوز ان يكون فيهما آلهة
متعددة بل لا يكون اله الا واحد وعلى انه لا يجوز ان يكون هذا اله الواحد الا الله سبحانه وتعالى
وان فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة ومن كون اله الواحد غير الله وأنه
لا صلاح لهما الا بأن يكون اله فيهما هو الله وحده لا غيره فلو كان للعالم الهان معبودان لفسد نظامه
كما فان بقاءهما هو بالعدل وبه قامت السموات والأرض وأظلم الظلم على الاطلاق الشرك وأعد
العدل التوحيد وتوحيد الالهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس (قوله في وقت واحد)

مرادهما فيجتمع الضدان ويكون العالم موجودا معدوما وأما لا يحصل مراد كل منهما وهو محال لان الجسم لا يخلو عن الحركة والسكون مع انه يلزم أيضا عجزهما حينئذ وأيضا يكون العالم لا موجودا ولا معدوما وأما ان يحصل مراد أحدهما دون الآخر فيلزم عجز الآخر فإذا كان التمانع باطلا كان امكانه باطلا أيضا لان امكان المحال محال أيضا وقد لخص بعض الأفاضل الدليل على غير هذا الوجه فقال أما نفي الألوهية عما سواها فإن طريق الشرع في ذلك هي الطريقة التي نص الله عليهم في كتابه العزيز وذلك في ثلاث آيات أحدها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا والثانية قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الهة إذا ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون والثالثة قوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا يتغوا إلى ذي العرش سبيلا فاما الآية الأولى فلا انتها فطرية مغروزة بالطبع وذلك ان من المعلوم انه اذا كان ملكا كان كل واحد منهم ما فعله فعل صاحبه ليس يمكن ان يكون عن تدبيرهما مدينة واحدة لانه لا يكون عن فاعلين فعل واحد من نوع واحد فيجب ضرورة ان فعلا معان تفسد المدينة الواحدة الا أن يكون أحدهما يفعل ويبقى الآخر عطلا وذلك متتف في صفة الآلهة فانه متى اجتمع فعلا من نوع واحد على محل واحد ففسد المحل ضرورة وتمانع الفعل فان الفعل الواحد لا يصدر الا عن واحد فهذه معنى قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وأما قوله تعالى إذا ذهب كل اله بما خلق فهو رد على من

وفي حالة واحدة (قوله فيجتمع الضدان) قيل يلزم أيضا عجزهما حيث عجز كل منهما عن دفع مراد الآخر وفيه بحث لان مريدا أحد الضدين ساكت عن الضد الآخر لا مريدا لعدمه لكن يلزم من عدمه ثبوت ضده فاذا فرض ثبوت الضدين لزم العدم فلا يلزم العجز أيضا وانما يلزم في الفرض الآخر كما سيذكره (قوله مع انه يلزم أيضا عجزهما) فيرتفع الضدان (قوله فيلزم عجز الآخر) وهو أمانة الحدوث وأيضا العاجز لا يصح ان يكون الها قال تعالى أي بشركون ما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وقال تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (قوله لان امكان المحال محال أيضا) وبما ذكره يندفع ما يقال انه يجوز ان يتفق من غير تمانع وأما قول العلامة التفتازاني الآية حجة اقناعية أي يظن في أول الأمر انه حجة ويؤول ذلك عند تحقق المعرفة والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطايات فان العادة جارية بوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم فالحقون كالغزالي والبيضاوي وابن الهمام وغيرهم ما فنعوا بالاقتناعية وجعلوها من الحقائق القطعية والمسئلة مستوفاة في الكتب الكلامية قلت كأن السعد ظن ان هذه الآية مخصوصة للإشارة إلى الدليل الذي ذكره فقال ما قال وليس كذلك بل هي تنزل على أي دليل أقيم من دلائل التوحيد فان مدارها على لزوم كون الواجب ممكنا على تقدير التعدد (قوله بعض الأفاضل) وهو صاحب مناهج الأدلة

يضع آلهة كثيرة مختلفة الأفعال وذلك أنه يلزم في الآلهة المختلفة الأفعال التي لا يكون بعضها طبيعيا لبعض أن لا يكون عنها وجود واحد بل موجودات كثيرة فيكون العالم أكثر من واحد وهو معنى قوله تعالى لا يذهب كل الله بما خلق ولما كان العالم واحدا وجب أن لا يكون موجودا عن آلهة كثيرة متفنة الأفعال وأما قوله تعالى لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا فهي كآية الأولى أعني أنه برهان على امتناع إلهين فعليهما واحد ومعنى هذه الآية أنه لو كان فيهما آلهة قادرة على إيجاد العالم وخلقه غير الإله الموجود حتى تكون نسبتها من هذا العالم نسبة الخالق له لوجب أن يكونوا مستوين على العرش معه فكأن يوجد موجودان متماثلان ينسبان إلى محل واحد نسبة واحدة والمتماثلان لا ينسبان إلى محل نسبة واحدة لأنه إذا اتحدت النسبة اتحد المنسوب والمراد أنهما لا يجتمعان في النسبة إلى محل واحد كما لا يجتمعان في محل واحد إذا كانا متماثلين كما لا يكونا بمحل وان كان الأمر في نسبة الإله الحق إلى العرش ضد هذه النسبة أعني أن العرش يقوم به لانه يقوم بالعرش ولذلك قال تعالى وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظها فهو أرحم الراحمين الموافق للطبع والشرع في معرفة الوحدة انية انتهى وهو تلخيص حسن قد أجزاه على غير الطريقة الأولى كما ترى وقد فصل ابن القيم ذلك في كتابه الدواعي النافع فقال كل شيء له إرادة ومحبته وعمله بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والإرادة ولا صلاح للموجودات إلا بأن تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وبارئها واحدة كما لا وجود لها إلا بإبداءه وحده ولهذا قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولم يقل سبحانه لما وجدتا ولو كانتا معدومتين إذ هو سبحانه قادر على أن يبقيهما على وجه الفساد لكن لا يمكن أن يكونا على وجه الصلاح والاستقامة إلا بأن يكون الله وحده هو معبودهما ومعبود ما حوتاه وسكن فيهما ما فواو كان للعالم إلهان ففسد نظامه غاية الفساد فإن كل إله كان يطالب مغالبة الآخر والعواويل وتفرد به وبه بالألوهية إذ الشرك نقص ينافي كمال الإلهية والإله لا يرضى لنفسه أن يكون إلهان ناقصا فإن قهر أحدهما الآخر كان هو الإله وحده والمقهور ليس بالله وإن لم يقهر أحدهما الآخر لم يحز كل منهما ونقصه ولم يكن تام الإلهية فيجب أن يكون فوقهما إله قاهر لهما حاكم عليهما والذهب كل منهما بما خلق وطلب كل منهما العلو على الآخر في ذلك فسادا من السموات والأرض ومن فيهما كما هو للمعهود من فساد البلاد إذا كان فيه ملكان متكافيان وأصل فساد العالم إنما هو من اختلاف الملوك والخلفاء ولهذا لم يطمع أعداء الإسلام فيه في زمن من الأزمنة إلا في زمن تعدد ملوك المسلمين واختلافهم وانفراد كل منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض فصلاح

(قوله ولو كانتا معدومتين) أي ولا قال لعدو لنا (قوله وطلب بعضهم العلو على بعض) فلا بد من ثلاثة أمور إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه وإما أن يعلموا بعضهم على بعض وإما أن يكونوا تحت قهر ملك

السموات والأرض واستقامتهما وانتظام أمر المخلوقات على أتم نظام من أظهر الأدلة على أنه لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل الا وجهه الأعلى قال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهم ما آلهة الا الله افسد تافس سبحانه الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقال تعالى لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لا بتغوا الى ذى العرش سبيلا فقل المعنى لا بتغوا السبيل اليه بالمغالبة والقهر كما يفعل المالك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله تعالى في الآية الأخرى ولعل بعضهم على بعض قال شيخنا والصحيح ان المعنى لا بتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف يعبدونهم من دونه وهم لو كانوا آلهة كما تقولون لكانوا عبيد اله قال ويدل على هذا وجود منها قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه أي هؤلاء الذين تعبدونهم من دونه هم عبادى

واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الاله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه وانتظام أمر العالم كله واحكام أمره من أدل دليل على ان من دبره اله واحد وملك واحد ورب واحد لا اله الا الله للخلق غيره ولا رب لهم سواه كما قد دل دليل التمانع على ان خالق العالم واحد لا رب غيره فلا اله سواه فذلك تمنع في الفعل والايجاد وهذا تمنع في العبادة والالهية فكما يستحيل ان يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل ان يكون لهم الهان معبودان فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممنوع لذاته مستقر في الفطن معلوم بصريح العقل بطلانه فكذلك تبطل الهية اثنين فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطن من توحيد الربوبية دالة مثبتة ملازمة لتوحيد الهية (قوله من ولد) لتقدمه عن مسألة أحد (قوله من اله) شبهه في الألوهية (قوله عما يصفون) من الولد والشريك (قوله والشهادة) قال البيضاوى وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في أنه المنفرد بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفناء (قوله من الأرض) صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفاقدها التحقير دون التخصيص (قوله هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لازم ادعائهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع المكاتب والمراد تجميعهم واللبالغة في ذلك زيد الضمير الموهوم لاختصاص الانصار بهم (قوله لا يسئل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه ونفرد به بالألوهية والسلطنة الذاتية (قوله وهم يسألون) لانهم لما كونوا مستعبدون والضمير للآلهة أو للعباد (قوله بالتقرب اليه وطاعته) وهو المشغول عن السلف كقتادة وغيره وهو الذي ذكره

يرجون رحمتي ويخافون عذابي فلماذا تعبدونهم دوني الثاني انه سبحانه لم يقل لا تبغوا عليه سبيلا بل قال لا تبغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله تعالى اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وأما في الغلبة فانما يستعمل بعلى كقوله تعالى فان أطعكم فلا تبغوا عليهم سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان آلهتهم تعالبه وتطلب العاوه عليه وهو سبحانه قد قال لو كان معه آلهة كما يقولون وهم انما كانوا يقولون ان آلهتهم تبغى التقرب اليه وتقر بهم زلفى اليه فقال تعالى لو كان الأمر كما يقولون لكانت تلك الآلهة عبيد له فلماذا تعبدون عبيده من دونه انتهى وقد رأيت في رسالة لأولها أظنها من مؤلفات الشيخ تقي الدين بن تيمية وأظنها التي سماها المسودة وفيها تضعيف الطريق الذي ذهب اليه المتكلمون في حل هذا الدليل الذي أسلفناه وتأيد ما به عقبناه من كلام ابن القيم وما قبله بان قال ما ملخصه وأما ما يتكلفه الأشعرية من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية فليس يجرى مجرى الأدلة الطبيعية ولا الشرعية ووجه الضعف فيه انه كما يجوز العقل اختلافهما قياسا على الشاهد كذلك يجوز اتفاقهما وهو أليق بالآلهة من الاختلاف واذا اتفقا على صناعة العالم كانا مثل الصانعين اتفقا على صنع ما اذا كان هذا هكذا فلا بد ان يقال ان أفعالهم اولوا اتفاقا كانت تتعاقب بورودها على محل واحد فلو قال قائل فلعل هذا يفعل بعضا والآخر بعضا ولعلهم ما يفعلان على المداولة قلنا ان الذي يقدر على اختراع البعض يقدر على اختراع الكل فيعود الأمر الى قدرتهم على كل شئ فاما ان يتفقا واما ان يختلفا وكيفما كان تعاقب الفعل واما التداول فهو نقص في حق كل واحد منهما واعلم ان الحال الذي أفضى اليه دليلهم غير الحال الذي أفضى اليه الدليل المذكور في الآية وذلك ان الحال الذي أفضى اليه الدليل الذي زعموه انه دليل الآية أكثر من محال واحد لانهم قسموا الأمر الى ثلاثة أقسام وليس في الآية تقسيم فدليلهم الذي استعملوه هو الذي يعرفه أهل المنطق

ابن جرير ولم يذكر غيره (قوله أظنها من مؤلفات الشيخ تقي الدين الخ) قلت هذه الرسالة تبينت بعد ذلك انها مناهج الأدلة لابن رشد (قوله من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية) وهو الذي يسمونه دليل التمايز وتقدم تقريره في أول البحث (قوله كذلك يجوز اتفاقهما) لكن يرد عليه ما يقال لو توافقا فاما أن يتوافقا مع العجز من الممانعة فيلزم العجز أو مع القدرة فيصير كل منهما مقدور الآخر والمقدور لا يصلح الها أو يقال لو توافقا فاما أن يوجد الموجود منهما على طريق التعاون فيلزم عجزهما واحتياج كل منهما الى معين وان كان أحدهما معينا دون الآخر لم يصلح الآخر للالهية فان انفرد كل واحد منهما بالفعل فهو محال (قوله على صنع ما) أى مصنوع (قوله الى ثلاثة أقسام) كما تقدم تقسيم ذلك في أول الدليل (قوله وليس في الآية تقسيم) بل هي انما سيقت للاستدلال بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة كما لا يخفى

بالقياس الشرطي المنفصل ويعرفونه هم في صناعتهم بدليل السبر والتقسيم والدليل الذي في الآيه هو الذي يعرف في صناعة المنطق بالشرطي المتصل وهو غير المنفصل ومن نظر في تلك الصناعة تبين له الفرق بين الدليلين وأيضا فان المحالات التي أفضى اليها دليلهم غير المحال الذي أفضى اليه دليل الكتاب وذلك ان المحال الذي أفضى اليه دليلهم هو ان يكون العالم اما لا موجودا واما لا معدوما واما ان يكون موجودا معدوما واما ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذه مستحيلات دائمة الاستحالة والمحال الذي أفضى اليه دليل الكتاب ليس مستحيلا على الدوام وانما عاقت الاستحالة فيه في وقت مخصوص وهو ان يوجد العالم فاسدا في وقت الوجود فكانه قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لوجد العالم فاسدا في الآن ثم استثنى انه غير فاسد فوجب ان لا يكون هنالك اله الا واحد انتهى ما قاله وقد ذكرت هذه الأدلة اذ لا تخلو من فائدة لمن أمعن فيها النظر والله أعلم وقد تقدم الدليل النقلي في اثبات التوحيد بمعونة ان العلم بصحة الدلائل النقلية لا يتوقف على العلم بأن الاله واحد حتى يلزم الدور بل العلم بصحتها متوقف على العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على دلالة المعجزة على صدقه لا على التوحيد فافهم وتبصر في دلائل توحيدك واعمل به بعد عقد طوبى لك عليه واصرف فؤادك في جميع أحوالك اليه وتحقق بقوله تعالى اياك عبادوا وياك نستعين فهي الآية التي قسمها الله بينه وبين عباده كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه فافراد العبادة حق الله الواجب عليك فاستمع به في اسباب نعمه التي أعظمها الهداية الى دينه ثبتت الله سبحانه وتعالى على دينه الحق القويم وهذا نابضه ومنه الصراط المستقيم آمين

(قوله بالقياس الشرطي المنفصل) وهو ما اذا كانت الشرطية الموضوعة فيه منفصلة فان كانت حقيقية فاستثناء عين أحد الجزئين ينتج نقيض الآخر واستثناء نقيض كل جزء ينتج عين الآخر وان كانت مانعة الجمع فاستثناء عين كل جزء ينتج نقيض الآخر لا غير وان كانت مانعة الخلو فاستثناء نقيض كل جزء ينتج عين الآخر لا غير (قوله ويسمونه بدليل السبر والتقسيم) الذي هو طريق من الطرق التي ذكرت في أصول الفقه لاثبات العلة المشتركة وبيان علية الحكم وهو ايراد أوصاف الأصل وابطال بعضها ليتعين الباقي للعلية كما يقال علة الجدوث في الشيء اما التأليف والامكان والثاني باطل بالتخالف لان صفاته تعالى ممكنة وليست بحادثة فتعين الأول وكما يقال علة كون السواد مرئيا اما وجوده أو كونه عرضا أو محدثا أو لونا أو كونه سوادا والكل باطل سوى الوجود والله موجود فتصح رؤيته (قوله بالشرطي المتصل) وهو ما اذا كانت الشرطية الموجودة فيه متصلة فاستثناء عين المقدم ينتج عين التالي واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم (قوله تبين له الفرق بين الدليلين) فيجد أحدهما مقابلا لا آخر لا يمكن ان يطلق على الآخر كما لا يخفى على من له أدنى المام في علم المنطق (قوله انتهى ما قاله) أي ابن رشد

باب السادس في بيان الخلاف الواقع في جواز الاستشفاع والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والصالحين والمنع عن ذلك وان من منع هل يحكم على فاعله بالكفر لكونه عنده من خواص الالهية أم بالحرمة فقط وبيان ما احتج به الفريقان مع تقويم بيان الشفاعة وما فيها من المباحث وغير ذلك

اعلم ألهمني وإياك الرشاد والهداية وجنبنا عن الضلال والغواية ان الشفاعة في الاصل صفة تقوم بمن يستوهب لغيره شيئاً ويطلب له حاجة مأخوذة من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فرداً فصار الشفع له شفعا أي زوجا فكانه شاركه وشفعه في حاجته وهذا المعنى هو المقصود منها حيث أطلقت وقد اعتبر الشفاعة باعتبار كون الشفع شافعا للمسؤول منه قضاء الحاجة بكونها قضيت بسبب شفاعته فكانه الحامل على قضاءه أو بذلك شفيع المسؤول منه وشاركه بانفاذ المطالب بوجه السبيبة وهذا المعنى غير مراد ولا معروف بل هو مخالف ومناقض لما جاء به التوحيد الواجب على العبيد لان الله سبحانه وتعالى لا يشفعه شيء أبداً ولا يرتاب في ان الشفاعة نسبة بين شافع وهو من تلبس بها ومشفوع له وهو المطلوب لاجله الحاجة ويقال له أيضاً مشفوع لاجله كما يقال للشافع شفيع وكذا يقال له بعد حصول البغية وانجاح الطلبة مشفع وأما المسؤول منه قضاؤها فإنه يقال له مشفوع اليه وعنده فاذا الشفاعة تكون نوع اعانة لطالب الحاجة بدعاء ومنه الاستغفار وسؤال وفعل وغير ذلك مما يفيد الاعانة في المطلوب اقضاء ما هو مرغوب وقد أجمع أهل السنة والجماعة على ثبوتها للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك في ثبوت أصالتها الثابت بالأحاديث الصحيحة أحدها من المسلمين فيها ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل نبي دعوة مستجابة وإنى خبأت دعوتي شفاعة لأمي وهي نائلة منكم ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً وروى حديث الشفاعة بطوله أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فمش منها

(قوله ولا فراط المؤمنين) والعلماء والشهداء والفقراء (قوله لكل نبي دعوة) أي مرة من الدعاء (قوله وإنى خبأت دعوتي) متيقنا جابتها وقد صرفها كل نبي إلى شيء في هذه الدار كسليمان عليه السلام سأل الملك ونوح عليه السلام سأل أهلاك أهل الدنيا فان قلت اختباء الشيء يقتضي حصوله وتلك الدعوة انما تحصل له يوم القيامة فكيف تكون مدخرة قلت أجيب عن ذلك بأنه يجوز ان يخبر الله النبي عليه السلام بين ان يدعو تلك الدعوة المستجابة في الدنيا وبين ان يدعو في الآخرة فاختر الدعوة في الآخرة فسمى ذلك الاختيار اختباء (قوله وروى حديث الشفاعة الخ)

نهضة ثم قال أناسيد الناس يوم القيامة وهل تدرون من يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيس معهم الداعي وينفذهم البصر وتد نومهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون ثم ساق الحديث وهو طويل جدا وقد وردت في الشفاعة أحاديث كثيرة كادت تبلغ مبلغ التواتر فلذا لم ينكر أصلها أحد من جميع الفرق الإسلامية وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كثيرة منها الشفاعة العظمى لفصل القضاء التي هي من خصائصه والمرادة من المقام المحمود في قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالمقام الذي وعده وأمر أمته بسؤاله قبل كل صلاة ليعود ثواب الدعاء ونفعه اليهم ولما فيه من الإشارة إلى أن الكامل لا يستغنى عن الكمال هو الشفاعة العظمى التي يغبط بها الأولون والآخرون ومنها الشفاعة لمن يدخل من أمته بغير حساب وهذه أيضا كالأولى من خصائصه ويشارك في البوائق على الأصح في البعض ووفقا في الباقي ومنها الشفاعة لقوم استحقوا دخول النار فلم يدخلوها وفي قوم حبستهم الأوزار عن دخول الجنة ولبعض أهل الجنة في رفع درجاتهم ولمن مات في المدينة ولمن زاره في قبره صلى الله عليه

أخرجه الشيخان (قوله يوم القيامة) سمي به لأن الناس يقومون فيه من قبورهم أول قيامهم إلى الحساب (قوله المفسرون) منهم ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسيره أي مقاما محمودا فيه الأولون والآخرون وتشرف على جميع الخلائق فتسأل فتعطي وتشفع فتشع (قوله وعده) أي في الآية المذكورة (قوله ليعود ثواب الدعاء ونفعه اليهم) كما روى البخاري عن جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعده حلت له شفاعتي (قوله هو الشفاعة العظمى) لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي ولا شعاره بأن الناس يحمدهونه لقيامه منه وما ذاك إلا مقام الشفاعة (قوله يغبط بها الأولون والآخرون) بفتح حرف المضارعة وسكون الغين المعجمة وكسر الموحدة ويجوز الفتح من الغبطة وهي أن تقضى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وهي جائزة شرعا بخلاف الحسد وهو تمنى زوال نعمة الغير فإنه حرام من الكبر والأولون أي من تقدمه من الأنبياء وغيرهم والآخرين بكسر الخاء وهم من بعده صلى الله عليه وسلم (قوله بغير حساب) ويحسن أن يستشهد لهذه الشفاعة بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب والحديث مخرج في الصحيحين (قوله لقوم استحقوا دخول النار) قال النووي ويجوز أن يشركه في هذه الأنبياء والعماء والأولياء (قوله في رفع درجاتهم) فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم

وسلم ان صح الحديث بذلك وفتح باب الجنة كما رواه مسلم ولمن أجاب المؤذن ولقوم كفار لهم سابق خدمة له صلى الله عليه وسلم في تخفيف عذابهم ولمن سأل له الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة وقد أنكرت المعتزلة الشفاعة في درء العقاب وأثبتتها في ترتب الثواب لرفع الدرجات وأنكرت حديث الدخول بغير حساب واستندت بالآيات النافية للشفاعات مثل قوله تعالى من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منه عادل ولا تنفعها شفاعة وغير ذلك من الآيات النافيات وبنوا ذلك على ما أصابوه من ان مرتكب الكبيرة ان لم يتب عنها ومات فهو في منزلة بين الكفر والايمان محمدا في النار مستحق للبوارد اخل في الظالمين ذوى الأوزار الكبار قال تعالى مالا ظالمين من جيم ولا شفيع يطاع فأخبر سبحانه أن ليس للظالمين أحاديث اليهم ولا تقبل شفاعة من يشفع لهم وانه لا تجزى كل نفس عن كل نفس أى شئ كان ولا يحصل لها نفع بشفاعة أبدا ويدل على ذلك وقوع النفس النكرة في سياق النفي فيكون عاما فالضمير العائد اليها يكون عبارة عن النفس المبرمة فيعم أيضا لوقوعه في سياق النفي أيضا كما اذا قلت لم أسمع رجلا دخل الدار ولم أره والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذا اختار المحققون من المتكلمين الجواب عنه بتخصيص ذلك بالكفار جعاب بين الأدلة فإنه قد ثبت بالأحاديث الصحيحة وقوع

(قوله في تخفيف عذابهم) فان قيل فقد قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها (قوله وهي أعلى درجة في الجنة) كما روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ما انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فان من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم اسألوا الله الى الوسيلة فانهم منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعباد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الى الوسيلة حلت عليه الشفاعة ومن الشفاعة شفاعة في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيناتهم فيشفع فيهم فيدخلون الجنة (قوله من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أى من قبل أن يأتي يوم لا تقدر ون على تدارك ما فرطتم والخلص من عذابه اذا لا بيع فتحصلون ما تنفقونه أو تقتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم أو يسامحونكم ولا شفاعة (قوله واتقوا يوما) أى ما فيه من الحساب والعذاب (قوله ولا يقبل منه عادل) أى من النفس الثانية العاصية أو من الأولى (قوله من جيم) أى قريب مشفق (قوله لهم) لظالمهم (قوله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فلا يرد على المعتزلة ما قيل في الجواب عن الآية بأنه لا عموم له في الاعيان لان الضمير لقوم معينين هم اليهود فلا تنفع الشفاعة لهم ولا عموم له في الأزمان أيضا لاندلوقت مخصوص وهو اليوم المذكور فيه فلا يلزم عدم نفعها في غير ذلك

الشفاعة لأهل الكبائر من أمته قال الحليمي احتج المخالف بأن الوعيد كالوعد في امتناع الخلف فيه لاستحالة الكذب على الله تعالى وبأن صاحب الكبيرة فاسق غير مؤمن إذ الفسق منزلة بين الإيمان والكفر والجنة دار المؤمنين فلا يدخلها غير المؤمن ولا يصح القول بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لأصحاب الكبائر لقوله تعالى ولا يشفعون إلا من ارتضى وهم من خشيته مشفقون أي لخشيته لا تشفع الملائكة إلا من ارتضى فيدل ذلك على أن الشفاعة لأصحاب الكبائر مخالفة لخشية الله تعالى فلا يجوز وجودها من النبي عليه الصلاة والسلام ولأن الله تعالى وصف يوم الدين بأنه يوم لا تلك فيه نفس لنفس شيئاً ولو حصلت الشفاعة لأصحاب الكبائر ونفعتهم لما كت نفس الشافع أعظم الأشياء وهو الخلاص من النار ولما نزل قوله تعالى وأندر عسير تلك الأقربين قال النبي صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله تعالى فاني لا أغني عنكم من الله شيئاً وخص غير واحد منهم فقال يا فاطمة بنت محمد اشترى نفسك من الله تعالى فاني لا أغني عنك من الله شيئاً وأيضا يجوز وجود الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكبائر لما جاز أن يخبر بها أمته ولما كان إخفاء خبرها عنهم أولى من إخفاء ليلة القدر لئلا يتكلموا عليها فيجتريء الفساق على الانهمالك في ضروب الفسق ويكون النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال لهم لا بأس عليكم فاني أشفع لكم وهذا غير جائز والجواب عن قياس الوعيد على الوعدان تقدير استثناء المشيئة في آيات الوعيد على ما مر يمنع الخلف فيها ويؤيد ذلك التقدير أن الله تعالى خاطب عباده بما هو من عاداتهم في مخاطبتهم ومن المعهود في مخاطبات الناس غالباً أن يكون وعدهم بآثار أو وعيدهم معلقة لما في مخالفة الوعد من ترك الفضل إلى

الوقت كما ذكر ذلك في شرح المواقف ثم قال والامام الرازي بعد ما أورد شبهات المعتزلة في اثبات ما ادعوه قال والجواب عنها الجمال أن يقال إن دلالتكم في نفي الشفاعة لا بد أن تكون عامة في الأشخاص والأوقات ودلائلنا في اثباتها لا بد أن تكون خاصة فيهما لا نالاً ثبت الشفاعة في حق كل شخص ولا في جميع الأوقات والخاص مقدم على العام قال ترجيح معنا وأما الاجوية المفصلة فقد كورة في التفسير الكبير انتهى (قوله في انتفاء الخلف لاستحالة الكذب على الله تعالى) وفيه نظر لأن ما ذكر يدل على وقوع العذاب ولا يدل على وجوبه وهو المتنازع فيه كذا في شرح المواقف والجواب الحاسم ما ذكره الدواني وهو تخصيص المذهب المغفور عن عمومات الوعيد بالنصوص الدالة على وقوع مغفرة جميع ذنوب بعض المؤمنين وهو الذي سيذكره الحليمي (قوله الأقربين) أي الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم (قوله فاني لا أغني عنك من الله شيئاً) قال شرح هذا الحديث أي لا أقدر على دفع مكر ودهنكم في الآخرة إن أراد الله أن يعذبكم فأنما أشفع لمن أذن الله لي فيه وإنما يأذن لي إذا لم يرد تعذيبه وإنما قال عليه السلام في حقهم هكذا الترغيبهم على

ملا فضل فيه وفي مخالفة الوعيد من ترك ما لافضل فيه بل فيه الأذى والعقوبة الى ما يقابله فاللائق
 بأهل الفضل بت الوعد وتعليق الوعيد بنحو المشيئة والشفاعة وما جرى مجراها لا يقال فينبغي
 أن لا يحنث من حلف ليضرب بن عبده اليوم فلم يضر به عملا بمقتضى التعليق المقدر لانا نقول انما
 يحمل الوعيد على التعليق المذكور اذا كان مطلقا فاما اذا كذب باليمين التي يحترز بها في العادة عن
 الخلف فالتأويل بظاهرة من التعليق ما لم يعارضه معارض أرجح منه وقولهم صاحب الكبيرة
 فاسق غير مؤمن مردود بأنه لو خرج بالفسق من الايمان لم يعد اليه بمجرد التوبة من فسقه بل
 احتاج الى تجديد الاقرار ولا يحتاج اليه باجتماع الأمة وقوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر
 ومنكم مؤمن يبطل القول بقسم ثالث واذا لم يكن الفاسق كافرا وجب كونه مؤمنا وكما ان حسنات
 الكافر لا تخرجه من الكفر لان الايمان لم يحركه عليها بل طلب الذكر وما أشبهه وجب أن لا يخرج
 المؤمن شيئا من الايمان لانه لم يحركه الكفر عليها بل اتبع الهوى كيف ولم يقصد بهامضادة أصل
 الايمان ثم ان الايمان أكبر الطاعات وكل ذنب دون الكفر ليس بأكبر المعاصي فلا يجوز ان يحبط

الايمان والعمل ثلثا يعتقدوا على قرابته ويتهاونوا (قوله بت الوعد وتعليق الوعيد بنحو المشيئة
 والشفاعة الخ) على ان بعض العلماء ذهب الى ان الخلف في الوعيد جائز على الله تعالى ومنهم
 الواحدى فانه صرح به في تفسيره الوسيط في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآية
 حيث قال والأصل في هذا ان الله يجوز ان يخلف الوعيد وان كان لا يجوز ان يخلف الوعد وبهذا
 وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن محمد الأصفهاني حدثنا
 عبد الله بن محمد الأصفهاني وزكريا بن يحيى الساجي وأبو حفص السامي وأبو يعلى الموصلي قالوا حدثنا
 هدية بن خالد بن سهل بن أبي خزم حدثنا ابن السائب البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منه جزله ومن أوعده على عمل
 عقابا فهو بالخيار وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن حمزة حدثنا أحمد بن خليل حدثنا الأصمعي
 قال جاء عمرو بن عبيد الى أبي عمرو بن العلاء قال يا أبا عمرو يخلف الله ما وعده قال لا قال أفرأيت من
 أوعده الله على عمله عقابا يخلف الله وعيده فيه فقال أبو عمرو ومن العجمة أنت يا أبا عثمان ان الوعد
 غير الوعيد ان العرب لا تعد عيبا ولا خلفا ان تعده شرأثم لا تفعله بل ترى ذلك فضلا وكرما وانما الخلف
 ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فأوجد لي هذا قال نعم أما سمعت قول الشاعر

واني اذا أوعدته أو وعدته * تخلف ايعادى ومنجز موعدى

والذى قاله أبو عمرو ومذهب الكرام ومستحسن عند كل أحد خلف الوعيد كما قال السري الموصلي
 شعرا اذا وعد السراء أنجز وعده * وان أوعد الضراء فالعقوباته

الأصغر الأكبر وأما الشفاعة فقد وردت فيها أخبار كثيرة نحو قوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل
 الكبائر من أمتي وقوله لكل نبي دعوة مستجابة واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وورد
 أنه يشفع لأمته فيخرجون من النار وقد صاروا حماوا واستفاضت الأخبار بذلك بحيث قاربت
 التواتر فلا عذر في الذهاب عنها وقوله تعالى ولا يشفعون إلا بمن ارتضى معناه إلا لمن ارتضى أن
 يشفعوا له كما قال من ذا الذي يشفع عنده إلا بذنه ولا بد من تقييد الارتضاء بذلك لأن المرتضى عند
 الله لا يحتاجون إلى الشفاعة ولا يصح أن يقال إن الله لا يرتضى أن يشفع لصاحب الكبيرة لأن
 المذنب هو الذي يحتاج إلى الشفاعة وكلما كان ذنبه أكبر كانت حاجته إليها أشد فكيف يجعل اشتداد
 حاجته حائلا بينه وبين الشفاعة وامتناع الشفاعة للكافر ليس أعظم ذنبه ليرد على هذا بل لجدد الشافع
 والمشفوع عنده وأخبار الله تعالى بأنه لا يشفع فيه أحد وقد اتفقت في صاحب الكبيرة وإذا
 كانت الشفاعة بعد الأذن لم تكن مخالفة لحشية الله وأما قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
 فلا تدفع الشفاعة لأن المراد بالملك الدفع والذب بالقوة كما يكون في الدنيا من ذب الأقوياء عن
 أنفسهم وعن غيرهم بالشوكة والشفاعة ليست كذلك لأنها تدل من الشافع للمشفوع عنده وقوله
 عليه الصلاة والسلام يا بني عبد مناف إلى آخره قد يخرج على نهيمهم عن التقصير في حقوق الله تعالى
 اتسكا لا على قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أنهم لا يسألون لذلك عما يعملون
 فأخبرهم أن اتصالهم به لا يسقط عنهم تبعات أعمالهم وأنهم يحاسبون كغيرهم وليست الشفاعة اغناء
 عنهم من الله شيئا لأنها فيما بيننا ليست بموجبة فكيف يتوهم كونها عند الله موجبة وأما أخبار أمته
 صلى الله عليه وسلم بشفاعته فهو كإخبارهم بأن التوبة تجب ما قبلها من الأوزار وإن عظمت وطالت
 مدتها فكما جاز ذلك اتفاقا فليجز هذا فان قيل لا يجزيه في ذلك إذ لا يعلم الخاطئ أن التوبة تنفقه له
 أم لا قلنا وكذلك لا يعلم أن الشفاعة تناله أم لا انتهى ويجوز العفو عن الكبائر بدون التوبة عند
 أهل السنة أما مع حض فضل الله تعالى أو بشفاعة الشافعين لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به

ولقد أحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله إذا
 ضمن لهم أنهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد إذا قال
 لا تفعلوا كذا فاني أعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو والكرم لأنه
 غفور رحيم انتهى (قوله شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن
 ماجه وابن حبان والحاكم (قوله حيا) جمع حمة وهي الفحمة (قوله قلنا وكذلك لا يعلم أن
 الشفاعة تناله أم لا) وهو جواب حسن (قوله ويجوز العفو) والمراد بالعفو ترك عقوبة
 المجرم والستر عليه بعدم المؤاخاة (قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به) لأن ذنبه لا يمحي عنه

ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وتقييده بالتوبة تحكم بحث وأما الشرك الاكبر الذي هو المراد عند الاطلاق فليس بمغفور ولا تجرى فيه شفاعته ولنا في اثبات الشفاعه لأهل الكبائر من الكتاب قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى فاتنفعهم شفاعه الشافعين فان اسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعه في الجملة والامساك لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد الى تقبيح حالهم وتحقيق بأسهم معنى لان مثل هذا المقام يقتضي ان يوسموا بما يخصهم لا بما يعمهم وغيرهم قاله السعد التفتازاني ولما رأيت المعتزلة أصل العفو والشفاعة ثابتا بالدلائل القطعية من الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة قالت بالعفو عن الصغائر مطلقا وعن الكبائر بعد التوبة وبالشفاعة لزيادة الثواب هذا واعلم انه لما تعارضت النصوص من الكتاب والسنة باثبات الشفاعه تارة ونفيها أخرى وكان سبب حان وتعالى قد قيد الشفاعه المثبتة بشرطين أحدهما رضاه عن المشفوع له والآخر اذنه للمشافع فني لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعه قال الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال سبحانه يومئذ لا تنفع الشفاعه الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون

(قوله ويغفر مادون ذلك) أي مادون الشرك صغيرا كان أو كبيرا (قوله لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا (قوله وتقييده بالتوبة تحكم) كما ذكر ذلك المعتزلة حيث علقوا الفعلين على معنى ان الله لا يغفر أن يشرك به لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر مادونه لمن يشاء وهو من تاب وقوله بحث اذ هو تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفتح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذلك شرك وان صاحبه مخلد في النار (قوله وللمؤمنين) أي ولذنب المؤمنين لدلالة القرينة السابقة وهي ذكر الذنب فيعبر الكبائر (قوله فاتنفعهم شفاعه الشافعين) لم يشفعوا لهم جميعا (قوله قال السعد الخ) أي في شرح المقاصد (قوله الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله وفيه رد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عنده وفيه اثبات الشفاعه لمن اذن لهم (قوله الا باذنه) بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريد به شفاعه واستسكانه فضلا عن ان يعاوقه (قوله الا من ارتضى) أن يشفع له (قوله الا لمن اذن له) أي الا شفاعه من اذن أو الا من اذن في ان يشفع (قوله ورضي له قولا) أي رضي لأجله قول الشافع بشأنه (قوله قل) أي للشركين (قوله زعمتم من دون الله) أي زعمتموهم آلهة والمعنى ادعواهم فيما يهيمكم من جلبة نفع أو دفع ضرر لعلمهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم

مشقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع
الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقوله تعالى وكنتم من ملأ في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من
بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى فقد أخبر سبحانه أنه ما من شفيع إلا من بعد أذنه وأنكر
أن يشفع أحد إلا بأذنه وأخبر سبحانه أنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضاهم وهم الموحدون ويجب
حمل الآيات النافية على الشفاعة المطلقة التي كان المشركون يستعمونها مع آلهتهم ليقر بوجههم إلى
الله زلفى وكانوا يقولون كما أخبر الله سبحانه عنهم هؤلاء شفعاءنا عند الله وإن الله يرضى لهم
بهذا الفعل لكونهم قد أرادوا التقرب بشفاعتهم إليه لينالوا ما لديه فأنا نكر الله سبحانه ذلك
عليهم وإنهم فعلوا ذلك بالتقليد المحض والشريك فهذه الشفاعة المنفية هي الشفاعة الشركية
وأما الشفاعة المثبتة التي أثبتها الكتاب والسنة فهي الشفاعة للمؤمنين الموحدين وهم الذين شاءهم الله
للشفاعة وحدهم للشفاعين كما ورد في حديث الشفاعة الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم حين
يفتح عليه بالدعاء فيحمد الله بحماد يفتحها الله عليه يقال له يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع
تشفع وقد قال سيد الشفعاء في آخر هذا الحديث الشريف ويحد لي حداً لا أتجاوزه قال الشراح من
المحدثين يعني يقال له اشفع في الموصوفين بكذا أو كذا أو كذا من أوصاف الكبر الموجهة للعقاب
وقد ارتضاهم سبحانه بما أفردوه به من العبادة التي لا تليق بالعبيد وتختص بالخالق المالك الجيد
وأما المشركون فلا نصيب لهم في هذه الشفاعة لضمهم حق ألوهيته وسعيهم بالمعنى في تمزيق ربوبيته
فهذه الشفاعة المستثناة هي الشفاعة المثبتة وتلك الشفاعة المطلقة المحمولة على المقيدة هي الشفاعة
المنفية وبهذا الإطلاق المخصوص بهذا التقييد يستقيم الأمر على الوجه السديد وعلى ذلك مشى
كثير من المحققين معرضين عما فيه ضعف وتوهين وبالجملة فالتقييد لا بد منه في كلا الشفاعتين إلا
أنه يقيد كل من الشفاعتين بقيد يناسبه فالمراد من الشفاعة المثبتة الشفاعة بعد الأذن والرضاعن

اشعارا بتعيين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون الخ (قوله مشقال ذرة) أي من خير
أو شر (قوله وما لهم) في أمر ما ذكرهم بالعموم العرفي ولأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة
والسكواكب وبعضها أرضية كالأصنام (قوله من شرك) لا خلاقا ولا ملكا (قوله من ظهير)
يعينه على تدبير أمرهما (قوله عنده) أي فلا تنفعهم شفاعة كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند
الله وقوله إلا لمن أذن له أن يشفع (قوله وكنتم من ملأ) أي كثير من الملائكة (قوله لا تغني)
الخ) ولا تنفع (قوله إلا من بعد أن يأذن الله) في الشفاعة (قوله لمن يشاء) من الملائكة
أو من غيرهم (قوله ويرضى) ويراه أهلا لذلك (قوله وأنكر أن يشفع أحد إلا بأذنه) فكيف
يشفع الأصنام لعبادتهم (قوله الصحيح) الذي رواه أنس رضي الله عنه

المشفوع له ومن الشفاعة المنفية الشفاعة قبل الاذن وبغير رضاه عن المشفوع له فكلا الشفاعتين
المطلقتين مفيدتان الا انه اعتبر تقييد المنفية منهما بعكس ما قيدت به المثبتة وقد اطلت في ذلك المقال
لكونه مقتضى الحال قال المحقق الفارسي في الكشف عتد قول صاحب الكشف في تفسير قوله
تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون فعلم انها أى الشفاعة
لا تقبل في العصاة مانصة استدلال الآية على عدم قبول الشفاعة للعصاة لانه نفي أولا ان تقضى نفس
عن نفس حقامن الحقوق ثم نفي ان تقبل الشفاعة في ذلك بطريق العموم وأجاب القاضي رحمه الله
بأن النصرة منع مع قوة فلا يلزم من نفي النصرة نفي من تنفعهم بطريق آخر وفيه ان الاستدلال بقوله
ولا يقبل منها شفاعة لا بقوله ولا هم ينصرون وأما تخصيص الخطاب بالكفار فلا يسبى لانه وصف
اليوم بالعام ليتناولهم تناولا أولا بل الجواب انه عام مخصوص بالاتفاق لانهم خصوصاً شيا بحق أخات
فيه وبنو اعليه تخصيص الشفاعة في ذلك ولا يلزم من العطف على الخاص الخصوص لانه يبقى قبولها
في زيادة الفضل وهم قائلون بالقبول والعام المخصوص بحجة فيها شبهة فجاز ان تخصه الأحاديث الواردة
في القبول لعصاة الأمة بالاتفاق على انه اذا وجب التخصيص فهو بما خصه تعالى في مواضع أحق وهم
بما قبل الاذن لقوله لا تنفع الشفاعة عنده الا ان اذن له وظاهره وسيجيء في بيان النظم ما يؤيده
واما تخصيصهم فتخصيص من غير دليل انتهى فقد عانت كيف حمل المطلق على المقيد وسلك سبيل
الأمثال والاشباه فالمراد حينئذ من الشفاعة المنفية الشفاعة قبل الاذن وبالرضاه على المشفوع له
وذلك مني بلا اشتباه وأما الشفاعة المثبتة فهي المقيدة ببعد الاذن والرضا فهنا شفاعتان
أحدهما قد نقاها الله تعالى وهي الشفاعة قبل الاذن منه سبحانه وبغير رضاه على المشفوع لهم وهي
الشفاعة الشريكة اتخذوا فيها آلهتهم وسائط بينهم وبين ربهم ليشفعوا لهم عنده وتعلقوا عليهم فتعجزوا
لهم الذخائر واستنصروا ربهم ودعواهم عند كرمهم وطلبوا منهم شفاء مرضاهم الى غير ذلك من
جهالاتهم وغواياتهم وسموهم آلهة وقد نزل القرآن الحكيم بالرد عليهم وتسفيه أعلامهم وتضليل
آرائهم ونفي تلك الشفاعة التي قد جمعوا لها محجة لهم وطريقا الى شركهم وفساد قياسيهم حيث يقولون
ان الملوك والسلاطين لا بد ان يكون بينهم وبين الرعية وسائل وشفعاء يستشفع بهم الرعية اليهم
فكيف بمن هو ملك الملوك وسلاطان السلاطين ومنهم من يقول انهم مد مشون بالخطايا مد نسون
بالذنوب فلا يس لنا قابلية القرب اليه فلماذا نجعل بينهم وبينه شفعاء أولى جاء عريض لا يرد الله عليهم
مسؤلهم ولا يخيب رجاءهم فهم شفعاؤنا في جميع مهامنا عندهم ومنهم من يصرح بكلمة كفره

(قوله فيها شبهة) لوقوع الخلاف في حجته كما ذكر في كتب الأصول (قوله ملك الملوك) يعز من
يشاء ويدل من يشاء (قوله وسلاطان) السلطان من السلاطة وهي الحدة والقهر

ويظهر بذلك لشافعه كمال فقره فيقول نطلب منهم وهم يطلبون من ربهم فسهو الخالق بالخلق والمالك بالملوك وذلك من مفساد هذا القياس وارتباك ذلك الالتباس فان السلاطين جاهلون لأحوال الخلق لا يمتنع بغيرهم على ما خفي عليهم من أحوالهم عاجزون عن تدبيرهم الا بظهير ومعين فهم محتاجون الى قبول شفاعتهم رغبة في رضاهم وحذر من تكدر أسرارهم وكثيرا ما يقبلون شفاعتهم على السكره لأجل صلاح أغراضهم فينسب قضاء الأمر بالحقيقة الى الشفاعة لا اليهم والله سبحانه وتعالى هو العالم بما في السموات وما في الأرض وما بينهن ما وماتحت الثرى يعلم السر وأخفى لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع غير محتاج سبحانه لوعاظ بذكره أو وزير يفتنه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون عداوا كبيرا وهؤلاء المشركون هم أجهل الناس بحق الرب الخالق مالك الرقاب ومنزل الكتاب كيف والخلق محتاجون الى من يعاونهم أو يسعى في حوائجهم أو يقضي لهم أغراضهم والله سبحانه هو الغني بالذات الذي غناه من لوازم ذاته فلا يحتاج الى كل شيء لو أهلك الجميع لم ينقص من ملكه وعزه وسلطانه وبو بيته مثقال ذرة ولا أنقص وإن الذي يؤثر في شفاعته ولا يخيب بل يظفر بسعايته لا يخاو من أحد أمور ما ان يكون ذاملك معه فان لم يكن فشريكا فان لم يكن فظاهرا معينا فان لم يكن فشفيعا وقد نفى الله سبحانه هذه الأربيع نفيًا مرتبا من الأعلى الى الأدنى فقال سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهم ما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فكفي بهذه الآية نورا ساطعا وبرهانا لا معال قطع علائق البطلان عن حياية قبة التوحيد والايان ولذلك جعل الله الشفاعات كلها بأنواعها ملكا له فقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض فهو المالك الشفيع الى نفسه بنفسه ليرحم عبده وهو الذي يأذن للشفعاء أن يشفعوا لمن أراد رحمة فتكون الشفاعة جميعها لله وحده لا شريك له فالشفاعة بعد اذنه اذا أراد أن يرحم المشفوع لهم ليست شفاعة من دونه ولا الشفيع شفيعا من دونه بل شفيعا بعد اذنه وأنه سبحانه هو العالم بمن يصلح للشفوعة فيه والمالك الغني

(قوله وأخفى) منه وهو ضمير النفس (قوله الخالق) أي الموجود اصور الاشياء وكيفياتها كما أراد (قوله من أحد أمور) أربعة (قوله فان لم يكن) مالكا (قوله فان لم يكن) شريكا (قوله فان لم يكن) مظاهرا ومعينا (قوله مرتبا) منتقلا (قوله من الأعلى الى الأدنى) فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت الشفاعة التي لا نصيب فيها للمشرك وهي الشفاعة بأذنه (قوله والايان) والقران بما مر من أمثالها ونظائرها (قوله الغني) الذي لا يفتقر الى شيء

العزیز القاهر مالک يوم الدين الحاکم بعلمه القديم بين العالمين والفرق بين الشفاعةين ظاهر لدى
 عینین فالشفیع من دونه شریک بحکمه والشفیع بعد اذنه عبد مملوک متبع لأمره خاضع لألوهيته
 في سره وجهره وجميع مخلوقاته من أنبيائه ورسله وملائكته له خاضعون ومن خشيته مشفقون
 لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقد كان سيد الشفعاء نبينا صلى الله عليه وسلم من أتى الناس
 وأخشاهم له وكان يسمع لصدره الشريفة أزيز كازيز الرجل والأزيز الغليان والمرجل بكسر الميم
 واسكان الراء وفتح الجيم القدر كل ذلك من خشية الله تعالى لكمال معرفته بجلال قدسه وعظيم
 قدره فانظر أيها العاجز الفقير المسكين الى آثار نبيك واشهد باتباعه أزرک وعامل الله ببعض ما كان
 يعامله سبحانه سيد المرسلين ولا تعد قدرک وبالجلة فلا يغنى عن الله سبحانه وتعالى أحد كما لا يجير
 عليه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولو نظر المتأمل بعين فؤاده الموصل له الى مراده فيما رواه
 البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أنزل الله وأنذر عشيرتك
 الأقربين أتى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس اليه بين رجل
 يحى مؤبى بن رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر أرايتم
 لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتوني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين
 يدي عذاب شديد الحديث وروى البخاري عن عائشة قالت لما أنزل الله وأنذر عشيرتك الأقربين
 قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفية ابنة عبد المطلب يا عباس بن عبد
 المطلب لأملك لكم من الله شيئا سألوني من مالي ما شئتم وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي
 الله عنه نحوه فقال في آخره يا فاطمة ابنة محمد انقضى نفسك من النار فاني والله لأملك لكم من الله
 شيئا وخزافي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سامة بن عبد الرحمن عن
 أبي هريرة نحوه وتفرّد البخاري أيضا بنحوه من طريق آخر علم ان انذاره صلى الله عليه وسلم للعام
 والخاص وتخصيص ابنته الزهراء بالتول بهذا الانذار وقسمه لها وهي بضعة المؤمنة بجميع ما جاء به
 من عنده المشابة على فعل الخير فرضه ونذبه دليل واضح وبرهان راجح على أن لا يتكلم على

(قوله العزیز) الغالب (قوله القاهر) لجميع عبادہ (قوله وأخشاهم له) لان الخشية على حسب
 العلم قوة وضعفا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ولا مماثل له صلى الله عليه وسلم من
 الممكنات في علمه بالله تعالى ومعرفة به فلا جرم انه أشدهم خشية له سبحانه (قوله وكان) أى اذا
 قرأ بالليل بكي حتى الخ (قوله كل ذلك من خشية الله تعالى الخ) مع ان الله تعالى غفر له ما تقدم
 من ذنبه وما تأخر فغيره أحق بذلك (قوله يا صباحاه) يعنى يا قوم احذروا من شر توجه الينا صباحا
 وهذه كلمة تنال عند خوف الغارة وناداهم نحن انقذا (قوله لأملك لكم من الله شيئا) يعنى

شفاعته صلى الله عليه وسلم أحد ولو كفى ذلك لكات فاطمة سيدة نساء العالمين أولى بها الشفاعة
ثابتة بالوصف لم ترد لشخص ولا لشخص على التعيين فليتنظر الانسان الى أعماله فليصلحها من
المعائب وليحطها بجميع الرغائب وليستعن بالله في صلاح أحواله وليبتغ عند الله الوسيلة بصلاح أعماله
فقد روى مسلم في صحيحه ان ربيعة بن كعب الأسلمي وكان خادماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي له
بوضوئه وحاجته ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له سألني قال فقلت سألتك مرافقتك في الجنة فقال
أو غير ذلك فقلت هو ذلك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود ففي هذا الحديث من الفوائد ان
النبي لم يبادر الى اجابته تعليماً منه لئلا يكون الأمر يومئذ كالهلال وكذلك السائل لم يسأله الدخول بل
سأله المرافقة كما كان معه في الدنيا من خدمته والجلوس عنده وآخر ذلك أمره صلى الله عليه وسلم
بإخلاص الأعمال الصالحة من السجود الذي هو غاية التذلل والخضوع للرب المعبود وأمره أيضاً
بكثرتة وكثرتة بكثرة الصلاة التي هي عماد الدين ومعراج رب العالمين وبهذه الأحاديث المتقدمة
تمحسم مواد المبتلين ويستبين سبيل المؤمنين وذلك بملاحظة ما كانت الصحابة عليه من المثابرة
على الأعمال الصالحات وقد كانوا مع ذلك لم يتسكوا عليه صلى الله عليه وسلم بشفاعته وهو بين
أظهرهم بل كان هذا صالحاً كدح في صالح أعماله وتأني في تخليص نفسه في سائر أحواله وهذا
أثقلته بعض الأوزار فأخبر عنه صلى الله عليه وسلم بأنه يعذب وهو مؤمن موحد قدير جاهد مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأعلاء كلمة الله وثابر على جميع الصالحات وتباعد عن السيئات ولو لم يكن له
الانصيب الصحبة ورؤية ذي الطلعة المباركة الشريفة صلى الله عليه وسلم لكفاه كما أخبر صلى الله عليه
وسلم عن غل شمله وعن عمن يعذب بالنيمة وعن عمن عذب بعدم محافظته على الاستبراء وعمن عذب بما
لا يخفى على من تتبع الآثار النبوية والأخبار المصطفوية فليت شعري هؤلاء الأصحاب وهذه أحوالهم
وتلك خشيتهم وأعمالهم وهذا أسيد المرسلين معهم وقدرضى الله عنهم وقد عملوا من الأعمال التي
تفردوا بها عن غيرهم من نصرة الدين وجهاد المشركين ففارقوا الأهل والوطن وهجروا الولد
والسكن طلباً لرضى الله ورسوله ومحبة فيهم ما ولا يخفى على المتتبع أعمالهم الشريفة وأحوالهم المنيفة
من انهم الى ان ماتوا كانوا يداؤبون في الطاعات فدأ جهداً وأنفسهم بالبكاء والاحبات ولم يتكوا على
شفاعة نبيهم ولم ينقل لنا انهم طلبوا هامة في حياته ولا من بعده والرزية العظمى والبليّة الكبرى في

لا أقدر على دفع مكره عنكم في الآخرة ان أراد الله أن يعذبكم فانما أشفع لمن أذن الله لي فيه وانما
يأذن اذالم يرد تعذيبه (قوله عن غل) الغلول هو الخيانة من الغنيمة وسيأتي الحديث في ذلك
في الباب الحادى عشر (قوله وعن عمن يعذب بالنيمة) هي نقل كلام بعض الناس الى بعضهم على وجه
الفساد بينهم به (قوله على الاستبراء) كما روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال

هذا اليوم فترى أحدهم في جميع لحظاته مخاضا لجميع أنواع الكثر في ملبسه ومأكله ومشربه
 ومجلسه ومكسبه يتفاخر في ارتكاب المحظورات فكانه خلق للمسي الشايد في ملبسته هذه
 القاذورات ومع هذا فقد تخلق بأخلاق الشياطين ولم ير ضه إلا نازع في الصفات العليا من الكبر
 والجبر وترب العالمين وقد حسن له ابليس اللعين أن مجرد طلب الشفاعة من نبينا صلى الله عليه وسلم
 أو من غيره من الأنبياء أو من الصالحين يكفي في بلوغ الأمنية وإن يجعله ذخرا له عند حلول المنية
 وبالله أتبع من اكتفى بالاستشفاع به في بعض أقواله أو تأسي بأدنى أحواله هذا ما كان من
 ظواهرهم ومن استكشف عن عقائدهم الخبيثة علم أن ليس لهم في الإسلام نصيب فرأى منهم كل
 عجب عجيب وثيقن أنهم قد أنكروا الحشر بالمعنى وتفننوا بالفسوق والعصيان فنافنا ولقد صدق
 عليهم ابليس ظنه فاتبعوه ومن دون الله سبحانه خدموه واستعانوا به فعبادوه فيا ضيعة الإسلام
 وخسارة الدارين في هذه الأيام واذ قد فرغت مما قد ذكرت من بيان الشفاعة وما وقع فيها من
 الاختلاف وتلخيصه على وجه يحصل به الجمع والائتلاف فقد آن الشروع فيما قالته الأئمة الأعلام في
 جواز الاستشفاع والاستغاثة به ومنعها محررا دلائل الفريقين منقحا المراد لهم من الجانبين ولعمري
 لقد بذلت الوسع في استقصاء المبحث على الوجهين فاستخرجت الآراء السكاينة من الصادقين
 فهما كتحريرا أجامها هذه المعارك والوقائع صالحة للتشبه به عند الدفاع والتنازع قد سمعتك الأمر بما
 فيه لتتظرف في ظاهره وخافيه راجيا من الله تعالى أن يهدي الناظرين إلى طريق الصواب فإنه ولي الأمر
 وإليه المآب **باب** اعلم أن القائلين بالجواز جماعة كثيرون وأفاضل محققون ففهم الامام السبكي فإنه
 قد قال كما نقله عنه المناوي في شرحه الكبير للجامع الصغير ما نصه ويحسن التوسل والاستغاثة
 والتشفع بالنبي إلى ربه ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل
 عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الإسلام مشادة انتهى وقال شارح
 البخاري الامام القسطلاني في المواهب اللدنية وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة
 والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فخير أن من استشفع به أن يشفعه الله فيه وقالوا أيضا أن
 الاستغاثة طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث أن يجعل له الغوث منه ولا فرق بين أن يعبر
 بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه لأنهم من الجاه والوجهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد
 يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه ثم قالوا إن كلامنا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه كما
 أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير يعني عند الناس زاد البخاري في رواية بلى أنه كبير يعني عند الله أما
 أحد هما فكان يسمى بالخميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من بوله **(قوله محررا)** مهذبا **(قوله)**
(منقحا) مهذبا **(قوله ولعمري)** اللام فيه لا ابتداء والعمر بفتح العين وضمة هاء البقاء وهو

قاله في تحقيق النصره ومصباح الكلام واقع في كل حال قبل خلقه صلى الله عليه وسلم وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البرزخ وفي عرصات القيامة وقال السهمودي في خلاصة الوفا للتوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسير السلف الصالحين وقال ابن حجر المكي في الدر المنظم من خرافات بعض المحرومين التي لم يقلها أحد قبله وصار بها بين أهل الاسلام مثله أنه أنكر الاستغاثة والتوسل به صلى الله عليه وسلم وليس كما افترى بل التوسل به صلى الله عليه وسلم حسن في كل حال قبل خلقه وبعده في الدنيا والآخرة ثم ساق الدليل قال بعضهم ولما تقرر ان الاستغاثة والتوسل بمعنى واحد فاعلم ان المالكية ذكروا جواز التوسل الى الله ببعض مخلوقاته من غير نزاع واستدلوا بقصة عمر مع العباس رضي الله عنهما وستأتي وذكر في الحصن الحصين ان من آداب الدعاء ان يتوسل الداعي الى الله بأنبيائه والصالحين من عباده وقد جعل الفقهاء كلهم التوسل بالصالحين مشروعاً في الاستسقاء كما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس وقال ابن الحاج المالكي في المدخل مالفظة وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي اليهم الزائر ويتعين قصدهم من الأماكن البعيدة فإذا جاء اليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والاضطراب والخضوع ويحضر قلبه وخطره اليهم والى مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يباون ولا يتغيرون ويثني على الله بما هو أهله ثم يصلي عليهم ويترضى عن أصحابهم ويترحم على التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ثم يتوسل الى الله تعالى بهم في قضاء ما آربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجهم ويحزم بالاجابة ببركتهم ويقوى حسن ظنه في ذلك وانهم باب الله المفتوح وجرت سنة الله سبحانه على قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم ومن عجز عن الوصول اليهم فليرسل بالسلام عليهم ويدكر ما يحتاج اليه من حوائج ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه الى غير ذلك فانهم السادة الكرام والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من لجأ اليهم هذا في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأما في زيارة سيد الأولين والآخرين فيزيد على ما ذكرنا ضعافاً مضاعفة أعني في الانكسار والذل والمسكنة لانه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان واستغاث به فانه قطب دائرة الكمال وعروس المملكة قال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال علاماؤنا رحمهم

مبتدا خبره محدوف أي لعمرى قسمي فان قلت هذا قسم بغير الله وهو منهي عنه كما سنده المؤلف فكيف صدر منه قلت اما يحتمل على ان المقسم به مضاف محدوف أي وواهب عمرى واما يحتمل على جريانه بحسب العادة من غير قصد اليمين على انا نقول أراد به توكيد الكلام لا القسم فانه كما قال ابن الأثير في النهاية يجري في كلام العرب للتوكيد لا للقسم واستدل بقول الشاعر

الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم هو عروس المملكة فمن توسل واستغاث أو طلب حوائجه منه فلا يرد ولا ينجب لما شهدت به المعاينة والآثار ويحتاج الى الأدب الكلي في زيارته وقد قال عامداؤنا الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته ولا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته لأتمته ومعرفة بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم كل ذلك عنده جلي لا خفاء به وإذا كان من انتقل الى الآخرة من المؤمنين يعاين أحوال العباد غالباً وقد وقع ذلك بحيث المنتهى من حكايات وقعت عنهم وقد أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك والكيفية فيه غير معلومة فلا يستنكر ذلك في الأنبياء انتهى وقال صاحب المبدع يستحب الاستسقاء بمن ظهر صلاحه لأنه أقرب الى الاجابة وقد استسقى عمر بالعباس واستسقى معاوية بين يدي الأسود التابعي المشهور وقال صاحب التلخيص من الحنابلة لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ والعمام المتقين وصرح بذلك جميع الفقهاء الشافعية وقال صاحب التلخيص يجوز ان يستشفع الى الله برجل صالح وقيل يستحب وذلك بنقل صاحب المنتهى في فقه الحنابلة وقال في منتهى الارادات للحنابلة ويباح التوسل بالصالحين وكذلك قال ابن مفلح الحنبلي في فروع وكلام الفقهاء من الأئمة الأربعة في مثل ذلك كثير وبالجملة فقد جوز هؤلاء المذكورون ومن تبعهم التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن له قدر عريض عند الله تعالى كالأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين وجعلوا هذه الألفاظ مؤدية معنى واحد وهو التوجه الى الله بهم وانهم موعودون بانجاح مسؤولهم ومأمولهم وحاصل دلائلهم من الكتاب والسنة وأقوال السلف والقياس قد جاءت متفرقة وقد أحبت نقلها كما ذكروها معززة لأهلها قال القسطلاني بعد استحسانه التشفع والاستغاثة به في الأحوال الثلاثة السابقة مانصه فاما الحالة الأولى فحسبك ما قدمته في المقصد الاول من استشفاع آدم عليه السلام به لما خرج من الجنة والذي ذكره في المقصد الأول ان قال بعد بسط طويل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمد ولم أخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوب بالا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضاف الى اسمك الا أحب الخلق اليك واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه وهو

لعمر أبي الواشين لا عمر غيرهم * لقد كلفني خطاة لا أريدها
قال فهذا أتوكيد لا قسم لأنه لم يقصد ان يحلف بأبي الواشين وهو في كلام منهم كثيرا انتهى

آخر الأنبياء من ذريتك وقول الله تعالى يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السموات والأرض
 لشفعناك وأما التوسل به بعد خاتمه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما
 ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات انتهى والذي ذكره القسطلاني في باب الاستسقاء من
 مواهبه ما رواه البيهقي في الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السامي قال لما قفل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في غزوة تبوك أتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً وفيهم خارجة بن حصن والحرب بن قيس
 وهو أصغرهم فنزلوا في دار رمة بنت الحارث من الأنصار وقد موا على ابل يخافوهم مستنون فأتوا
 مقرين بالاسلام فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله أسنت بلادنا
 وعريت عيالنا وهلك مواشينا فادع ربك أن يعيشتنا وتشفع إلينا ربك ويشفع ربك إليك فقال
 صلى الله عليه وسلم سبحان الله وإليك أنا شفعت إلى ربي في ذاك الذي يشفع ربنا إليه لا اله الا هو العظيم
 وسع كرسيه السموات والأرض وهو يئط من عظمتهم وجلاله كئيط الرجل الجديد إلى آخر الحديث
 وهو طويل وروى البيهقي أيضاً عن أنس بن مالك قال جاء عرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو قاعد في المسجد فقال يا رسول الله لقد أتيناك وما لنا نصبي يغط ولا يعير يئط أي ما لنا بغير أصلا لان
 للبعير لا بد أن يئط وانشد

أتيناك والعذر أيدى البانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
 وأتني بكفيه الفتى لاستكانة * من الجوع ضعف ما يمر ولا يحلى
 ولا شيء مما يأكل الناس عندنا * سوى الخنظل العامى والعلمز الغسل
 وليس لنا الا إليك فرارنا * وأين فرار الناس الا إلى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه إلى السماء إلى آخر الحديث المساق فيه
 دعاؤه صلى الله عليه وسلم واجابة الله تعالى له والمراد باللبان الصدر والمراد ان الحررة لا متهانها نفسها في
 الخدمة حيث لا تقدر على خادم تدمي صدرها وقوله ما يمر وما يحلى من المرارة والحلاوة أي ما ينطق
 بخير ولا بشر من ضعف الجوع والخنظل العامى نسبة إلى العام لأنه يتخذ في عام الجذب كما قالوا للجدب

(قوله وقول) عطف على الجور بمن وهو بعض من حديث أورده القسطلاني في المقصد الأول
 من رواية لم يذكر رواها (قوله العظيم) المستحق بالاضافة إليه كل ما سواه (قوله كرسيه) هو جسم
 بين يدي العرش (قوله السموات والأرض) كما روى عنه صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع
 والأرضون السبع مع الكرسي الا الحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على
 تلك الحلقة (قوله يئط) من الأطط صوت نحو الجلد عند الجلوس عليه (قوله ولا يعير يئط) يحن
 ويصيح (قوله لا بد ان يئط) ومنه المثل لا أتيتك ما أطت الابل (قوله والمراد باللبان الصدر)

السنة والعلز بالسكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهرى
والغسل الرذل وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا
ضرير أتماده صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه
ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى
فى حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فى وصححه اليه يقى وزاد فقام وقد أبصر وقد رواه السيوطى فى
الجامع الصغير رامزا لابن ماجه أيضا وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبى وفى رواية وشفعنى فى
نفسى وفى رواية أخرى وشفعنى فيه أى فى قضائها وقال القسطلانى أيضا وأما التوسل به صلى الله
عليه وسلم بعد موته فى البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء وفى كتاب مصباح الظلام
فى المستغيثين بخير الأنام صرف صالح من ذلك ثم ذكر القسطلانى ما جرى له من الشدة أثناء العظام
فكشفت ببركة الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وأطال الكلام من غير إقامة برهان ثم قال وأما التوسل

وبالعداء البكر (قوله وحسبك ما رواه النسائي الخ) هذا الحديث لا دليل فيه لما ذكره فاند
طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء
أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه
وأمره أن يسأل الله قبول الشفاعته فان قوله أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة أى بدعائه
وشفاعته كما قال عمر كما تتوسل إليك بنينا فلنظ التوسل والتوجه فى الحديثين بمعنى واحد ثم دل يا محمد
انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فى وطلب من الله أن يشفع فيه نبيه وقوله
يا محمد هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى فى القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلى
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره فى
نفسه وإن لم يكن فى الخارج من يسمع الخطاب فلنظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه
اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا
أو لكونه داعى محبالة مطيعا لأمره مقتديا به فيكون التسبب اما المحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء
الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا بشئ منه ولا بشئ من السائل
بل بذاته لمجرد الاقسام به على الله فهذا الثانى هو الذى نهوا عنه وكذلك لفظ السؤال قد يراد به المعنى
الأول وهو التسبب لكونه سببا فى حصول المطاوب وقد يراد به الاقسام ومن الأول حديث الثلاثة
الذين آووا الى غار وهو حديث مشهور فهم دعوا الله بصالح الأعمال لان الأعمال الصالحة هى أعظم
ما يتوسل به العبد الى الله ويسأله به لانه وعده أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله نقل ذلك من اقتضاء الصراط المستقيم (قوله نبي الرحمة) أى التراحم بين الأمة أو مخبرها

به صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة فما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار يريد بذلك ما رواه
 أهل السنن من أحاديث الشفاعة التي أجعت المحدثون على صحتها وقال السهمودي في خلاصة
 الوفا في معرض استدلاله على حسن التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته روى البيهقي والطبراني
 عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة
 وكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فشكى ذلك لابن حنيف فقال له انت الميضاة فتوضأ ثم أتت
 المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة
 يا محمد اني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب
 عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة فقال
 ما حاجتك فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى الساعة وما كانت لك من حاجة
 فاذا كرهنا ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته
 فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكنني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه
 ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أو تصبر فقال يا رسول الله انه ليس لي قائد وقد يشق عليّ
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت الميضاة فتوضأ ثم فصل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات انتهى وقد
 ذكر الفقهاء هذه الصلاة في النوافل واستحبوا لمن كانت له حاجة أن يصليها ويدعو بهذا الدعاء
 ويسمونه دعاء الحاجة كما يسمون الصلاة بذلك ونقل ابن أبي شيبة كما ذكره السهمودي أيضا ان
 النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل في قبر أحد الا خمسة قبور وعد منها قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم ففي
 الكبير والأوسط للطبراني رجال الصحيح الارواح بن صلاح ففيه مقال وقد وثقه ابن حبان والحاكم
 ولا يخلو عن ضعف عن أنس قال لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فجلس عندها وأمسأها وقال رحمتك الله يا أمي بعد أمي وذكر نداءه عليها وتكفينها ببردته وأمسأها قبرها
 قال فاما بلغوا اللحد فحفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فامسأه فخرج دخل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي
 فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين ثم قال
 السهمودي وذكر المحبوب أو المعظم قد يكون سببا للاجابة وفي العادة ان من توسل بمن له قدر عند
 شخص أجاب اكراماله وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة
 كما صح في حديث الغار الذي رواه البخاري وغيره وهي مخلوقة فالسؤال به صلى الله عليه وسلم أولى

عن رحمة الله وجعل ذاته نفس الرحمة قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (قوله وهو حي)
 الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له تعالى فهو واجب له ولا يزول قاله البيضاوي

ولا فرق في ذلك بين التعيير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه أي التوجه به صلى الله عليه وسلم في الحاجة وقد يكون ذلك بمعنى ضابط أن يدعو كما في حال الحياة اذ هو غير ممتنع مع علمه بسؤال من سألته وقد روى البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر رضي الله عنه قال أصاب الناس حقت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له أنت عمر فاقره السلام وأخبره انهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال يارب ما ألو الا ما عجزت عنه وذكر بعضهم ان الذي رأى هذا المنام بلال بن الحارث أحد الصحابة رضي الله عنهم وذكر السهمودي شيئاً كثيراً مما وقع للعلماء والصالحاء من الشدائد فالتجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الفرج باذن الله تعالى وقال أبو سليمان داود الشاذلي في كتابه البيان والاتصار عقب ذكر كثير من ذلك وقد جرت العادة ان الذي يكون بأمره صلى الله عليه وسلم سيما اذا كان طعاماً انما يكون من الذرية اذ من أخلاق الكرام اذا سئلوا ذلك ان يتولوه بأنفسهم أو ممن يكون منهم وحكى أبو محمد الاشبيلي حكايات على هذا النسق مما يحكم العقل فيه بصحة ما وقع وقدم في الخبر مجواز الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم بل يجوز كما قال التاج السبكي التوسل بسائر عباد الله الصالحين وقد سئل العز بن عبد السلام عن الداعي يتوسل بالذوات الفاضلة الى الله تعالى فقال ان صح حديث الأعمى فهو مقصور على النبي صلى الله عليه وسلم لعور تبته وسمو مرتبته ويكون ذلك خاصاً به صلى الله عليه وسلم ورد عليه التاج السبكي وتبعه المتأخرون كابن حجر الهيتمي وغيره وقالوا الماصح الحديث جاز التوسل به صلى الله عليه وسلم وبغيره والقول بالخصوص قول بلا دليل اذ لا بد لثبوت الخصوصية من دليل ولا دليل فثبت حسن التوسل به صلى الله عليه وسلم وفاقوا وبغيره على الأصح وعلى ذلك درج جميع العلماء ولا يسمع لذلك مانع في كل الأعصار من جميع أهل الأمصار وحاشا هذه الأمة ان تجتمع الاعلى هدى كما أخبر به الصادق المصدوق وقد أوجب الله علينا معاشر المسلمين تعظيم أمره وتوقيره وبره فقال تعالى انا أنزلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً التؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون الثلاث الآيات فأوجب الله تعزيره

(قوله شاهداً) على أمتك وقوله ونذيراً على الطاعة والمعصية (قوله الآية) وتسبحوه بكرة وأصيلاً (قوله ان تحبط أعمالكم) لان في الرفع والجهر استخفافاً يؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت بن قيس لما نزلت هذه الآية تخلف عن رسول الله

وتوقيره وألزم أكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجاوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه ونقل القاضي عياض في كتابه الشفاء عن السامعي اتقوا الله في أهمل حقه وتضييع حرمة أنه سميع لقواكم عليم بفعلكم وذكر القاضي أيضاً الشفاء آثاراً عن الصحابة وكيف كانوا مطرقين في حضرته كأن على رؤسهم الطير مبالغة في تعظيمه وساق حديث الحديبية الذي قال فيه عروة بن مسعود حين وجهته فريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يصبق إصاقل ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأ كفهم فدلسكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا وأمره وإذا تسكأ خفصوا أصواتهم عنده وما يجدون إليه النظر تعظيماً له وكثير مما وقع في ذلك بعده موته صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتغالون في شراء آثاره الشريفة فيشترون ذلك بنفائس أموالهم كالبردة التي اشتراها معاوية من ورثة كعب بن زهير وكانت الصحابة يوصون بأن تدفن معهم كما أوصى أنس بن مالك بدفن شعرات مع كل ذلك لطلب بركته وابتغاء التوجه بآثاره ولا شبك أن حرمة صلى الله عليه وسلم بعده موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وقد عقد القاضي عياض اليحصبي باباً لذلك فقال وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن أبي الحاكم وغير واحد فيأجازونه قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دهلث قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن منتاب حدثنا يعقوب بن اسحق حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله أدب قوماً فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوماً فقال إن الذين يغضون أصواتهم الآية وإن حرمة ميتة حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أهلك آدم إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولولم اذناموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد أنزلت عليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال صلى الله عليه وسلم أنك لست هناك أنك تعيش بخير وتموت بخير وأنك من أهل الجنة (قوله وأتم لا تشعرون) أنها محبطة (قوله ابن مسعود) أي الثقي (قوله إلى رسول الله) يكامه في الصالح (قوله ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى) فسكاهم ورجع إلى قومه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت قط

لوجدوا الله توابا رحيمًا هذا كلامه واذ قد ثبت وجوب تعظيمه واجلاله ميتا كما كان حيا وأنه حي في قبره فطلب الشفاعة منه دخول في توقيره ويكون كمن طلب شيئا ممن له قدرة عليه وهو صلى الله عليه وسلم قادر على ذلك بوجه التسبب بالدعاء كما كان حيا وكما كان وسيلة في التبليغ فهو الوسيلة في دعائه لأمته ويكون طلب ذلك منه بمجرد ادعى لا جابة ولا أجدا أحد أن نكر طلب الدعاء من الصالحين فضلا عن الأنبياء والمرسلين فضلا عن سيد الشفعاء امام المتقين فالورأينا أحد اجاء الى صالح فطلب منه الدعاء فدعاه ذلك الصالح والطالب واقف ساكت فهل ينكر عليه ذلك أحد من المسامين فكيف بمن طلبه من سيد العالمين المأمور به في قوله تعالى ولو أنهم جاؤك الآية المفيدة لما فيه غاية التبيين كيف وسأله عتشل أمر ربه في تعظيمه له وطلبه منه غاية الأمر أنه أتى بصيغة الاستشفاع والاستغاثة بأن قال أسْتَشفع بك عند ربى أو أستغيث بك عند الله بمعنى أرجو اغاثتك لى بالدعاء عند الله أو شفاعتك لى بالدعاء الى الله فهل فى ذلك من بأس أو عليه بوجه من الوجوه نزاع والتباس وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا خطبوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنينا محمد صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم بنينا صلى الله عليه وسلم فاسقنا قال فيسقون وفى رواية للحافظ أبى القاسم هبة الله عن ابن عباس ان عمر قال اللهم انا نستسقيك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ونستشفع اليك بشيبتة فسقوا وفى ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبى طرب

بعمى سقى الله الحجاز وأهله * عشية يستسقى بشيبتة عمر

ما كان يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ومحمد اوانه الخ (قوله هذا كلامه) قال فى اقتضاء الصراط المستقيم هذه الحكاية اما ان تكون ضعيفة أو مغيرة واما ان تفسر بما يوافق مذهبهم اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهب المعروف بنقل الثقات من أصحابه فإنه لا يختلف مذهبهم أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء وقد نص على أنه لا يقف عند الدعاء مطلقا وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنون من القبر ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعونه مستقبلا القبلة ويوليه ظهره وقيل لا يوليه ظهره فاتفقوا فى استقبال القبلة وتنازعوا فى تولية القبر ظهره وقت الدعاء ويشبه والله أعلم ان يكون ما كان ربه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام عليه وهو يسمى ذلك دعاء فإنه كان من فقهاء العراق من يرى أنه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضا ومالك يرى استقبال القبر فى هذا الحال كما تقدم ثم قال فقول مالك فى هذه الحكاية ان كان ثابتا عنه معناه انك ان استقبلت وصليت عليه وسألت عليه وسألت الله الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الأم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به فى الدنيا هو فعل ما يشفع به له يوم القيامة كسؤال الله تعالى له الوسيلة ونحو ذلك ثم قال وأما الحكاية فى تلاوة

وفي رواية لازير بن بكار ان العباس رضى الله عنه قال في دعائه وقد توجه به القوم اليك اياك انى من
 نبينا صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال وفي رواية له عن ابن عمر رضى
 الله عنهما ان ذلك عام الرمادة وفي المستوعب لأبي عبد الله السامري الخنبلى ثم يأتى حائط القبر فيقف
 ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره وذكر السلام والدعاء ومنه اللهم
 انك قلت فى كتابك لنبينا صلى الله عليه وسلم ولو أنهم اذ ظاموا أنفسهم جاؤك الآية وانى أتيت بنبينا
 مستغفرا فاسألك ان توجب لى المغفرة كما أوجبته لمن أتاه فى حياته اللهم انى أتوجه اليك بنبينا صلى
 الله عليه وسلم الى آخر ما قال وقد نقل ابن الموزان فى الحج قال قيل لمالك فالذى يلتزم أتى له ان يتعلق
 بأستار الكعبة عند الوداع قال لا ولكن يقف ويدعو قيل له وكذلك عند قبر النبي صلى الله عليه
 وسلم قال نعم وفي رواية أخرى عن مالك ذكرها صاحب المبسوط تخالف ذلك حاتم على من لم يؤمن
 منه سوء أدب فى دعائه عند القبر فصل من ذلك ما أفاد ان الدعاء عند قبره من أدعى أما كن الاجابة
 واذا كان العلماء قد اطبقوا على التلقى بالقبول لما ورد فى الأوقات والأماكن التى يتحررها الدعاء
 لدعائه فهذا المكان الذى هو أشرف مكان فى الأرض وهو الذى تحنت منه طينته الشريفة وضمت
 فيه أعضاؤه الكريمة أولى بالتحرى للاجابات وخلق بأن ينال بسببه معالى المهلمات وربط الله
 المسببات بالأسباب فجعل الدعاء سببا للاجابة ووقوعه فى مثل الأوقات الشريفة والساعات السعيدة
 سيما اذا كان بخلاوص وخضوع واخبات وخشوع مما أذن الله فيه وأثاب فى طلبه ومساعدته قال
 النووى وغيره ثم يرجع الزائر الى موقفه قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتموسل به ويستشفع
 الى ربه ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتي مستحسنين له قال كنت جالسا عند قبر النبي
 صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ولو أنهم اذ ظاموا
 أنفسهم جاؤك الآية وقد جئتكم مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربى ثم أنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طبهن القاع والأكم

نفسى القداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف فملمتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال يا عتي الحق الاعرابى
 فبشره بأن الله قد غفر له ومن ساق هذه القصة الامام العلامة هبة الله فى كتابه توثيق عرى الايمان

مالك هذه الآية ولو أنهم اذ ظاموا أنفسهم الآية فهو والله أعلم باطل فان هذا الميزكره أحد من الأئمة
 فيما أعلم ولم يذكر أحد منهم انه استحب ان يسأل بعد الموت الاستغفار ولا غيره وكلامه المنصوص عنه
 وعن أمثاله ينال فى هذا انتهى (قوله ومن ساق هذه القصة الخ) قال فى اقتضاء الصراط المستقيم
 بعد ان نقل هذه الحكاية واحتجوا بهذه الحكاية التى لا يثبت بها حكم شرعى لا سيما فى مثل هذا

وذكرها الامام ابن الجوزي في كتابه مشير العزم الساكن وغيرهما كلهم عن العتبي وكنية العتبي أبو عبد الرحمن واسمه محمد بن عبد الله بن عمرو وكان من أفصح الناس صاحب أخبار ورواية للأدب وحدث عن أبيه وعن ابن عيينة وقد ذكر هذه القصة أيضا ابن عساكر في تاريخه وتلقاها الجمهور بالقبول ولم يتعرض لها أحد بالإنكار وقد اشتمت على تعظيمه عليه الصلاة والسلام بعد وفاته والتوسل به وحسن الأدب في حقه كما في حياته وإن في الآية الكريمة الخلة على الجحى إليه ليستغفر له وليس في الآية تعرض لمن الحياة دون الوفاة وكذا فهم العلماء العموم واستحبوا المن زار قبره من يتلو هذه الآية ويستغفرو ويتوسل به ويطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم ومن ادعى التخصيص بغير دليل ظاهر قطعنا بخطئه ونقل الواحدى في كتابه أسباب نزول القرآن وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما عند قوله تعالى وكانوا يستفتحون على الذين كفروا أنه قال كانت أهل خير تقا تل غطفان كلما التقت هزمت غطفان اليهود فدعت يهود بهذا الدعاء اللهم انا نسألك بحق الذى وعدتنا ان تخرجه لنا لانصرنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا إلى اليهود بهذا الدعاء فتهزم اليه ودغطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به وقد فسر بعضهم قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان آدم عليه الصلاة والسلام قال اللهم بحق محمد عليك اغفر خطيئتي الى آخر ذلك الموافق لما سبق من حديث الحاكم كم ذكر ذلك أبو الليث السمرقندى وأبو محمد المكي وغيرهما فلا وجه لمنع الاستشفاع به الا المسكارة بغير دليل ظاهر يخرج به نفسه عن ان يكون معاندا ومكابرا ففواتح الخير على زائره مسكوبة وكثرة التوسل به مطلوبة ومحجوبة والحديث الذى قد مناه عن ابن حنيفة

الأمر الذى لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم بل قضاء الله حاجة مثل هذا الاعرابى وأمثاله لها أسباب قد بسطت في غير هذا الموضع وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضى ان يكون ذلك السبب مشروعا مأمورا به فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل في حياته المسألة فيعطيه لا يرد مسائله وتكون المسألة محرمة في حق السائل حتى قال انى لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نار اقلوا يا رسول الله فلم يعطهم قال يا بون الآن يسألونى ويأبى الله لى البخل وقد يفعل الرجل العمل الذى يعتقد صالحا ولا يكون عالما انه منهى عنه فيثاب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع وعامة العبادات المبتدعة المنهى عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل له بها نوع من الفائدة وذلك لا يدل على انها مشروعة ولو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها المنهى عنها ثم الفاعل قد يكون متأولا أو مخطئا مجتهدا أو مقلدا فيغفر له خطؤه ويثاب على ما يفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالمجتهد المخطئ وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع انتهى (قوله الموافق لما سبق من حديث الحاكم) الصحيح ان الكلمات التى تلقاها آدم هي

بجميع رواياته السابقة يدل دلالة ظاهرة لا مريية فيها ان ليس في الحديث دلالة على انه فعل ذلك في
حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا فيه التقييد بزمن حياته ولا انه خاص بالضرير بل اطلاقه عليه
الصلاة والسلام يدل على ان هذا التوسل يستقر في أمته بعد وفاته كل ذلك الكمال شقيقته عليه السلام لانه
٢٣٠ روف رحيم ويدل على ان ذلك باق ان عثمان بن حنيف راوى الحديث هو وغيره فهموا التعميم
وان الاستعمال هو وغيره بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبراني في معجمه الكبير أول الجزء
المسني ورواه البيهقي باسناد من طريقين فهذا من أوضح الأدلة على الاحتجاج بالتوسل به عليه
الصلاة والسلام بعد موته كحياته لفعل عثمان راوى الحديث وفعل غيره في حياته وبعد موته وهم أعلم
بالله ورسوله من غيرهم وما ورد في الأدعية المأثورة عن سيد الأنام مثل أسألك بحق السائلين عليك
وبحق عمشاي هذا اليك يدل على جواز التوسل بأفعال العبد فكيف بذاته الشريفة فالتوجه به
صلى الله عليه وسلم أولى والتوجه الى حضرة الحق به أخرى وقدر روى البخاري ومسلم انه صلى الله
عليه وسلم قال ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ومثله في مسند الامام
أحمد ورواه النسائي أيضا وكذا الحاكم في مستدركه وأبو نعيم في حليته قال العلماء معنى لو أقسم على
الله لأبره لو حلف على الله ليفعلن بأن يقول وعزتك لتفعلن كذا الا وقع مطلوبه فيبر بقسمه اكرامه
وصوناله عن الخنث يمينه لعظم منزلته عنده فهذا وعد الله لعباده الصالحين فكيف بسيد المرسلين

قوله بناظامنا أنفسنا الآية وقيل سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا
أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم
تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تخلق في الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسكني جنتك قال
بلى قال ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ياوب ان تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم
(قوله مثل أسألك بحق السائلين الخ) هذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف لكن بتقدير
ثبوته هو من باب التوسل بالأعمال فان حق السائلين عليه ان يجيبهم وحق المطيعين له ان ينيهم
فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته (قوله لو أقسم على الله لأبره) قال ابن مالك في
شرح هذا الحديث ما لفظه أي لجعله بار اصادقاني يمينه لكرامته قال القاضي رحمه الله معناه لو سأل
الله شيئا وأقسم عليه أن يفعله بأن قال بعزتك يارب افعل كذا لأجاب دعونه ويؤيد هذا المعنى لفظه
على الله تعالى لانه أراد به المسمى واذا أراد به اللفظ لقال بالله فيكون قوله لأبره مكان لأجابه للشاكلة
المعنوية وأقول هذا المعنى غير مناسب لسياق الحديث والمناسب له ما سبق من التقرير واما لفظه
على في يجوز ان تكون باعتبار تضمين معنى العزم فيه يعني أقسم عازما على الله ان يفعل ما يريد
وغايته ان يكون المقسم به محذوفا انتهى

وورداذا انفتحت دابة أحدكم بأرض فلا تليقنا بعباد الله احبسوا فان لله تعالى في الأرض حاضرا
سيمحبسها واذا أراد عونا فليناد عباده الله أعينوني ثلاثا قال النورى قال جرب ذلك بعض أهل العلم
ونحن قد جربناه فصح انتهى وروى الطبراني بإسناد صحيح عن عباد بن الصامت رضى الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا بدال في أهى ثلاثون رجلا بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم
تنصرون ورواه الطبراني أيضا عن عوف بن مالك رضى الله عنه والأحاديث في مثل ذلك كثيرة جدا
فنوقف على هذه وأمثالها يتبين له ان الله سبحانه قد جعل من عباده في الأرض غياثا يستغيث
الناس بهم ولا مانع من ذلك عقلا وشرعا لان ذلك كله باذن الله تعالى ومن أقر بالكرامة الصالحين كما
هو مذهب أهل السنة وانها باذن الله تعالى لم يجز بداهن اعترافه بجواز ذلك ووقوعه وكيف لا
والأخبار قد عاضده والآثار قد ساعدته ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة للفعل مع اعتقاد ان الله هو
الخالق له كيف يمتنع عليه طاب ذلك الشيء منه وما هنأ من هذا القبيل فان الله سبحانه قد قرب أنبياءه
ورسله اليه وكذلك الصالحين المخلصين من عباده وأوجب على العباد برهم وتعظيمهم وتوقيرهم وقد
خلق فيهم قدرة كاسبة أقلها الدعاء له بانفاذ مسئول من رجاهم وهم في برازهم ودار كرامتهم وقد تفضل
الله بكل ذلك عليهم فمن استشفع أو استغاث بهم أو توسل بهم على ما أسلفناه من بيان تقارب داه
المعاني وان اختلفت المباني فقد أتى بما تستحسنه العقول وتظهر عليه النقول وقد ورد في حديث
المعراج ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على موسى وهو قائم يصلى في قبره والصلاة تستدعى بدنا حيا
فنبينا صلى الله عليه وسلم أولى بهذه الحياة وحصول الاعمال كما كانوا في هذه الدار لا يكتفى من غير تكليف
واضطراب والاستغاثة به في حياته صلى الله عليه وسلم ثابتة بالدعاء فكذلك بعد انتقاله ووفاته وقد نقل
ابن الحاج في مدخله قوله صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثلكم كمثل الفراش تقعون في النار وأنا آخذ
بحجزكم عنهم ادليا على استحسان التوسل والاستغاثة به فانه أعلم بحوائجهم وأشفق على أمته منهم
على أنفسهم فان الدليل عام لا يختص بزمان دون زمان كما انه لا يختص بشخص من دون الاشخاص
وقد ذكر الخافى في كتابه المنهاج عند ذكر تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم جملة من ذلك والاحاديث

(قوله اذا انفتحت) الانفلات التخلص من الشيء فجأة من غير مكث (قوله عباد الله) المراد بهم
الملائكة والمسلمون من الجن (قوله بإسناد صحيح) غير صحيح بل ورد بإسناد منقطع فهو ضعيف كما
ذكره المحدثون (قوله الفراش) دويبة تطير فتساقط في النار (قوله بحجزكم) جمع الحجرة بضم
الخاء المهملة وسكون الجيم والزاي المعجمة وهي معقد الازار خصه بالذكر لان أخذ الوسط أقوى في
المنع يعني أنا آخذكم حتى أبعدكم عن النار والذي في رواية مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه وأتم
تقحمون فيه أى في النار على تأويل المذكور وأصله تتقحمون فحذفت إحدى التاءين ومعنى التحميل

الواردة في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم التي رواها الدارقطني والبيهقي والعقيلي والبخاري وابن عدى وابن خزيمة والحافظ ابن الجوزي وغيرهم التي تضمنت الوعد لمن زار قبره الشريف صلى الله عليه وسلم بالشفاعة التي تتضمن البشارة بالموت على التوحيد وذلك يفيد نيل المزيد فكل ذلك من ثمرات زيارته والتشفع به كيف وتعظيمه صلى الله عليه وسلم حتم واجب ألزم الله به العباد الى يوم التناد وفي زيارته اظهر ذلك والسبب يحكي المسبب وفي ضده الجفاء ولم تزل الناس في جميع الازمان من جميع البلاد ان مجمعين على زيارة قبره رجاء الخير والبركة والطمع في الشفاعة والمقصود في ذلك حسن جدا موجب للتعظيم مظهر لكمال البر والتوقير وليت شعري كيف يكون التعظيم ممن منع شد الرحال اليه وحضر التوسل به وحث على الاعراض عنه واقام الدليل على انه كالجماد في حده لا يتنفع بجاهه وجده كيف تتوجه نفس من قام بخاطره أدنى شيء من ذلك الى تعظيمه وتوقيره ففيا ذكره ما يوجب الاعراض عما وجبه الله علينا أي الامة وعناية تامة في رفع هذه الحكمة أدخلنا الله تعالى في شفاعته يوم الدين وهذا الصراط المستبين آمين ونقل السهمودي عن الأصمعي انه وقف اعرابي في مقابل القبر الشريف فقال اللهم هذا حبيبك وأنا عبدك والشیطان عدوك فان غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضى عدوك وهالك عبدك وأنت أكرم من ان تغضب حبيبك وترضى عدوك وتملك عبدك اللهم ان العرب الكرام اذا مات فيهم سيدا اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره فانظر الى حسن هذا التوسل فما أظن قائله الا راح بالمغفرة بتوجهه وحسن تشفعه ولا فرق بين هذا التوسل الحاصل بالمعنى وبين ما هو كائن بالمبنى قال العلامة ابن حجر المكي بعد سوقه حديث توسل آدم بحقه المراد بحقه رتبته ومنزلته أو الحق الذي جعله الله على الخلق يعني توحيده أو الحق الذي جعله الله بفضل له عليه كافي الحديث الصحيح عن معاذ قال فاحق العباد على الله لا الواجب اذ لا يجب على الله شيء ثم السؤال به صلى الله عليه وسلم ليس سؤاله حتى يوجب اشراكا وانما هو سؤال الله تعالى بمن له عنده قدر على مرتبة عظيمة وجاه عظيم فنكرامته على ر ان لا يخيب السائل به والمتوسل اليه بجاهه ويكفي في هو ان منكر ذلك حرمانه اياه ثم ساق دليل الأعمى في حياته وقال بعده وانما عامه صلى الله عليه وسلم ولم يدع له لانه أراد ان يحصل منه التوجه بذل الافتقار والانكسار والاضطرار مستغيثا به صلى الله عليه وسلم ليحصل له كمال مقصوده وهذا المعنى حاصل في حياته وبعد وفاته ومن ثم استعمل السلف هذا الدعاء في حاجاتهم بعد موته صلى الله عليه وسلم فقد عامه عثمان بن حنيف راويه لمن كان له حاجة

ان النبي صلى الله عليه وسلم في منعهم عن المعاصي والشهوات المؤدية الى النار وكونهم مقتحمين متكلفين في وقوعها مشبه بشخص مشفق يمنع الدواب عنها وهن يغلبنه وفي الحديث اخبار عن فرط

عند عثمان بن عفان رضى الله عنه عسر عليه قضاؤه ما منه ففعله فقضاها رواه الطبراني والبيهقي وروى
الطبراني بسند جيد انه صلى الله عليه وسلم ذكر في دعائه بحق نبيك والأنبيا الذين من قبلى ولا فرق
بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء وكذا
الأولياء كما قاله الامام العلامة السبكي لانه قد ورد جواز التوسل والاستغاثة بالأعمال الصالحة كما في
حديث الغار الصحيح مع كونها اعراضا للدوات الفاضلة أولى ولان عمر توسل بالعباس رضى الله
عنهما في الاستسقاء ولم ينكر عليه أحد والاستغاثة بطلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به
ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس
لهما معنى في قلوب المسامحين غير ذلك ولم يقصد بها أحد سواها فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبتك على
نفسه حيث لم ينشرح صدره لما انشرح به السامعون وحيث افتري على أمة محمد صلى الله عليه وسلم
ما هم منه بريئون فلم يظهر عليه الا ما مزج قلبه وخالط له من سوء الظن المنهى عنه فليبتئ بها حسرة
خالدة وخسارة تالدة والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبين
المستغيث فهو تعالى مستغاث والغوث منه خلقا ويجادا والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث والغوث
منه تسببا وكسبا ومستغاث به والباء للاستغاثة ثم قال وبالجملة اطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه
غوث ولو تسببا وكسبا أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فلا فرق بينه وبين السؤال وفي حديث
البخارى في الشفاعة يوم القيامة فيبيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليهم
وسلم وصح عن ابن عباس انه قال أوحى الله الى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وممن أدركه من أمتك
ان يؤمنوا به ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه أن
لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن فكيف لا يتشفع ولا يتوسل بمن له هذا الجاه الواسع والقدر المنيع
عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاده انتهى هذا آخر ما قدرت على جمعه وتنقيح كل دليل
على حسب وضعه نفعه اليك والسلام عليك والقصد في تهذيبى هذا ان تقضى فيه بقضاء الله الذى
يهديك ان شاء اليه ويوقفك بمحض فضله العميم على ما هو الحق لديه فتأمل في السوابق واللواحق
واستخرج بكمال فكرك ما بينهم ما من الحقائق والله يهديك سواء السبيل نعم المولى ونعم الوكيل
وأما المانعون فقد أطالوا الكلام في هذا المقام فاللزام تحرير ما يخص ما دعوه وأقاموا الدليل عليه

شفقته على أمتة ولا شك فيه (قوله على حسب) كلمة حسب اذا كان مجرورا بحرف الجر فالسين فيها
مفتوحة والافهى ساكنة وور بما تسكن في ضرورة الشعر على الوجه الاول وهو هنا بمعنى المقدار أى
على قدر وضعه (قوله فى تهذيبى) تنقيحى (قوله السبيل) أى الطريق المستوى (قوله نعم
المولى) لا يضيع من تولاه (قوله الوكيل) الموكل اليه هو (قوله تحرير) أى تنقيح وتهذيب

ثم اذكر ما أجابوا به دلائل المجيزين فأقول وبالله أستعين اعلم ان الحاصل من متفرقات أقوالهم انه يجب افراد الله سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده في معاملته لان الله سبحانه أرسل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الله ناهيا عن عبادة غيره وأنزل عليه كتابا مبينا بين فيه أحوال المشركين وما كانوا عليه من الشرك بالله العالمين وكان شركهم أن تصبوا أصناما اعتقدوها مقربة لهم عند الله اما السكونية على صور ملائكته واما السكونية معتقدا ان الله سبحانه قد شرعها بذواتها كما شرف الكعبة واما السكونية صورا أنبياء كما هو معلوم عند الناظرين السابقين لأحوال المشركين أن منهم من عبد المسيح ومنهم من عبد عزير ومنهم من عبد انا صالحين كما قالوا في الآلات في قراءة من شدد التاء انه كان رجلا يلبس السويق فيطعمه لا يحجج بكهنة وانهم عبيدوها مع الله سبحانه وقد كانت عندهم بقية من دين ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فكانوا يحجون ويلبسون ويستغفرون ويطعمون الطعام ويستعملون أخلاق الكرام وكانوا أيضا يرددون الله سبحانه بالخلق والرزق وملك السموات والأرض وملك السمع والأبصار وانه يجبر ولا يجار عليه الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم في كتابه العزيز بقوله عز من قائل ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وقوله سبحانه قل من الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله وقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وقوله قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون

(قوله الآلات) صنم في الطائف ثقيف أولقر يش تجله (قوله في قراءة من شدد التاء) وهو ما قرأ به هبة الله عن النبي وورش عن يعقوب (قوله يلبس السويق) بالسمن (قوله بكهنة) فئات فعكفوا على قبره (قوله يجبر) يغيث من يشاء ويجرسه (قوله ولا يجار عليه) أي لا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (قوله وسخر الشمس والقمر) ذللها لما أراد منهما (قوله ليقولن الله) لما تقر في العقول وجوب انتهاء المكات الى واحد واجب الوجود (قوله سيقولون لله) لان العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر الى الاقرار بأنه خالقهما (قوله فسيقولون لله) فانه أعظم من ذلك (قوله أرأيتمكم) استفهام تعجب (قوله ان أتاكم عذاب الله) كما أتى من قبلكم (قوله الساعة) وهو لها (قوله أغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (قوله ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة (قوله بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص (قوله ما تدعون اليه) ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة (قوله وتنسون ما تشركون) من شدة الأمر

وقوله أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنتنابه حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أعله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قرارا
وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أعله مع الله أي أعله مع الله
فعل ذلك وهذا استفهام انكسار وهم مقرون بأنه لم يفعل هذا الله آخر مع الله ومن قال من
المفسرين ان المراد هل مع الله آخرة دهم فانهم كانوا يجادلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى
أتتكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد وقال تعالى فاعلمت عنهم آلهتهم التي يدعون
من دون الله من شيء وقال تعالى عنهم أجعل الآلهة الها واحد ان هذا الشيء عجيب ولما كانوا
معترفين مقرين بأن الله سبحانه الرب الواحد خالق كل شيء فاعمل هذه الأمور الجسام المعدل لرغبات
والرغبات المعظام وذلك بنقل الله عنهم معتقدتهم في آيات كثيرة ومن أصدق من الله قيلا وكانوا أيضا
يتخذون آلهتهم شفعا لهم تقر بهم الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما قال سبحانه عن
صاحب يس ومالى لأعبد الذى فطرني واليه ترجعون أعتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر

وهو له (قوله والأرض) التي هي أصول الكائنات ومهادى المنافع (قوله لكم) لأجلكم
(قوله حدائق) وهي البساتين من الاحداف وهو الا حاطة وعدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد
اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان اثبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من
المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار اليه بقوله ما كان الخ (قوله شجرها) أى شجر الحدائق
(قوله مع الله) أى غيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوير (قوله يعدلون)
عن الحق الذى هو التوحيد (قوله أم من جعل الأرض قرارا) ابرأ بعضها من الماء وتسويتها
بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (قوله خلالها) أو ساطها (قوله أنهارا) جارية
(قوله رواسي) جبال انوابت تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع (قوله البحرين)
العذب والمالح أو خليجى فارس والروم (قوله حاجزا) بأن لا يختلط أحدهما بالآخر بل ان بينهما
تنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المحجوز وذلك كدجلة تدخل البحر وتسقه فتجرى
في خلاله فلا يغير طعمها (قوله قل لأشهد) بما تشهدون (قوله من شيء) فمنافعهم
ولا قدرت أن تدفع عنهم (قوله اجعل الآلهة الها واحدا) بأن جعل الألوهية التي كانت لهم لواحد
(قوله عجبا) بليغ في العجب فانه خلاف ما طبق عليه آبائنا (قوله هؤلاء) الأصنام (قوله
عند الله) تشفع لنا فيما هم من أمور الدنيا وفى الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا
من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم مطلقا انه لا يضر ولا ينفع
على توهم ربما تشفع لهم عنده (قوله عن صاحب يس) وهو حبيب النجار وكان يبيح

لا تغنى عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقدون فكان جل أحوال المشركين مع آلهتهم التوكل عليهم والالتجاء اليهم بشفاعتهم ظنا منهم انها نافعة عند الله تعالى لهم فرد الله سبحانه عليهم وأبان معتقدتهم المسؤل لديهم فأخبرنا تعالى فى كتابه ان الشفاعة كلها بجميع أنواعها له وأنه لا تسكون الا من بعد اذنه ورضاه عن المشفوع له وهم المشار اليهم فى الحديث الذى رواه البخارى ان أباهم يرضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فهو لاء المخلصون هم الذين أخلصوا الذين كف الله فجعلوا الشفاعة والتوكل والرجاء والالتجاء وغير ذلك من خواص الألوهية حقوقا ثابتة لله تعالى لم يعطوها لغيره فوحده بها وأخلصوا الدعوة له فهم المؤمنون الموحدون وبكتابه الذى أنزله على نبيه مهتدون وبما أمر به نبيه عاملون وبوعده الحق واثقون وحقيقة الشفاعة المأذون فيها ان الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافعين الذين أذن لهم فيه ليكرمهم على حسب مراتبهم وينال نبينا صلى الله عليه وسلم منه المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأمته بدعاء واستسقاء واستغفار مما هو شفاعته منه لهم فكذلك فى عرصات القيامة يفتح الله عليه فى الدعاء فيشفعه كما سبق على وجه الاستقصاء وقد مر أيضا بيان الشفاعة المنفية ومن تأمل بعين الاستبصار علم ان المقصود بنفى الشفاعة نفى الشرك وهو أن لا يعبد الا الله كما قال سبحانه وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه ولا يدعى غير الله كما قال سبحانه وتعالى ولا تدعوا مع الله أحدا ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لا فى شفاعته ولا فى غيرها فكما انه ليس للمؤمن ان يتوكل على أحد فى ان يرزقه وان كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له ان يتوكل على غير الله فى ان يغفر له ويرجعه فى الآخرة بشفاعة وغيرهما مما يأذن الله به فالشفاعة التى نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منفية مطلقا

أصنامهم وهو من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما مائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فاما بلغه خبر رسل عيسى أظهر دينه (قوله لا تغنى عنى) أى لا تنفعنى شفاعتهم (قوله ولا ينقدون) بالنصر والمظاهرة (قوله ورضاه عن المشفوع له) وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعا فانه يأذن سبحانه فى الشفاعة لمن يشاء من أهل التوحيد (قوله واثقون) عكس ما عليه المشركون ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعا وعبادتهم وموالاتهم من دون الله فقلب النبي صلى الله عليه وسلم ما فى زعمهم الكاذب وأخبر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد فحينئذ يأذن للشافع ان يشفع (قوله مطلقا) كما قال تعالى ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع الى غير ذلك من الآيات المتقدمة وغيرها النافيات للشفاعة وهى ما كان فيها شرك (قوله وهى ما تكون بعد الاذن) وهى

والشفاعة المثبتة ما تكون بعد الاذن يوم القيامة ولا تكون الا لمن ارضى من أهل التوحيد
والاخلاص فهذه الشفاعة من التوحيد ومستحقة أهل التوحيد فمن كان موحدًا مخلصًا قطع
رجاءه عن غير الله ولم يجعل له وليًا ولا شفيعًا من دون الله اذا تبين هذا فالمشرك كون قد كانت
عبادتهم لألهتهم هذا الالتجاء والرجاء والدعاء لأجل الشفاعة معتقدين انها المقررة لهم فبسبب هذا
الالتجاء والاعتقاد أريقت دماؤهم واستبيحت أموالهم وسبيت نساؤهم وأولادهم وقد أرسل صلى
الله عليه وسلم بكلمة التوحيد شهادة أن لا إله الا الله ليعدلهم عما هم عليه من الضلالات والجهالات
وأوجب عليهم افراد الحق سبحانه بالألوهية التي من أعظم خواصها هذا الالتجاء والرجاء وأن لا
يجعلوا غيره من نبي مرسل أو مالك مقرب وقد تعبد لهم الله باعتقاد هذا التوحيد والعمل بمقتضى
هذه الكلمة المشتملة على التجريد والتفريد اللذين هما حقيقة التوحيد فهذه الالتجاء بطلب
الشفاعة ورجائها عبادة لا تصلح الا لله ومن صرف حق الله وانها شرك كترك الأولين فان قلت ان
الأولين كانوا يعبدونهم ونحن لا نعبدهم فالجواب أن عبادتهم هي هذا الالتجاء الذي أنت فيه وكما أنك
تدعو النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث باخلاص الدعوة لله وحاشا ان يرضى بذلك ولا يرضيه
الا ما يرضى ربه من التوحيد فانه قد أمر ونهى وحذر وبصر وأرشاد وبلغ ونصح الأمة وأزال عنا
الغمة فهذه انما الى السبيل المستقيم والنعيم المقيم وتدعو غير دماء جثا اليهم بطلب الشفاعة منهم كذلك
الأولون كانوا يدعون صالحين وأنبياء ومرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين فهذه
الالتجاء والتوكل على هذه الشفاعة والرجاء أشركوا ولئن قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم مأذون
بالشفاعة ونحن نطلبها من هو مأذون فيه فالجواب انه صلى الله عليه وسلم الآن موعود بالشفاعة ووعد
الله حق لكتمها مشروطة بعبادته ورضاه عن المشفوع فيه فلا تطلب منه الآن ولو كانت تطلب منه
الآن لجاز لنا أن نطلبها ايضاً من وردت الشفاعة لهم كالقرآن والملائكة والافراط والجبر الأسود
والصالحين ولجاز لنا ان ندعوهم ونلتجئ اليهم ونرجوهم بهذه الشفاعة اذ لا فرق بين الجميع بالشبوت
والاذن فنصير اذا والمشركون الأولون في طريق واحد وحال واحد ولم نفرق الا بالأعمال الظاهرة
وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيه او اعتقاد لحقيقتها ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل
أو فكرة فيما صح من النقل ومن نظر بعين الانصاف وتجنب سبيل الاعتساف ونظر الى ما كان عليه
الأولون وعرف كيف كان شركهم وبماذا أرسل لهم النبي صلى الله عليه وسلم وكيف التوحيد وما معنى

شفاعة العبد للمأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول اشفع في فلان كما
في الآيات المتقدمة المقيدة فيها الشفاعة بقيد الاذن (قوله فهذه) كافي الآيات المتقدمة (قوله
أهل التوحيد) الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه

الاله والتأله وتبصر في العبادات وأنواعها تحقق ان هذا الالتجاء والتوكل والرجاء بمثل طلب الشفاعة هو الذي نهى عنه الأولون وأرسل لأجل قهه المراسلون وبذلك نطق الكتاب وبينه لنا خير من أوتي الحكمة وفصل الخطاب سيما اذا استغث بهم لدفع الشدائد والملمات ورفع الكرب المهمات مما لا يقدر على دفعه ورفع الاله الخالق الأرض والسموات وقد كان المشركون الأولون اذا وقعوا في شدة دعوا الله مخلصين له الدين فلم انجأهم اذا هم يشركون ومن فعل هذا بحالتي الشدة والرخاء بل في قسمي المنع والعطاء فقد غلا وجاوز حده واستحق ان يكون سيف الرسالة غمده قال سبحانه له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا بكاسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال اذا علمت هذا فاعلم ان الاستغاثة بالشئ طلب الاغاثة والغوث منه كما ان الاستغاثة طالب الاعانة منه فاذا كانت بناء من المستغث للمستغاث كان ذلك سؤالا منه وظاهر ان ذلك ليس توسلا به الى غيره اذ قد جرت العادة ان من توسل بأحد عند غيره ان يقول المستغاث استغثك على هذا الأمر بفلان فيوجه السؤال اليه ويقصر أمر شكواه عليه ولا يخاطب المستغاث به ويقول له أرجو منك أو أريد منك أو استغث بك ويقول انه وسيلتي الى ربي وان كان كما يقول فما قدر المتوسل اليه حق قدره وقد رجا وتوكل والتجأ الى غيره كيف واستعمال العرب يأبى عنه فان من يقول صار لي ضيق فاستغث بصاحب القبر فحصل الفرج يدل دلالة جلية على انه قد طلب الغوث منه ولم يفد كلامه انه توسل به بل انما يراد هذا المعنى اذا قال توسلت أو استغثت عند الله بفلان أو يقول المستغاث استغث اليك بفلان فيكون حينئذ مدخول الباء متوسلا به ولا يصح ارادة هذا المعنى اذا قلت استغثت بفلان وتريد التوسل به سيما اذا كنت داعيه وسائله بل قولك هذا نص على ان مدخول الباء مستغاث وليس بمستغاث به والقارئ التي تكثفه من الدعاء وقصر الرجاء والالتجاء شهود عدول ولا محيد عما شهدت به ولا عدول فهذه الاستغاثة وتوجه القلب الى المسئول

(قوله مخلصين له الدين) لا يذكرون الا الله ولا يدعون سوا الله بهم بأنه لا يكشف الشدائد الا هو (قوله اذا هم يشركون) فاجؤا المعاوذة الى الشرك (قوله له دعوة الحق) أي الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد أو يدعى الى عبادته دون غيره وله الدعوة المجابة فان من دعاه أجب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل (قوله والذين يدعون من دونه) أي والمشركون الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول للدلالة من دونه عليه (قوله بشئ) من الطلبات (قوله الا بكاسط كفيه) أي الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه (قوله ليبلغ فاه) يطلب منه ان يبلغه (قوله وما هو ببالغه) لانه جاد لا يشعر بدعائه فلا يقدر على اجابة والاتبان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم (قوله الا في ضلال) أي في ضياع وباطل فلا يجاب

بالسؤال والالابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لأحد من أمته رسول رب العالمين وهل سمعتم أن
أحد في زمانه صلى الله عليه وسلم أو من بعده في القرون المشهودة لأهلها بالنجاة والصدق وهم أعلم منا
بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها
إلا الله أم كانوا يقصرون الاستغاث على مالك الأمور ولم يعبدوا إلا إياه ولقد جرت عليهم أمور مهمة
وشباب أئمة لهم في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بالنبي
صلى الله عليه وسلم أو قالوا أنا مستغيثون بك يا رسول الله أم بلغك أنهم لا ذوا بقدر الشريف وهو سيد
الغياور حين ضاقت منهم الصدور كالأمكن لهم ذلك وإن الذي كان بعكس ما هنالك فلقد أثنى الله
عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل إذ استغيثون ربكم فاستجاب لكم ميثنا إن هذه الاستغاث
أخص الدعاء وأجلى أحوال الالابة وهي من لوازم السائل المضطر الذي يضطر إلى طالب الغوث من
غيره فيخص نداءه لدى استغاثته بمن يداي أحسان في سره وجهره ففي استغاثته بغيره تعالى عند كربته
يعطين التوحيد معاملة فأن قلت إن الاستغاث بهم قدرة كسبية وتسمييه فتنسب الالابة إليهم بهذا
المعنى قلنا إن كلاً منافين يستغاث به عند المصاعب لا يقدر عليه إلا الله أو لسؤال ما لا يعطيه ويمنعه إلا
الله وأما بما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعاقد بين الناس واستغاث بعضهم ببعض فهذا شيء
لا نقول به ونعده ممنوعاً كما أن العدا بآخرة ما قبله شر كالأضلالا وكون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها
عن مشيئة رب البرية لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا يتجأ في
ذلك إليه فلا يقال لأحد حي أو ميت قريب أو بعيد أرزقني أو أمتني أو أحي ميتي أو أشف مريضتي إلى
غير ذلك مما هو من الأفعال الخاصة بالواحد الواحد الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت
العادة بحصولها من أهله الله لها عني في حل متاعى أو غير ذلك والقرآن ناطق بحظر الدعاء عن كل
أحد لا من الأحياء ولا من الأموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء كان الدعاء بلفظ
الاستغاث أو بغيرها فإن الأمور الغير المقدرة للعباد لا تطلب إلا من خالق القدر ومنشئ الشر كيف
والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه أسبل الله علينا بفضل عفو ورضوانه آمين فالقصر على
ما تعبدنا فيه من محض الإيمان والعدول عنه عين المقت والخذلان وهذا خلاصة ما ذكره من جعل
الاستغاث والاستشفاع بغير الله شر كما ظاهر الإيعاف ومتعاطيه جاء عمل لله نداء فيندج بأمر الله تعالى
وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم أن لم يتب ويعقر وبالجملة فالاستغاث والاستعانة والتوكل أغصان
دوحة التوحيد المطالب من العبيد بقى ههنا شيء يورده المحيزون على هؤلاء المانعين وهو أنه لا شك
أن من عبد غير الله مشرك حلال الدم والمال وإن الدعاء المختص بالله سبحانه عبادة بسل هو مخ
العبادة ولكن لا نسلم أن طالب الالابة ممن استغاث بهم شرك مطلقاً وإنما يكون شرك كالأول كان

المستغيث معتقد انهم هم الفاعلون لذلك خلقوا ويجادوا فينتد يكون من الشرك الاعتقادى قطعاً
 أما من اعتقد هم الفاعلين كسبا ونسباً فليس بمسلم ولئن ساء ما فليس المقصود من طلب الاغاثة منهم
 وندائهم الا للتوسل بهم وبجاههم وان كان اللفظ ظاهر ايدل على الطلب منهم وانهم المطلوبون بهذا
 النداء لكن مقصود المستغيث التشفع والتوسل بهم الى ربهم وهو صلى الله عليه وسلم من أشرف
 الوسائل الى الله سبحانه وقد أمرنا سبحانه بتطلب ما يتوسل به فقال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة
 فكيف تحظر ونهابل تجاؤونها شر كما يخرجنا عن الملة وليس في قلوب المسلمين الا هذا المعنى وان في
 ذلك تكفيراً كثر الناس من غير ارباب والتباس وكيف تحكمون على اناس قد اظهروا شعائر
 الاسلام من أذان وصلاة وصوم وحج وابتغاء كآية باتون بكامة التوحيد ويحبون الله ويحبون
 سيد المرسلين فيتلقون بالقبول التام ما جاء عنهما من أمور الدين وغاية الأمر انهم ليرهبهم من ربهم
 ومعرفتهم بعالم مرتبة نبيهم وما وعد الله سبحانه به من ارضائه في أمته كما قال سبحانه ولسوف
 يعطيك ربك فترضى ولا يرضى صلى الله عليه وسلم الا بأن يقف لأمره في مثل هذه التوسلات فينالوا
 الرغبات وليس في أقوالكم هذه الا تنقص بحق هذا النبي الذي أوجب الله علينا حبه أكثر من محبتنا
 لأنفسنا وفي مثل ذلك بشاعة في القول وشناعة بطريق الأول فالجواب عنه منهم أن قالوا أما أول
 اعتراضكم وقولكم انه ليس مقصودهم الا التوسل وان تكلموا بما يفيد غيره فانه يدل على ان
 الشرك لا يكون الا اعتقادياً وانه لا يكون ككفر الا اذا طابق الاعتقاد وهذا يقتضى سد أبواب
 الشرائع بأسرها ومحوا الأبواب التي ذكرها الفقهاء في الردة ومحققها كيف وان الله سبحانه يقول
 ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وقال سبحانه أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون
 لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وقد ذكر المفسرون انهم قالوها على جهة المزح وكذلك العلماء
 كفروا بألفاظ سهلة جدا وبأفعال تدل على ما هو دون ذلك ولو فتحنا هذا الباب لأمكن لكل
 من تكلم بكلام يحكم على قائله بالردة ان يقول لم تحكمون بردي فيذكر احتمالاً ولو بعيداً يخرج به عما
 كفر فيه ولما احتاج الى توبة ولا توجه عليه لوم أبداً وساغ لكل أحد ان يتكلم بكل ما أراد فتسد
 الأبواب المتعلقة بأحكام الألفاظ من حد قذف وكفارة يمين وظهار ولا تسد أبواب العقود من
 نكاح وطلاق وغير ذلك من الفسوخ والمعاملات فلا يتعلق حكم من الأحكام بأى لفظ كان الا اذا
 اعتقد المعنى وان أفيد بوضع الألفاظ وأما ما ذكرتم من أنه أشرف الوسائل فهي كلمة حق أريد بها

(قوله أبالله وآياته الخ) تويدخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به (قوله لا تعتذروا) أى
 لا تستعجلوا بأعذاركم (قوله بعد ايمانكم) أى بعد اظهاركم الايمان (قوله انهم قالوها الخ) أى
 في غزوة تبوك

باطل كقولكم انه ذو الجاه العريض والمقام المنيع ونحن أولى بهذا المقام منكم لاتباعنا لأقواله وأفعاله واقتدائه صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله مقتفين لآثاره واقفين عند أخباره فهو صلى الله عليه وسلم نبينا وهادينا إلى سبيل الاسلام ومنقذنا برسالته من مهاوى أولئك الجفافة الطغام فلا نعمل إلا بأمره وتلقى ذلك بالسمع والطاعة في حاله وممره وقد أوجب علينا ان نتبع سبيل المؤمنين ونهانا عن الغلو في الدين فان غلونا فاقنا اذا عن الصراطنا كهمون ولئن عدلنا انا اذا الخاسرون وكيف يحسن طريق يؤدى إلى الاشرار وأنى يليق بالموحدين هذا الوجه المؤدى للارتباك وهذا طريق سلفنا الصالح وهو الاعتقاد الصحيح الراجح هذا وان النبي صلى الله عليه وسلم وأرواحنا له الفداء لا يرضى بما يغضب الرب المتعال وكيف لا وقد بعث بحماية التوحيد من هذه الأقوال والأفعال وقد قالت عائشة رضى الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه فليس لنا وسيلة إلى الله إلا الدعاء المبني على أصول الذل والافتقار والثناء فهو الوسيلة التي أمرنا الله سبحانه بالتوسل به وجعله من أفضل الوسائل وأخبرنا انه مخ عبادته تحقيقا لعبادته فسد به عن غيره أبواب الذرائع وقد اختلف العلماء بعد ان اتفقوا على استحباب سؤال الله تعالى به وبأسماؤه وبصفاته وأفعاله وبصالح أعمالنا التي حصلت لنا بمحض كرمه وإفضاله في جواز التوسل بالذوات المنيفة والأماكن والأوقات الشريفة فعن العز بن عبد السلام ومن تابعه عدم الجواز إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث صح الحديث فيجوز ويكون ذلك خاصا به لعلو مرتبته وسمو مرتبته وعن الحنابلة في أصح القولين مكروه كراهة تحريم ونقل الفقهاء الحنفية عن بشر بن الوليد انه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ينبغي لأحد ان يدعو الله إلا به وفي جميع متونهم ان قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والرسل وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم وقال القدوري المسئلة بخلقه تعالى لا تجوز لأنه لا حق للمخلوق على الخالق وأما حديث أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشى هذا وبحق نبيك والأنبياء من قبلي ففهموا هن وعلى تسليمها فالمراد بهذا الحق ما أوجب الله على نفسه وذلك من أفعاله لان حق السائلين الاجابة وحق المطيعين الاثابة وحق الأنبياء التقريب والتفضل بما يخص أولئك العصابة صلى الله عليه وسلم وذلك كقوله تعالى وكان حقنا علينا نصر المؤمنين وقوله تعالى وعدا علينا حقا في التوراة والانجيل والقرآن وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله صلى الله عليه وسلم حق الله على العباد

(قوله الحنفية) ومن جلتهم القدوري في شرح كتاب السكرخي (قوله كراهة تحريم) وهو عند أبي حنيفة وأبي يوسف إلى الحرام أقرب وجانب التحريم أغلب وعند محمد كالحرام في العقوبة بالنار (قوله وقال القدوري الخ) أى في شرح كتاب السكرخي وكذلك قال يلدجي في شرح المختار

ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذبهم أو السؤل بالاعمال لان الممشى الى الطاعة امتثالاً لامره عمل طاعة وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ومن نظر الى الادعية الواردة في الكتاب والسنة لم يجد لها خارجة عما ذكرنا قال الله تعالى في دعاء المؤمنين ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا وقال تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين وقال تعالى عن الحواريين ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول اللهم انك أمرتني فاطعتك ودعوتني فاجبتك فاغفر لي ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي جمعه العلماء لا يخرج عن هذا النمط فاتبع أيها الناظر نبيك المنصفي تسلم من اللغظ والغلط هذا ما كان من تحرير مدعى المانعين وتقريره على وجهه أبان عن لباب تلخيصهم بتسطيره ولم يبق علينا الا ذكر ما أجابوا به عن دلائل المجيزين مبيناً ذلك أتم تبين قالوا في الجواب عن حديث العباس بن حنيفة رضي الله عنه الذي دل على الجواز في حياته وفي الرواية الاخرى بعد وفاته اعلم أن الجواب عنه يعلم من تأمل معناه فقوله (اللهم اني أسألك) أي أطلب منك (وأوجه اليك بنبيك محمد) صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعاً منه صلى الله عليه وسلم لكون التعليم من قبله وفي ذلك قصر السؤال الذي هو أصل الدعاء على الله الملك المتعال ولكنه توسل بالنبي أي بدعائه ولذا قال في آخره اللهم فشفعه في اذنه فاعته لا تكون الا بالدعاء له به قطعاً ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى اذ التوسل بقوله بنبيك كاف في افادة هذا المعنى فقوله (يا محمد اني توجهت بك الى ربي) قال الطيبي الباء في بك للاستعانة وقوله اني توجهت بك بعد قوله أوجه اليك فيه معنى قوله من ذا الذي يشفع عنده الا بذاته فيكون خطاباً بالحاضر معين في قلبه مرتبطاً بما توجه به عند ربه من سؤال نبيه بدعائه الذي هو عين شفاعته ولذلك أتى بالصيغة الماضية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك ان هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استدعاه

(قوله وابتغوا اليه الوسيلة) أي اطلبوا ما تتوسلون به الى ثوابه والرفق منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسيل الى كذا اذا تقرب اليه (قوله منادياً) المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن (قوله من عبادي) يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة (قوله الحواريين) أصحاب نبي الله عيسى وحواري الرجل خالسته من الحور وهو البياض الخالص وسموا أصحاب عيسى بهذا الاسم لخاوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ما كانوا يلبسون البياض استنصر بهم عيسى على اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب أي يبيضونها (قوله مع الشاهدين) بوحدانيتك أو مع الأنبياء الذين يشهدون لاتباعهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس

وقت تدائه ومثل ذلك كثير في المقامات الخطائية والقرائن الاعتبارية فقلوه (في حاجتي هذه لتقضي لي) أي لي قضيتها إلى ربي بشفاعته أي في دعائه وذلك مشروع مأثور به فإن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كانوا يطلبون منه الدعاء وكان يدعو لهم وكذلك يجوز الآن أن تأتي رجلاً صالحاً فتطلب منه الدعاء لك بل يجوز للأعلى أن يطلب من الأدنى الدعاء له كما طالب النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عمرته بأن قال له لا تنسني يا أخي من دعائك قال عمر رضي الله عنه ما يسرني بهاجر النعم قال العلامة المناوي سألت الله أولاً أن يأذن لنبيه أن يشفع له ثم أقبل على النبي ملتئماً بشفاعته له ثم كرم قبلاً على ربه أن يقبل شفاعته والباء في بنيك للتعديّة وفي بك للاستعانة وقوله (اللهم فشفعه في) أي أقبل شفاعته في حقّي والعطف على مقدر أي اجعله شفيعاً إلى فشفعه وكل هذه المعاني دالة على وجود شفاعته بذلك وهو دعاءه صلى الله عليه وسلم له بكشف عاهته وليس ذلك بمحذور غاية الأمر أنه توسل من غير دعاء بل هو نداء لحاضر والدعاء يخص من النداء اذ هو نداء عبادة شاملة للسؤال بما لا يقدر عليه إلا الله وإنما المحذور السؤال بالذوات لا مطلقاً بل على معنى أنهم وسائل لله بذواتهم وأما كونهم وسائل بدعائهم فغير محذور وإذا اعتقد أنهم وسائل لله بذواتهم فسأل منهم الشفاعة لتقريب اليهم فذلك عين ما كان عليه المشركون الأولون وأما ورود هذا الحديث عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه في زمن عثمان ففي سنده مقال فكيف نعارض به جميع كتاب الله وسنة رسوله وعمل أصحابه وهل سمعت أحداً منهم جاء إليه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته إلى قبره الشريف فطالب منه ما لا يقدر عليه إلا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لاسيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تشبث بكل ما تقدر عليه فأوضح عند أحدهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمراً زمراً ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله ولا وسع الله طريقاً يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين وأما ما ذكره من الاستدلال بتوسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ما قلنا أدب ذلك أن يدعو لهم يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا كما جاءت به بقية الروايات وهذا المعنى هو الذي عناه الفقهاء في كتبهم ومرادهم التوجه إلى الله بدعاء الصالحين بأن يدعو لهم ولو كان التوسل بالذوات هو المطأوب والمدلول الذي أقاموا عليه الدليل وهم بمقتضى دليلهم لا يخصون الأحياء بهذا التوسل ويستحبون التوسل بالذوات الشريفة ولو بذواتهم ودعائهم كما مر تقريره من دليلهم وانه على معنى أن الشفعاء يدعون لهم وقالوا لا مانع من ذلك عقلاً وشرعاً فانهم أحياء في قبورهم لسكان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر المهم وهم عنده بالمدينة أولى

(قوله بالنبي) أي بدعائه فيكون على حذف مضاف

ولكان قولهم كما في رواية البخاري ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم
 انا كنا اذا جدد بنا توسلنا اليك بنبيك فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاستقنا فيستقون من هذا
 الحديث اللهم انا كنا اذا جدد بنا الى آخره عبثا ضاعا بل محلا بما يقولون ويدعون بل هو من أقوى
 الأدلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها المائدة فيه فان قول عمر رضى الله عنه اللهم انا كنا
 اذا جدد بنا توسلنا الى آخره يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الذي هو الدعاء بدليل قوله انا كنا
 كان العباس حيا طلبوه منه فلما مات فات فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل
 ساطع وبرهان لامع على هذا المراد ولو كان المقصود الذوات كما يقولون ابقيت هذه التوسلات
 عندهم على حالها لم تتغير ولم تبدل الى المفضولين بعد وجود الفضائل سيما الانبياء والمرسلين فتأمل
 في هذا فانه أحسن ما في هذه الاوراق حقيق بان يضرب عليه رواق الاتفاق والله يهديك السبيل
 نعم المولى ونعم الوكيل وأما حديث آدم الذي رواه الطبراني فقد علم جوابه مما مر في الجواب عن قوله
 بحق أنبيائه مع ان حديث بحق أنبيائك فيه ضعف كما ذكره المحدثون وأما الدليل الذي ساقه
 القسطلاني وهو حديث لو تشفعت الينا محمد الى آخره فمع كونه لا يعلم راويه ولا مخرجه لا يفيد ما هم
 فيه وأما حديث الاعرابي الذي ذكر الأبيات فقد نفرد به البيهقي لبيان دلالة نبوته صلى الله عليه وسلم
 وقد جرت عادة المحدثين في مثل ذلك لا يتحاشون عن ايراد الحديث الضعيف وهم جمع فكيف بهذا
 الحديث الفرد الذي لم يكن موجبا لسقوطه الا التفرّد بروايته لكفى أثر يدون ان تثبتوا به حكما هو
 مبنى الدين وأساس ملة المساهين وأما باقى الأحاديث فلا تخلو عن ضعف أو كذب أو غير ذلك مما
 يمنع العمل بموجبه ولو نظرت اليها بعين الايمان وجدت آثار الوضع لا تحة عليها وأحوال الصحابة
 وأعمالهم تدل على انهم غير معترفين بما فيها ولو كان عندهم من ذلك أدنى رائحة لجأوا الى قبر النبي
 صلى الله عليه وسلم في جميع ما ينوبهم على الرواحل وتركوا عند ذلك جميع المشاغل وأما استغاثة
 الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم وقبلة بآدم ثم بنوح الى آخر حديث الشفاعة الصحيحة فهذه شفاعة
 بالدعاء والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلا وشرعا ومن ذلك الرفقة يستغيث
 بعضهم بعضا في مهماتهم التي يقدرون عليها وكذلك ما طلب الناس منه وهي الشفاعة التي هي
 الدعاء ولذلك يقول سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث فأجىء فأسجد وانه يلهمه الله من
 الشاء والدعاء شيئا لم يفتح له غيره صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يأذن الله له في الشفاعة ويقول له كما ورد

(قوله اذا جدد بنا توسلنا الخ) بل المفهوم من ذلك انهم يتوسلون بدعائه فيدعوهم ويدعون
 له كالامام والمؤمنين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخالق (قوله على هذا المراد) فعلم
 ان هذا التوسل الذي ذكره هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات وهو التوسل بدعائهم فان

في الحديث يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهذا ظاهر جدا وأما ما ذكره من إجماع الناس فهو لا يصلح سنداً عند فسادهم نعم لو كانوا بوقت صالح بحيث ينفذ فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يماض ليح إن يكون إجماعاً فعلياً وقد صرحوا بمثل ذلك من نظائره هذا كله على سبيل التسليم وإرخاء العنان للخصوم وأما ما ذكرتم من التبرك بآثاره الشريفة في حياته صلى الله عليه وسلم أي آثار نفسه من أجزاء المقدسة ومماس أعضاء الشريفة من ملابسه فذلك حق واجب علينا أيها المسلمون ففديته بأنفسنا وذلك من تعظيمه وبالغ تعزيره وتوقيره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وما عهد ذلك لا نقول به ولا نعمل إلا بما ورد فنعبد الله تعالى بهذه الطاعة والتعظيم لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاتباع لا بالابتداع والكلام في ذلك يأتي في باب البدع وأما حديث مالك الذي رواه صاحب الشفاء فهو معارض برواية المبسوط المخالفة له والموافقة لمذهبه ومات كثر منه مراراً عديدة من نبيه عما هو أدنى من ذلك كيف وسد الذرائع مشهور من مذهبه فحمل رواية الشفاء على السقوط أولى لكون رواية المبسوط أصح وأقوى وأوفق غاية الأمر التعارض وإذا تعارضت الروايتان فسقطهما ونرجع إلى الأصل المرجوع إليه في الالتباس والأصل ما ذكرناه وفصلناه فالعمل به هو الواجب سيما في مثل هذه المطالب وأما رواية استشفاع عمر رضي الله عنه بشيعة العباس رضي الله عنه فالمراد بذلك ذكر ما يكون سبباً لاستمرار الرحمة وتنزل النعمة كما يقول الإنسان اللهم كبر سنني ووهن عظمي فارحم شيعتي سيما إذا كانت شيعة قد شابت في الإسلام ومثل العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنواييه ومحله من الإسلام ما لا ينكر فكيف لا تذكر في الشبهة من قبيل ذكر المألوم وأداة اللازم الذي هو الزمان المصروف في سبيل الله ومرضاة الإله فيرجع الأمر إلى ما نحن فيه ولا يقدم عاقل على القول بالتوسل بذات الشيعة نفسها بل بما تلبست به من الإيمان والإسلام والالتحاق إلى طاعة الملك العلام هذا على تقدير صحة الرواية بهذا أو لا فهي ضعيفة لا تثبت لها صحة وأما حكاية العتشي عن الأعرجي واستحسان العامة لذلك وكذلك المنامات التي أوردوها في ذلك والأقوال التي ذكرت معها من غير سند شرعي يستندون ولا طريق مرعي يوقفون الطلاب عليه فلا تتعب أنفسنا بالجواب ففما ذكرناه كفاية لأولى الأبواب بقي علينا ما أدلوا به علينا من حياة الأنبياء ليتوصلوا به إلى ترويح مدعاهم من استحسان دعائهم وطلب اغاثتهم وأولوه بأن مرادهم من ذلك الاستشفاع طلب أن يدعوهم فنقول هذا حق ثابت فنعته قد حياتهم صلى الله عليه وسلم حياة برزخية فوق حياة الشهداء وإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جعل عند قبره الشريف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم والنائين وإن الأنبياء جميعهم طريون لا تأكل الأرض

الحى يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره

أجسادهم الشريفة ولا مكانهم ان يطلب منهم شيء فلا يسألون شيئاً بعد وفاتهم سواء كان بلفظ استغاثة أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك فجميع ذلك من وظائف الألوهية فلا يليق جعلها لمن يتصف بالعبودية من البرية فان ادعى أحد ان حياته صلى الله عليه وسلم اذ ثبتت الرواية بها حقيقة كما هو الأصل في حل الألفاظ على حقائقها ولم تثبت قرينة على التجوز بها فتبقى على حقيقتها أجنباء قائلين لا شك انه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك من وظائف الحياة وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الى تلك الحياة البرزخية المعبر عن هذا الانتقال بالموت الحلال به صلى الله عليه وسلم وأرواحنا الفداء كما قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال عز من قائل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيئاً الآية وحاول الموت به صلى الله عليه وسلم أمر لا يمكن أحد انكاره ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما دهش بموته صلى الله عليه وسلم وأرواحنا الفداء من قال مات محمد ضربت عنقه فاجاء الصديق رضي الله عنه وكشف عن وجهه الشريف المكرم قال له وحي لك الفداء طبت حيا وميتا فصعد المنبر فقال في خطبته من كان يعبد محمد افان محمد اقدم مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وتلا هذه الآية فترجع الناس الى عقولهم وقد بسطت الروايات في أحوال

(قوله انك ميت وانهم ميتون) فان السكل بصدد الموت وفي عداد الموت (قوله قد خلت من قبله الرسل) أي فسيخلو كما خالوا بالموت أو القتل (قوله أفان مات أو قتل الخ) انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين خلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخالوا الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به روى انه لما رمى عبد الله بن قاعة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر ربا عيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قاعة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمد او صرخ صارخ ألا ان محمد اقد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وجوه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقيون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا ما نأمن أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقولون وابراأ منه وشد سيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (قوله فان يضر الله شيئاً) بارتداده بل يضر نفسه (قوله الآية) أي اقرأ آخرها وهو وسيجزي الله الشاكرين أي على نعمة الاسلام بالشهادت عليه كأنس واضرا به

موته الذي يدهش العقول ويذهل المرء عن الفروع والأصول نفديده صلى الله عليه وسلم بأنفسنا
وأولادنا ثبتت الحياة الأخرى البرزخية وهي متفاوتة في حياة الشهداء فوق حياة المؤمنين وحياة
الأنبياء أعلى من حياة الشهداء فنقتصر على ما ثبت لها في النصوص القطعية من الأحوال
المستحسنة المرضية وقد شرف الله سبحانه هؤلاء الأحياء بالتشريفات العديدة فقال سبحانه
في حق الشهداء الذين تتفاضل مرتبتهم عند الأنبياء ولا تحسب بن الذي قتلوا في سبيل الله أموالا بل
أحياء عند ربهم يرزقون أدخلنا الله تعالى تحت شفاعته الشافعين سيما شفاعته نبينا سيد المرسلين
وامام المتقين آمين وهذا آخر ما تلخص من أجوبة المانعين فدونه عقد انتظم من درر ومجموعا
اشتمل على فوائد كلها غرر فاصبح بسامعك لمناديه ولا يعملك الهوى فتعاديده ولا بدلك من ان
تعمل في الكلامين مقراض نظرك وتبلغ في لج البحرين بجرك وتجرك وتخلي نفسك عن كل
غصية نسبية وتحليها بمزايا القرائن السنية رزقنا الله تعالى التثبت في القول والعمل وجنبنا بفضله
الخطأ والزلل بمنه وفضله آمين

﴿الباب السابع في بيان الشرك الأكبر المخرج عن الملة وبيان ما قيل فيه﴾

اعلم أعاذني الله وأياك من الشرك والكفر والضلال وأمدنا بالتوفيق لما يحب ويرضاه من الأقوال
والأفعال ان الشرك يضاد التوحيد فهما لا يجتمعان كما ان الكفر يضاد الايمان وانهم ما ضد ان فاذا
قيل هذا ما وجد فعنده انه معتقد الوحدة اية الله وغير مثبت له شركا ولا يكون موحد التوحيد المطاوب
حتى يتخلى عن كل ما فيه شرك للمعبود وضده الشرك الذي يحصل منه الشرك ولو ببعض أنواعه
بأقواله أو أحواله أو أفعاله أو اعتقاده أو معاملاته أو بوقاقه وتحسينه أو برضاه به بقوله أو سماعه وأما
الكفر فهو عبارة عن عدم التصديق القلبي بما جاء من عند الله تعالى وثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مأخوذ من الكفر وهو الاسترْفَ كما أن هذا الجاحد الغير المعترف بما وجب الايمان به قد
ستر ما وجب عليه باعراضه عما سبق اليه ولما كانت الجاهلية قد أشركوا في عبادتهم ما استحسنوه
بفساد عقولهم مقلدين بذلك الضلال الماضين من أصولهم فعكفوا على عبادة أصنام وأوثان
وأشجار وأحجار وتماثيل وقبور ونصب وصخور متبركين بها راجين شفاعتها عند خالقها ملتجئين
اليها مستمسكين بمنازعموه من انهم محسوبون عليها وكان قد تشعبت من شجرة هذا الشرك

(قوله عند ربهم) ذووزل في منه (قوله يرزقون) من الجنة وتأكيد لكونهم أحياء (قوله
بجرك وبجرك) أي في أمورك كلها باديها وخافيا الذ الحجر العروق المنعقدة في الظهر والبحر
العروق المنعقدة في البطن كما في نهاية ابن الأثير (قوله من الكفر) بالفتح (قوله الستر) ومنه
قيل للزراع كافر (قوله وأوثان) جمع وثن بفتح حين عطف تفسير الاصنام وقيل غير ان أحدهما

الحديث فنون ضلالات وابتدعت من هذا الأصل الباطل فروع جهالات من التطير والخالف بما تألهوه وتعليق الرقي والتولة والتمائم جلب ودفع ما أرادوه فشر كوا بين الخالق والمخلوق بالحب والرجاء والخوف والاتجاء والمنع والعطاء والتقريب والاقصاء ثم لم تنزل نعم تلك الجهالة وتشتعل بينهم نيران الضلالة حتى اتخذوا لهم من الأديان ما لم يأذن به الله فسيبوا السوائب وحوا الحام ووصلوا الوصائل ولم يزوالوا في جاهلية جهلاء وخالفة عمياء أرسل الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا وأنزل عليه كتابا عر بيا أعجز البلغاء وأخس الفصحاء واتخذاهم بأقصر سورة منه فجزوا عن الأيمان ببعضها فنادوا عنه وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات اليبينات فصعد صلى الله عليه وسلم بالتجريد والتفريد الذين هم حقيقة التوحيد وحتم عليهم توحيد الله سبحانه عن هذا الشرك الذي بينه في كتابه المنزل بضرب الأمثال واقامة البراهين على الوجه البارع المفصل فلذلك ترى القرآن والحديث مشحونين بذكر الشرك والمشركين أكثر من ذكر الكفر والكافرين وكان التعرض للشرك في ذلك الزمان وبعده في زمن الصحابة والتابعين هو المعروف المشهور وقد بلغ الغاية في الاشتهار والظهور ثم لما اندرست قواعد الشرك باندراس أهله وظهرت شعار الدين القويم بظهور فروعه من أصله لم تسكد ترى أحدا يتعرض للشرك وأحواله ولا يلوث لسانه بذلك القدر في جميع أقواله فلذلك ترى العلماء قد أطنبوا في أبواب الردة والعيان بالله من ذكر المكفرات وأعرضوا عن المشركات مع أن كثيرا منها داخل في عموم المكفرات لما هو ظاهر أن كل شرك كفر وليس كل كفر شرك كما مثل القاء المصحف في القاذورات وغير ذلك مما هو كفر وليس بشرك ولقد تنبعت الشروح الحديثية والكتب الكلامية فلم أجدهم ذلك إلا جلا قليلا وسطورا متفرقات فأحييت أن أجمع في هذا الباب ما تفرق وألم شمله فقد كاد أن يتفرق فأقول وبالله أستعين اعلم أن الشرك إما أن يكون في الربوبية وإما في الألوهية والثاني إما أن يكون في الاعتقاد وإما في المعاملة الخاصة برب العباد وهذا الثاني الذي يتفرع منه شرك العبادة منقسم إلى أقوال

منحوت من خشب وآخر من حجر (قوله وحوا الحام) تقدم الكلام على السائبة والوصيلة وأما الحام فهو أن الجاهلية كانوا إذا نتجت الناقة من صلب الفحل عشرة أو بطن حواظ ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا حي ظهره (قوله مبشرا) للمؤمنين بالجنة وقوله ونذير للكافرين بالنار (قوله وداعيا إلى الله) أي إلى الإقرار به وتوحيده وما يجب الإيمان به من صفاته (قوله بأذنه) بتيسيره فيدبه الدعوى أي أنا بأن ذلك أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جانب قدسه (قوله وسراجا منيرا) نبيا أمره يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نور أنوار البصائر (قوله وغير ذلك) كشدة الزنار ونحوه مما يأتي (قوله وألم) أجمع

وأفعال وفي كل منهما يكون الشرك الأكبر الغير المغفور والأصغر المغفور وكلاهما الآن في الشرك الأكبر الذي أوجب الله سبحانه علينا التحرز منه ولا يكمل توحيد العبد إلا بعد معرفته الشرك بأنواعه وأسبابه كما قال الشاعر

عرفت الشر لا للشرك لكن لتوقيه * فن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

ولأجل الحذر من هذا الخطر كان صلى الله عليه وسلم يستعيز منه مع أنه أعلم الناس بالله وأشدهم خشية من الله كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله اللهم اني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا لا أعلم الى غير ذلك من دعائه وخاصة ندائه وقد استعاذ منه أيضاً خليل الله ابراهيم عليه الصلوة والسلام بقوله رب اجنبني وبنى أن نعبد الأصنام وكان أبناؤا أنبياء مرسلين وإذا كان هذا خاتم النبيين وهذا خليل رب العالمين قد استعاذوا منه وطلبوا التحرز بالله عنه وخشوا وقوعها فيه وهما أفضل الرسل فكيف بغيرهما كائنات من كان يدعيه ظاهر اغنيا عن البيان فأوسأت أحداً من أجهل هذه الأمة عن هذه المسائل من التوحيد والشرك وأصل كل وما ينفرع عن كل لاستهزأ بك وأزرى ونأى بجانبه عنك ولم يدركه ما يرى ولم ينظر الى ما كان عليه الصحابة والتابعون الكرام من بذل الجهد في التذكار دائماً بهذا المقام وبالجملة فطلب معرفة التوحيد الواجب على العبيد من أهم المطالب وأنجحها رب فالشرك في الربوبية لم يقل به أحد من الكفار ولا قال أحد بوجود خالقين واجبي الوجود وإن حصل من بعض الكفار التعطيل في الربوبية كتعطيل فرعون واضرابه وأما الشرك في الألوهية فهو أنواع بحسب تأله المتألهين وزعم الزاعمين ولم يقل أحدان للعالمين متماثلين متكافئين الاثنونية وأما الوثنية العابدون ما سوى الله فانهم لا يقولون بالتعدد وإن أطلقوا عليها اسم الآلهة قال السيد الجرجاني في شرحه للمواقف العضدية في مقصد التوحيد بعد أن سرد الدلائل العقلية عليه مانصه وقد مر أنه يمكن اثبات الوحدة بالدلائل العقلية

(قوله لا للشرك) أي لفعله (قوله اتوقيه) لأجل توقيه (قوله يقع فيه) لأن من عرف شيئاً أمكنه التحرز منه (قوله اجنبني وبنى) أي بعدني وإياهم (قوله أن نعبد الأصنام) أي واجعلنا منها في جانب (قوله من أهم المطالب الخ) إذ ما نجا من الشرك إلا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه وأله ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانته بالله وأخلص قصده متميلاً إلى امره متطليماً لرضاه إذا سأل سأل الله وإذا استعان استعان بالله وإذا عمل عمل عمل لله فهو بالله ولله ومع الله ولا يتم معرفة التوحيد إلا بمعرفة الشرك إذا الأشياء تبين بأضدادها (قوله العقلية) مثل قوله فاعلم أنه لا إله الا الله

لعدم توقف صحتها على التوحيد (واعلم انه لا يخالف هذا الأصل الاثنوية) دون الوثنية فانهم لا يقولون بوجود الهين واجبي الوجود ولا يصفون الأوثان بصفات الالهية وان أطلقوا عليها اسم الآلهة بل اتخذوها على انها تماثيل الأنبياء أو الزهاد أو الملائكة أو الكواكب واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلا بها الى ما هو الله حقيقة انتهى ومن ذلك المذكور الاشتغال بتعظيم القبور على وجه العبادة لها فانه يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ودليل ذلك ما رواه مالك في الموطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فنه دليل على ان الغلو في تعظيمها يصيرها أوثانا بعبادتها ولقد نشأت البلوى من هذا الغلو في الدين وقد قال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق فالغل في الدين من السلوك في غير سبيل المؤمنين قال صاحب محالس الأبرار مانصه أنواع الشرك ستة أحدها شرك استقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك اثنوية فانهم قالوا انجد في العالم خيرا كثيرا وشرا كثيرا والواحد لا يكون خيرا وشرا بالضرورة فلا بد ان يكون لكل منهما فاعل على حدة ثم انهم انقسموا قسمين فذكرهم ثم قال والثاني من أنواع الشرك شرك تبعيض وهو جعل الاله مركبا من آلهة كعشرك النصارى فانهم أثبتوا الأقانيم الثلاثة هي الوجود والعلم والحياة وحكموا عليها بأنها آلهة واعتقدوا ان الاله مركب من هذه الثلاثة وقالوا مجموع هذه الثلاثة واحد وجعلوا الذات الواحد

(قوله على التوحيد) أي لان العلم بصحة الدلائل العقلية لا يتوقف على العلم بأن الاله واحد حتى يلزم الدور بل العلم بصحة الدلائل العقلية يتوقف على العلم بصدق الرسول والعلم بصدق الرسول يتوقف على دلالة المعجزة على صدقه لا على التوحيد فلا يلزم الدور (قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الخطاب للفرقيين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بمارموه وغلت النصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة وهو أوفق لقوله (قوله غير الحق) يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد (قوله قال صاحب الخ) هو الفاضل أحمد الرومي (قوله فذكرهم) بأن قال القسم الأول المانوية فانهم قالوا فاعل الخير النور وفاعل الشر الظلمة والقسم الثاني المجوس فانهم قالوا فاعل الخير يزدان وفاعل الشر أهر من يعنون به الشيطان ثم اختلفوا في ان أهر من قديم كيزدان أو حادث منه (قوله كشرك النصارى) النسطورية والملاكانية (قوله الأقانيم) هي بمعنى الأصول واحدها اقنوم قال الجوهرى وأحسبها رومية (قوله الثلاثة) فانهم قالوا ان الله تعالى جوهر واحد وله أقانيم ذاتية أي ثلاثة خواص جوهرية (قوله هي الوجود والعلم والحياة) وعبروا عن الوجود بالأب وعن العلم بالحكمة وعن الحياة بروح القدس

ثلاث صفات وذلك غير معقول لعاقل الثالث من أنواع الشرك شرك تقرب وهو عبادة غير الله ليقترب الى الله تعالى كشرك متقدمى عبدة الأصنام فانهم لما رأوا ان عبادتهم للمولى العظيم على ما هم عليه من غاية الدناءة وغاية الحقارة سوء أدب عظيم تقر بوالديه بعبادة من هو أعلى منهم عنده كالملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها ثم انهم لما رأوا غيبة من اختاروا عبادته عنهم صنعوا الأصنام أمثلة لما غاب عنهم من معبوداتهم واستغاثوا بعبادتها ونيتهم في ذلك ان يتقربوا الى ما جعلوه مثالا له وقصدتهم من جميع ذلك ان يتقربوا الى المولى العظيم لكن تلاعب الشيطان في عقولهم وأوقعهم في الضلال الرابع من أنواع الشرك شرك تقليد وهو عبادة غير الله تقليد الغيرهم كشرك متأخرى عبدة الأوثان فانهم لما وجدوا آباءهم وأجدادهم مشغولين بعبادتها فقد وهم فيها وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون وهم كآبائهم في ضلال مبين الخامس من أنواع الشرك شرك الأسباب وهو استناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعين ومنهم من تبعهم على ذلك من جملة المؤمنين فانهم لما رأوا ارتباط الشيع بأكل الطعام وارتباط الرى بشرب الماء وارتباط ستر العورة بلبس الثياب وارتباط الضوء بالشمس ونحو ذلك مما لا ينحصر فهموا بحججهم ان تلك الأشياء هي المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها ما بطبعها أو بقوة وضعها الله تعالى فيها وهو غلط وسبب غلطهم قياسهم ادراك الحس بادراك العقل فان الذى شاهدوه بالها هو تأثير شئ عند شئ وهذا هو حظ الحس وأما تأثيره فيه فلا يدرك بالحس بل انما يدرك بالعقل انتهى ثم ذكر القسم السادس

(قوله ثلاث صفات الخ) وهم وان سموها صفات تحاشيا عن التسمية بالذوات فهي ذوات لانهم قالوا بانتقال اقنوم العلم الى المسيح والمستقل بالانتقال لا يكون الا ذاتا (قوله وقصدتهم من جميع ذلك ان يتقربوا الى المولى العظيم الخ) فتبلا آرائهم الفاسدة وسحقوا عقولهم الكاسدة اذ يعبدون ما لا ينفعهم أف لهم ولم يعبدون من دون الله (قوله قلادوهم فيها) من غير حجة لهم على ذلك عقلية ولا تقليدية (قوله على أمة) الأمة الطريقة التي تؤتم كالرحلة للرحول اليه وقرأت بالكسر وهي الحالة التي تكون عابها أى المقاصد ومنها الدين (قوله مقتدون) احتجوا فيه بتقليد آباءهم (قوله في ضلال مبين) فان مقدمهم أيضا لم يكن لهم سند منظور اليه (قوله اما بطبعها أو بقوة وضعها الله فيها) بل الحوادث بأسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائل اقتضت ايجادها ويسمونها العقول والنفوس (قوله بل انما يدرك بالعقل) وقد أطبق العقل والنقل على انفراد المولى عز وجل باختراع جميع الكائنات عموما وأنه لا أثر لكل ما سواه تعالى في أثر ما جلة وتفصيلا

وهو شرك الأغراض وهو من الشرك الأصغر الغير المخرج عن الملة ولا كلام فيه الآن وحكم الأقسام المذكورة الكفر بالاجماع وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما ذكر حديث الخوارج فاذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه قد انتسب الى الدين من مرق منه مع عبادته العظيمة فيعلم منه ان المنتسب الى الاسلام يمرق منه وذلك بأمر من الغلو الذي ذمه الله تعالى كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه بل الغلو في المسيح ونحوه فشكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يدعو من دون الله بأن يقول يا سيدي فلان أغثنى أو أجرني أو أنت حسبي أو أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والاقبل فان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوا واحداً لا يجعل معه اله آخر والذين كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة أو المسيح أو العزيز أو الصالحين أو قبورهم لم يكونوا يعتقدون انها تخلق وترزق وإنما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله الرسل فبأنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة انتهى وقال أيضاً في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وجماع الأمر ان الشرك نوعان شرك في الربوبية بأن يجعل لغيره معه تدبير وشرك في الألوهية بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة أي كمسئلة العابد معبوده ما يحتاج اليه انتهى وقال في الإقناع الذي هو العمدة في فقه الحنابلة في أول باب المرتد ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر اجماعاً وقد نقل الامام ابن حجر المكي في كتابه الأعلام بقواطع الاسلام عن حاصل عبارة الفروع للحنابلة ومن ذلك ان يجعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم قالوا اجماعاً وبعد ان سرد ما نقله عن صاحب الفروع من المكفرات قال وبتأمله يعلم انه موافق لما قدمناه من مذهبتنا في أكثر ما ذكرنا انتهى وقال العلامة السعد التفتازاني في شرح المقاصد مانصه وأما المشركون فمنهم الثنوية المقاتلون بأن للعالم الهين نور هو مبدأ الخيرات وظلمة هي

(قوله شرك الأغراض) كشرك المرائين وسيأتي (قوله وحكم الأقسام المذكورة) أي حكم أربعة منها التي هي شرك استقلال وشرك تبعيض وشرك تقريب وشرك تقليد الكفر بالاجماع وأما الخامس الذي هو شرك الذي هو شرك الأسباب ففيه تفصيل فان اعتقد ان تلك الأسباب مؤثرة بطبيعتها وحققتها فلا خلاف في كفره وان اعتقد انها لا تؤثر بطبيعتها وحققتها بل بقوة أودعها الله فيها ولو تزعمها أنها لا تؤثر فلا خلاف في بدعته وإنما الخلاف في كفره (قوله نور هو مبدأ الخيرات وظلمة هي مبدأ الشرور) وفساده أظهر من الشمس لأنهم معرضان مفتقران الى موجد هما كما قال تعالى وجعل الظلمات والنور فهما مجموعان له سبحانه ومسخران بأمره كما قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين

مبدأ الشرور ومنهم المجوس القائلون بأن مبدأ المجرّدات هو يزدان ومبدأ الشرور هو أهرمن
واختلفوا فذكر اختلافهم وشبههم والجواب عنهم ثم قال ومنهم عبدة الملائكة وعبدة الكواكب
وعبدة الأصنام أمّا عبدة الملائكة والكواكب فيمكن انهم اعتقدوا كونها مؤثرة في عالم العناصر
مدبرة لأمره قديمة بالزمان شفعاء للعباد عند الله مقربة إياهم إليه وأما الأصنام فلا خفاء في ان العاقل
لا يعتقد فيها شيئاً من ذلك قال الامام فليهم في ذلك تأويلات باطلة الأول انها صور أرواح تدبر
أمرهم وتعتنى بأصلاح حالهم على ما سبق الثاني انها صور الكواكب التي اليها تدبير هذا العالم فيه
بنوا كلاً منها على ما يناسب ذلك الكوكب الثالث ان الأوقات الصالحة للطسمات القوية الآثار لا
توجد إلا أحياناً من أزمنة متطاولة جداً فعملوا في ذلك الوقت طسماً لمطر خاص يعظمونه ويرجعون
إليه عند طلبه الرابع انهم اعتقدوا ان الله جسم على أحسن ما يكون من الصورة وكذا الملائكة
فاتخذوا صوراً بالغوا في تحسينها وترتيبها وعبدوها لذلك الخامس انه لما مات منهم من هو كامل
المرتبة عند الله تعالى اتخذوا تمثالا على صورته وعظموه تشفعوا إلى الله تعالى وتوسلوا ومنهم اليهود
القائلون بأن عزير ابن الله أحياء الله بعد موته وكان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه ومنهم النصارى
القائلون بأن المسيح ابن الله حيث ولد بلا أب وورد في الانجيل ذكرهما بالفظ الأب والابن والجواب
انه لو صح النقل من غير تحريف فعني الأبوة الربوبية وكونه المبدأ والمرجع ومعنى البنوة التوجه
إلى جناب الحق بالسكينة كابن السبيل أو قصد التشريف والكرامة ولهذا نقل في الانجيل مثل ذلك

(قوله أهرمن) يعنون به الشيطان (قوله فذكر اختلافهم وشبههم والجواب عنهم) بان
قالوا واختلفوا في ان أهرمن أيضاً هو قديم أو حادث من يزدان وشبهتهم انه لو كان مبدأ الخير
والشر واحد لزم كون الواحد خيراً وشريراً وهو محال والجواب منع اللزوم ان أريد بالخير من
غلب خيره وبالشر من غلب شره ومنع استحالة اللزوم ان أريد خالق الخير والشر في الجملة غاية الأمر
انه لا يصح إطلاق الشرير لظهوره فمع غلب شره وعورض وأريد بان الخير اذا لم يقدر على دفع
الشرير أو الشرور فعجز وان قدر ولم يفعل فشرير وان جعل ابقاؤها خيراً لما فيه من الحكم والمصالح
الخفية كما يزعم المعتزلة في خلق ابليس وذريته وانذاره وتمكنه من الاغواء فلعل نفس خلق
الشرور والقبائح كذلك فلا يكون شرّاً وسفهاً انتهى ما قال السعد في شرح المقاصد قلت وأجاب
ابن السبكي في شرح عقيدة الماتريدي بأنه انما يكون سفهاً اذا لم يكن في تخليقه للشر حكمة وليس
كذلك بل فيه حكم ومعان كثيرة أدناها ان تدل بها الجبارة فان الجبار اذا حل به التقيح من
مرض أو ألم ونحوه انكسرت نفسه وذلت فلا يمتنع اضافة الشرور الى الله تعالى انتهى (قوله على
ما سبق) على وجه الشفاعة والتقريب

في حق الأمة أيضا حيث قال اني صاعد الى أبي وأبيكم وبالجملة فنفى الشراكة ثابت في الألوهية عقلا
وشرعا وفي استحقاق العبادة شرعا وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما
يشركون انتهى وقال العلامة ابن القيم في كتابه السكائر ما نصه

﴿فصل﴾ يكفر من يعبد غير الله عز وجل من رسول أو نبي أو جن أو نجم أو ملك أو شيخ أو غير
ذلك وقد يقع في هذا بعض الجهال المنتسبين الى دين الاسلام في أمور تقع منهم عن جهل فن ذلك
المنتسبون الى المشايخ كالشيخ أحمد الرفاعي أو الشيخ يونس أو الشيخ عدي أو غيرهم لأنهم
متأهلون بذكرهم ومحبتهم من دون الله منعكفين على قبورهم يقبلونها ويسجدون لها ويستغيثون
بهم ويطلبون منهم المغفرة وقضاء الحوائج وهذا أصل عبادة الأوثان وهو نوع من الاشراك بالله ثم
ذكر كلاما طويلا في أحوال المشركين وكيف زين لهم الشيطان أعمالهم وان أصل عبادة الأوثان
كان عن تعظيم الصالحين وآثارهم ثم قال ومن ذلك الاستغاثة بهم في قضاء حوائجهم والحلف بهم
والتواجد عند ذكرهم ما لا يفعاونه عند سماع آياته فن استعان بغير الله أو استغاث به كما يقول هؤلاء
المثولون بالمشايخ ياسيدي الشيخ فلان فقد أشرك مع الله غيره قال الله عز وجل فلا تجعلوا لله أندادا
وأنتم تعلمون أي شركاء نستغيثون بهم وتعبدونهم من دون الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فن سأل غير الله المغفرة أو قضاء الحوائج أو استعان بغير
الله فقد أشرك مع الله انتهى ثم عدم من الشرك الحلف بغير الله تعالى وقول ما لا اله الا الله وأنت
أو ما شاء الله وشئت وتعليق الرقي والتمائم والتولة والمراآة في الأعمال وسياق تفصيل ذلك كله في
الشرك الأصغر وقال أيضا في كتابه الجواب الكافي ما ملخصه قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك
به وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقال ان الشرك لظلم عظيم فالشرك أظلم الظلم

(قوله وما أمروا) أي المتخذون أربابا يعبدونهم (قوله الها واحدا) وهو الله تعالى (قوله
عما يشركون) تنزيهه عن ان يكون له شريك (قوله أندادا) أمثالا (قوله وأنتم
تعلمون) حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح أي وحالكم انكم من أهل العلم
والنظر والرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجود الله كحالات منفرد بوجوب
الذات متعال عن مشابهة الخلق اوقات أو منوى وهوانها لا تماثل ولا تقدر على مثل ما يفعله
كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالقصد منه التوبيخ
لانتقيد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف (قوله بالله)
أي في عبادته أو فيما يخص به من الصفات والأفعال (قوله فقد حرم الله عليه الجنة) أي يمنع من
دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانهادار الموحدين (قوله لظلم عظيم) لأنه نسوية بين من

كمان التوحيد أعدل العدل وقد حرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد وإن يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الآخرة دعوة أو يقبل له فيها عبادة فإن المشرك أجهل الجاهلين حيث جعل له من خلقه نداً وذلك غاية الجهل به كما أنه غاية الظلم منه وإن كان المشرك لم يظلم ربه وإنما ظلم نفسه والشرك شركاً كان شرك يتعاقب بذات المعبود سبحانه وأسماؤه وصفاته وأفعاله وشرك في عبادته ومعاملته وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا صفاته ولا في أفعاله والشرك الأول نوعان أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك ومنه شرك فرعون إذ قال ومبارك العالمين وقال ياهامان ابن لي صرحا على أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى اله موسى وأبى لأظنه كاذبا والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك ولكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون للمشرك مقرا بالخالق سبحانه وصفاته ولكنه عطل حق التوحيد وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها والتعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل المصنوع عن صانعه وخلقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد وثانيهما شرك من جعل مع الهما آخر ولم يعطل أسمائه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى والمجوس القائلين باسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة ومن هذا شرك كثير من يشرك بالكواكب العاويات ويجعلها

لأنعمة الامنه ومن لانهمة منه (قوله اذ قال) ناسمع جواب ما طعن به فيه معترضا على دعوى موسى فبدأ بالاستفسار عن حقيقة الرسل (قوله صرحا) بناء على ما كشفوا من صرح الشئ إذا ظهر (قوله الأسباب) الطرق (قوله كاذبا) في دعوى الرسالة قال القاضي البيضاوي ولعله أراد أن يبنى له رصداً في موضع عال يرصده منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله تعالى إياه أو أن يرى فساد قول موسى بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى إلا بالعود إلى السماء وهو ما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفيته استنبأه انتهى (قوله وتعطيل معاملته عما يجب على العبد الخ) ومنه شرك ملاحة الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوماً أصلاً بل لم يزل ولا يزال واستناد الحوادث بأسرها إلى العقول والنفوس ومنه أيضاً شرك من عطل أسماء الرب تعالى وصفاته من غلاة الجهمية والقرامطة فانهم لم يثبتوا له تعالى اسماً ولا صفة بل جعلوا المخلوق أكمل منه إذ كمال الذات باسمائها وصفاتها (قوله كشرك النصارى) القائلين بالأقانيم الثلاثة (قوله وحوادث الشر إلى الظلمة) ومن هذا شرك الذي حاج إبراهيم في ربه إذ قال له إبراهيم ربي

مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ومنهم من يزعم أنه الله من جملة الآلهة وأنه إذا خصه بعبادته والتبتل اليه والا تقطاع اليه أقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقر به إلى المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقر به إلى من هو فوقه حتى يقر به الآلهة إلى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل ثم قال بعد أن فصل الربا وأنه شرك في العبادة لكنه مغفور وأما الشرك الأكبر في العبادة الغير المغفور فنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم أي يحب محبوا كما يحب الله فهذا الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي قال الله سبحانه فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداد يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وقال أصحاب الشرك لأهلهم وقد جمعهم الجحيم كما حكى الله عنهم سبحانه بقوله عز من قائل تالله إن كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم أنهم مأسوؤهم به سبحانه في الخلق والرزق والامانة

الذي يحكي ويميت قال أنا أحيي وأميت فقد جعل نفسه ند الله يحيي ويميت بزعمه فالزعم إبراهيم ان طرد قولك ان تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها وليس هذا اتقا لا كما زعم بعض أهل الجدل بل الزام على طرد الدليل (قوله مشركي الصابئة) قالوا الكواكب المتحركة بحركات الأفلاك هي المدبرات أمرا في عالمنا هذا الدوران الحوادث السفلية والتدويرات الواقعة في جوف فلك القمر وجودا وعدما مع مواضعها أي مواضع الكواكب في البروج وأوضاعها بعضها إلى بعض وإلى السفليات وأظهرها ما نشاهده من اختلاف الفصول الأربعة وتأثير الطوالع في الموالييد بالنحوسة والسعادة والجواب ان الدوران لا يفيد العلية سيما إذا تحقق التخلف كما في توأمين أحدهما في غاية السعادة والآخر في غاية الشقاوة ولا يمكن ان يعلل بذلك على ما بينهم من التفاوت في وقت الولادة لأن التفاوت بقدر درجة واحدة لا يوجب تغيير الأحكام عندهم باتفاق فيما بينهم سيما إذا قام البرهان على نقيضه فإن البراهين العقلية والنقلية شاهدة بان لا مؤثر في الوجود الا الله على ان ما ذكره من الأحكام غير ثابت على مقتضى قواعدهم كما هو مبين في موضعه (قوله وغيرهم) كالمجمين (قوله أنداد) أمثالا من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وأولعوا في الرادع منهنما وهو ما يشغله عن الله (قوله يحبونهم) يطيعونهم (قوله كحب الله) كتعظيمه والميل إلى طاعته أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة (قوله أشد حبا لله) لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الأنداد فانها لا غراض فاسدة موهومة تزول بآدنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره (قوله بقوله عز من قائل) وهم فيها مختصمون

والاحياء والملك والقدرة وانما سوره في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل وهذا غاية الظلم والجهل فكيف يسوى التراب برب الارباب وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب وكيف يسوى الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته الا العدم بالغنى بالذات القادر بالذات الذي غناؤه وقدرته وملكوته وجوده واحسانه وعلمه ورحمته وكاله المطلق التام من لوازم ذاته فأى ظلم أقبح من هذا وأي حكم أشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فيأله من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه ويتبع هذا الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والآراء والنيات فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيلا للأشجار غير الحجر الأسود على وجه العبادة التي هي غاية الحب مع غاية الذل ثم أطال في ذلك وأورد الأحاديث الواردة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد إلى أن قال وقال صلى الله عليه وسلم إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة فهم هذا حال من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حكي النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد أعظم حياية حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طواع الشمس وعند غروبها لا يكون ذريعة إلى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة أن منع من الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتتين اللذين سجد المشركون فيهما للشمس وأما السجود لغير الله فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد الا لله ولا ينبغي في كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هي غاية الامتناع شرعا

(قوله والقدرة) اذ هم مقرون بان الله وحده خالق كل شئ وربهم ومليكه وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تمت ولا تحيى (قوله والتذلل) كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من حب الله ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم اذ اذكر الله وحده ويغضبون لمنتهى آلهتهم أو معبودهم أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين (قوله رب) أى مالك (قوله الأرباب) جمع رب بمعنى المالك أى كيف يسوى التراب الخفير بمالك المالكين على الإطلاق (قوله وجعل الظلمات والنور) أنشأهم الذين كفروا بربههم يعدلون فعدل المشرك من خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك (قوله وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره)

كقوله تعالى وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا وقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله تعالى وما ننزل به الشياطين وما ينبغي لهم وقوله تعالى عن الملائكة ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ثم فصل الشرك في الأقوال وأتى بالشركين الأكبر والأصغر فمن الأكبر الحلف بغير الله تعظيما واجلالا وعليه جملة الأحاديث كحديث أحمد وأبي داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بغير الله فقد أشرك صححه الحاكم ثم قال فالسجود والعبادة والتوكل والابانة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدًا وانطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله سبحانه لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل وفي مسند الإمام أحمد إن رجلا أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني أتوب اليك ولا أتوب إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال عرف الحق لأهله ثم انه ذكر الشرك الأصغر الواقع في الارادات والنيات ثم قال وحقيقة الشرك هو التشبيه بالخالق والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه بالحقيقة وقد عكس من نكس الله قلبه فجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الالهية المتفردة بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشور فضلا عن غيره شبيها بمن له الأمر كله فآزمة الأمور كلها بيده سبحانه ومرجعها اليه فإشياء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما أعطى ولما أعطى لما منع بل اذا فتح لعبده باب رحته لم يسكها أحد وان أمسكها عنه لم يرسلها اليه أحد فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ولما كان له سبحانه الكمال المطلق من جميع الوجوه وكان من خصائص ألوهيته أوجب العبادة كلها له وحده فالتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والابانة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده

ولا يتعبد بحلق الرأس إلا في النسك لله خاصة (قوله وما ينبغي للرحمن الخ) أي لا يليق به اتخاذ الولد (قوله وما ينبغي له) أي لا يصح له الشعر ولا يتأتى له (قوله وما ينبغي لهم) أي لا يصح لهم (قوله ما كان ينبغي لنا) أي لا يجوز لنا (قوله ان تتخذ من دونك أولياء) اذا اتخذ الولد ممنوع عليه تعالى غاية الامتناع وكذا تنزل الشياطين وقرض النبي الشعر واتخاذ الملائكة من دونه أولياء فدلّت هذه الآيات المذكورة على ان لا ينبغي اذا وقعت في كلام الله ورسوله باي معنى فسرت بكون المراد منها غاية الامتناع كما ذكر (قوله عرف الحق لأهله) فالتوبة عبادة لا تنبغي إلا لله كالسجود والصيام (قوله لم يرسلها اليه أحد) كما قال تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون

ويمنع الغير التشبيه بمن لا شبهة له ولا مثل له ولا ند له وذلك أقبح التشبيه وأبطله ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة ثم قال وههنا أصل عظيم يكشف سر المسئلة وهو أن أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به فإن المسمى به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يخالف أسماءه وصفاته ولهذا توعد الله سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بمصير يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم وأعذبهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا وقال لمن أنكر صفة من صفاته وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم أنه قال لقومه ماذا تعبدون أنفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين أى فما ظنكم أن يجازيكم به إذا القيتوه وقد عبدتم غيره وماذا ظننتم حتى عبدتم معه غيره وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أوجبكم ذلك إلى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو أهل من أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه غنى عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير إليه وأنه قائم بالقسط على خلقه وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا شريك له فيه والعالم بتفاصيل الأمور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافى لهم وحده فلا يحتاج إلى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحته إلى من يستعطفه وهذا بخلاف المالك وغيرهم من الرؤساء فاتهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوالهم وإلى من يعينهم على قضاء حوائجهم وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة حاجتهم وعجزهم وقصور علمهم فأما القادر على كل شيء الغنى بذاته عن كل شيء العالم بكل شيء الرحيم الذى وسعت رحته كل شيء فادخل الوسائط بينه وبين خلقه نقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده وظن به ظن السوء وهذا يستحيل أن يشرع لعباده وقبحه

الله أن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته (قوله ظن السوء) من الأمور الرائعة (قوله عليهم دائرة السوء) أى دائرة ما يظنونونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم والدائرة فى الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدورسمى به ما ذكرنا والسوء بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة (قوله وساءت مصيرا) جهنم (قوله صفة) وهى العلم وقوله وذلك ظنكم إشارة إلى ظنهم المذكور فى صدر هذه الآية ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (قوله فأصبحتم من الخاسرين) إذ صار ما منحوه لا يستعاده فى الدارين سببا لشقاء المنزلين (قوله تريدون) أى تريدون آلهة دون الله فكأنهم قدم المفعول للعناية ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر أنهم على الباطل ومبني أمرهم على الإفك (قوله وقد عبدتم غيره) وهو الحقيق بالعبادة لكونه رب العالمين (قوله عليم) أى عالم بجميع الأشياء (قوله قدير) أى مقتدر (قوله فقير) أى محتاج (قوله بالقسط) بالعدل (قوله إلى معين) أو وزير أو ظهر يريد برأمر

مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد معظم لعبوده ومتأله له خاضع ذليل له
والرب تعالى وحده هو الذي يستحق كل التعظيم والالجلال والتأله والخضوع والذل وهذا خالص حقه
فن أقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره أو يشرك بينه وبينه فيه ولا سيما اذا كان الذي جعله شريكاً في حقه
هو عبده ومماوكة كما قال تعالى ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فأتتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي اذا كان أحدكم يألف ان يكون ممواوكة
شريكاً في رزقه فكيف نجعلون لي من عبيدي شركاء فما قدرني حق قدرى ولا عظمني حق
تعظيمي ولا أفردني بما أنا مفرد به وحدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره من عبده معه غيره كما قال
تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له
وان يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى
عزيز فاقدر الله حق قدره من عبده معه ما لا يقدر على خلق أضعف حيوان وأصغره وان سلب
الذباب شيئاً مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا

العالم معه (قوله فوق كل قبيح) فالشرك ملزوم لتنقيص الرب سبحانه والنقص لازم له ضرورة
شاء المشرك أو أبى ولذلك اقتضى كمال ربوبيته سبحانه ان لا يغفره ويجعله أشقى البرية فلا تجرد
مشركاً قط الا وهو منتقص لله سبحانه وان زعم انه معظم له بذلك (قوله من أنفسكم) منتزعا
من أحوالها التي هي أقرب الامور اليكم (قوله مما ملكت أيمانكم) من ماليكم (قوله
فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (قوله فيه سواء) فتكونون أنتم وهم فيه سواء
يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانهم عادة لكم (قوله تخيفتكم أنفسكم) كما
يخاف الاحرار بعضهم من بعض (قوله له) للمثل ولشأنه استماع تدبر وتفكر (قوله من دون
الله) يعني الاصنام (قوله ذباباً) وهو من الذب لانه يذب وجعه أذبة وذبان (قوله ولو
اجتمعوا له) أي لا يقدر على خلقه ولو كانوا مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا
منفردين (قوله لا يستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا الهة قادر على المقدورات
كأهلها وتفردوا بآيجاد الموجودات بأسرها بما قيل هو أعجز الاشياء (قوله ما قدروا الله حق قدره)
ما عرفوه حق معرفته (قوله لقوى) على خلق السموات بأسرها (قوله عزيز) لا يغلبه شيء
وأهلهم التي يدعونها عاجزة لا تقدر على شيء (قوله وأصغره) ولو اجتمعوا له (قوله على
استنقاذه منه) قيل كانوا يطاؤونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من
الكوى فيأكله (قوله وما قدروا الله حق قدره) أي ما قدروا عظمته في أنفسهم حق تعظيمه
حيث جعلوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق به

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ثم قال وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء فلو جعل له اقرب الخلق اليه شركا في ذلك لكان جراءة وتوثبا على محض حقه واستهانة به وتشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح الاله سبحانه فكيف اذا اشرك بينه وبين ابغض الخلق اليه وهو منهم عليه وامقتهم عنده وهو عاود على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الأمر للشيطان وهم يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فالشيطان يدعو المشرك الى عبادته ويوهمه انه مالك وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهي التي تخاطبهم وتقضي حوائجهم ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها الشيطان فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وأمه عليهم السلام لم يعبدوها وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من أمر بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم وأمرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لعنة الله عليه لا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فما عبد أحد من بني آدم غير الله كائنا من كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه

(قوله بيمينه) تنبيه على عظمته وكمال قدرته على الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام وفيه دلالة على ان تحريب العالم أهون شيء عليه (قوله عما يشركون) أي ما يضاف اليه من شركاء (قوله الا الشيطان) لانه الأمر بها والمزين لها (قوله ان لا تعبدوا الشيطان) من جملة ما يقال تقر بها والزما للحجة وعهد اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الأمر بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره (قوله انه لكم عدو مبين) تعليل للنوع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (قوله هذا صراط مستقيم) اشارة الى ما عهد اليهم اولى عبادته (قوله جميعا) المستكبرين والمستضعفين (قوله أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريرا للمشركين وتبكيته لهم واقناعا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم (قوله أنت ولينا من دونهم) أي أنت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم ينو ابذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم أضر بوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل الخ (قوله الجن) أي الشياطين (قوله أكثرهم) أي الجن (قوله انه مالك) فيعبده

مع الله الذي هو غاية رضى الشيطان وهذا قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس أى من اغوائهم واضلاهم وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مشوا كم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يغفر بغير التوبة منه وأنه يوجب الخلود في العذاب وأنه ليس تحريره وقبحه بخرد منه به عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع لعباده الها غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمفرد بالربوبية والاهلية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركة في ذلك أو يرضى به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى ما قاله كيف وقد أجمع جميع المسلمين على ان جميع الرسل أرساوا بتوحيد العبادة ناهين عن الشرك حتى ان الملاح لال مع توغله في عاوم الفلاسفة قال في شرحه للعقائد العنصرية مانصه واعلم ان التوحيد اما بحصر وجوب الوجود أو بحصر الخالقية أو بحصر المعبودية ثم بعد ان فصل التوحيدين الأولين قال والثالث وهو حصر المعبودية وهو ان لا يشرك بعبادة ربه أحد فقد دل عليه الدلائل السمعية وانعقد عليه اجماع الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وكاهنهم دعوا المكافين

(قوله ويوم نحشرهم) نصب باضمار اذ كر أو تقول والضمير لمن يحشر من الثقلين (قوله يامعشر الجن) الشياطين (قوله واضلاهم) الذين أطاعوهم (قوله من الانس) أو منهم (قوله استمتع بعضنا ببعض) أى استمتع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتصل به اليها والجن بالانس بان أطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتع الانس بهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (قوله الذي أجلت لنا) أى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قوله الا ما شاء الله) الاوقات التي تنقون فيها من النار الى الزمهرير (قوله حكيم) فى أفعاله (قوله اما بحصر وجوب الوجود) وقد أشار الى دليله فى نفي المثل قال وقد يستدل عليه بأنه لو تعدد الواجب لكان مجموعهما ممكلا لا احتياجه الى كل منهما فلا بد له من علة فاعلية مستقلة وتلك العلة لا تكون نفس المجموع ولا أحدهما ولا غيرهما أما الاول فلا استحالة كون الشيء فاعلا لنفسه وأما الثانى والثالث فلا متناع كون الواحد معاولا لغيره اهـ (قوله انتهى) قد يتوهم منه ان المعتقد لا حد لها فقط مؤمن موحدا وليس كذلك اذ ما لم يعتقد الثلاثة لا يكون موحدا ويدفع بان هذا مبنى على استلزام كل واحد منها للآخرين أما استلزام المعاول للعلة أو العلة للمعاول أو كلاهما والاول بالنظر الى الثالث والثانى بالنظر الى الاول والثالث بالنظر الى الثانى فعند اعتقاد الثلاثة عند اعتقاد واحد منها أما هو عناد محض (قوله أو بحصر الخالقية) وقد أشار اليه فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا

أولاً إلى هذا التوحيد وهو هم عن الإشراك في العبادة قال تعالى أتعبدون ما تضحون والله خلقكم
وما تعملون انتهى وقال بعضهم أصل دين الله الذي بعث به رسوله أمران الأول توحيده والقيام
بعبادته له وحده لا شريك له وإخلاصها بأنواعها للجلالة وعظمته وقد حرض الله على ذلك وطلب
المواظبة فيه وكفر تاركيه الثاني النهي عن الشرك والإنذار عنه والتغليظ فيه والمعاداة به وتكفير
من فعله والإبراء منه وعدم مودته وموالاته من دون المؤمنين وإن كان قريباً قال الله تعالى قد كانت
لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا نبرأ مما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وبدليننا بينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده والمخالفة في هذين الأصلين أنواع
أشدها المخالفة في كليهما والخلق قد اختلفوا فيهم ما فرقا فمنهم من عبد الله وحده لكنه لم ينكر الشرك
وهو يعرفه ومنهم من أشرك ولم ينكر التوحيد ومنهم من أنكر الشرك ولم يعاد أهله بل والأهم من
دون المؤمنين أو جعل رتبة أهل التوحيد محتجاً بأن السكك خلق الله ومنهم من عاداهم لدنيا
أو عصبية لا لشركهم فلم يكفرهم ولم يعب عليهم فيه ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه وإنما هو فيه
تابع غيره سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ومنهم من أنكره ولم يعاد أهله ومنهم من عاداهم لمخالفتهم
أهل الأهواء المتبع لهم مع عدم شعوره ولم يكفرهم ومنهم من كفرهم وأنكر التوحيد بعد أن عرفه
وسبه وأهله ومنهم من لم ينكره لكنه كفر أهله الآمرين به والناهين عن ضده ومنهم من لم يبغض
الشرك ولم يحبه لعدم تمييزه عن ضده ومنهم من لم يعرف الشرك من أصله فلم ينكره وفعله ومنهم من لم
يعرف التوحيد وأنواع العبادات فلم يقل به مؤدياً حقه ومنهم من قال بلسانه ولم يعمل به ولم يعرف
معناه ولا قدره في قلبه فلم يعاد أهل الشرك ولم يكفرهم فهذه ثلاث عشرة فرقة كلها قد خالفت ما جاءت
به الرسل من دين الله وتوحيده وأشدهم مخالفة من عرف توحيد الله ودينه فأنكره وكفر أهله ثم
من عرفه ولم ينكره لكنه كفر أهله وعاداهم ثم من قال التوحيد بلسانه ولم يعمل به في اعتقاده ولا
يعرفه ولا يسأل عنه أهل المعرفة بل نساه عنه مستغنياً برأيه ثم من جعل رتبة أهل الشرك كرتبة
أهل التوحيد فهذه من أعظم الجور والبهتان حيث جعل المشركين في رتبة الموحدين أم حسب الذين
اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

وقد مر لك ما ينبغي عن كلامه (قوله والله خلقكم وما تعملون) أي لا تعبدون الأصنام التي
تستحقون فأنكم وما تعبدون مخلوق لله تعالى فأنه الخالق هو الحقيق للعبودية وإن لا يشرك بعبادته
أحد وفي هذه الآية دلالة على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قوله اجتروا) الاجترار
الاكتساب ومنه الجارحة (قوله أن نجعلهم) نصيرهم (قوله سواء محياهم ومماتهم) المعنى
إنكار حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين (قوله ساء ما يحكمون) أي

ثم الباقي سواء في المخالفة انتهى فما قاله كلام حسن من حيث ان الموالاة لا تتم الا بالتبهرى والمعاداة وكيف يتم للمؤمن التوحيد وهو مطمئن بالشرك منبسط الى أهله فارغ قلبه عن النزاع ولو حل في محله تالله لا يكون هذا الا لمن لم يدخل التوحيد فؤاده فلماذا لم يقدره قدره بل تابع فيه هواه ومراده وهذا الذي نقلناه هو خلاصة ما وجدناه والكل متظافرون على ان من عبد غير الله معه فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر ولا كنهه موقوف على النظر في أنواع العبادات وخاصة الطاعات فمن رزق التوفيق واطمأن للتصديق هان الأمر عليه وحصل ما ساقه الله بمنه اليه قال الحليمي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها امانة الأذى عن الطريق قد سبق ان التوحيد بالقلب واللسان شيء واحد في الحقيقة وكل منهما محله أو آله والإشارة بشهادة أن لا اله الا الله في الحديث الى التوحيد بهما قال الله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله وقال أيضا فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو وقال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا يتم الايمان الا بمجموعها كما مر ولا بد للمؤمن من اثبات خمسة أشياء أى اعتقاد ثبوتها مع التلطف بالشهادة وجود الباري تعالى ليبرأ به من التعطيل ووحدايته ليبرأ بها من الشرك وتنزيهه عن كونه جوهر أو عرض أو عن لوازم كل منهما ما ليبرأ به من التشبيه وابداعه تعالى باختياره لكل ما سواه ليبرأ به عن القول بالعلة والمعامل وقد يبره تعالى لجميع مبدعاته على ما يشاء ليبرأ به عن القول بتدبير الطبائع أو الكواكب أو الملائكة وقول لا اله الا الله يدل على الخمسة امدالاته على وجود الباري ووحدايته فواضحة ودل على التنزيه بدلالته على الالهية المستلزمة لنفي التشبيه اذ لو شابه شيئا من خلقه بوجه ما جاز عليه من ذلك الوجه ما يجوز على شبيهه وجواز ذلك ينافي استحقاق اسم الاله ودل على الابداع بالارادة والاختيار اذ لا يكفي في الالهية مجرد السببية والعلية دون الفعل بالاختيار ولا فعل آخر سوى الابداع مثل التركيب والنظم والتصير برلشوت السببية في الجلة للابوين

ساء حكمهم هذا وبس شيأ حكمه وابه ذاك (قوله قال الحليمي) في المنهاج (قوله قد سبق) في باب البيان عن حقيقة الايمان في الكتاب (قوله واحد في الحقيقة) فلا يصح أحدهما دون الآخر (قوله وكل منهما محله أو آله) فانه قال هناك واعلم ان الايمان بالله ورسوله ينقسم الى خفي وهو الواقع بالقلب ويسمى اعتقاد او الى جلي وهو الواقع باللسان ويسمى شهادة ثم قال وكل من القلب واللسان محل التوحيد الى آخر ما ذكره (قوله فاعلم الخ) الخطاب للنبي والمراد به غيره (قوله وأما الكفر الذي هو ضد الايمان أو عدمه) فقد ظهر ان الكافر اسم لمن لا يمان له فان أظهر الايمان خص باسم المنافق وان طرأ كفره بعد الاسلام خص باسم المرتد وان كان باطنيا أو أكثر خص باسم المشرك لا ثبات الشرك في الالهية وان كان متدينا ببعض الاديان والكتب

والعلية لنحو النار وصدور التأليف والتصوير من مثل الصانع والتجار مع عدم استحقاق اسم الاله
 واذا دل على الابداع فقد دل على التدبير ضرورة كون الابداع من جملة التدبير وتدبير الموجود يكون
 اما باتقائه أو احداث اعراض فيه أو اعدامه بعد ايجاده وكل ذلك ابداع فمن أراد التدبير بدین الحق
 وأطلق لسانه بكلمة الشهادة جمعت له هذه الأصول الخمسة على سبيل الاجمال وكيفية ذلك في
 التوحيد ما لم يخطر بقله عند التفصيل شيء يخالف هذه الجملة فان خطر احتاج ان يعتقد الحق فيه
 مفصلا ولم ينفعه الاجمال مع دخول الشبهة عليه في التفصيل انتهى هذا حاصل ما قيل في الشرك
 الأكبر بأنواعه وما الكفر الذي هو ضد الايمان أو عدمه فانه يعرف بمعرفة ضده اذ بضدها تبين
 الأشياء وحيث عانت ما فصلناه قبل هذا في مبحث الايمان وانه التصديق بأمور معلومة مشروطا
 بالمعرفة والاستسلام وانه يمكن ثبوت التصديق لغة بدونها وان هذا الثبوت يمكن بمجموعة الكفر له
 اذ لا مانع عقلا ان يصدق جبار نبيا ويقتله لنحو حق أو غلبة هوى فقتله لا يدل على انتفاء التصديق
 له من أصله كما ظنه بعض الأئمة بل على ان ما عنده من التصديق غير منسحب له شرعا من الخلود في النار
 والحاصل ان الله سبحانه وتعالى رتب على التلبس بالايمان لازما لا يتخلف عنه وهو سعادة الأبد
 وعلى ضده شقاوة الأبد وهي لازم الكفر وان اعتبر في ترتيب لازم الايمان وجود أمور بعدد ما
 يترتب لازم الكفر فنها تعظيمه سبحانه وتعالى وتعظيم نحو أنبيائه وترك السجود لنحو صميم
 والاستسلام باطنا بقبول أو امره ونواهيته الذي هو معنى الاسلام لغة ومن ثم اتفق أهل الحق على انه
 لا عبرة بايمان بلا اسلام وعكسه وانه لا انفكاك بينهما فعمل انه باختلال كل واحد ينتفي لازم الايمان
 لكن الحنفية أشد بالغته في رعاية ذلك التعظيم فكفروا بألفاظ وأفعال كثيرة نظر منهم الى أنها تدل
 على الاستخفاف بالدين كتعمد الصلاة بغير وضوء وأمثال ذلك والمتأخرون منهم أكثر وأمن
 المكفرات مع انهم يقولون بانفساخ عقد الزوجية من ارتد وحبوط عمله كانقل عن أبي حنيفة رضي

المنسوخة خص باسم الكفاي وان كان يقول بقاء الدهر واستناد الحوادث اليه خص باسم الدهري
 وان كان لا يثبت الباري تعالى أو صفاته خص باسم المعطل وان كان مع اعترافه بنبوة محمد صلى الله
 عليه وسلم واطهاره شعائر الاسلام يبطن عقائده ككفر باتفاق خص باسم الزنديق (قوله أكثر
 من المكفرات) قلت لكن ذكر المحققون من متأخريهم انه لا يفتى بالكفر بشئ من المكفرات
 التي ذكروها في فتاويهم الا اذا كان متفقا عليه حتى ان صاحب البحر قال ألزمت نفسي ان لا أفتي
 بشئ منها قال في التنوير ولا يفتى بتكفير مسلم أمكن حمل كلامه على محل حسن أو كان في كفره
 خلاف ولورواية ضعيفة انتهى ومثله في البحر والاشباه معزوا الى الصغرى وفي الدرر وغيرها اذا
 كان في المسئلة وجوه توجب الكفر وواحد يمنع فعله المقتضى الميل لما يمنعهم لو نيته ذلك فسلم والالم

الله عنه والشافعية وإن وافقوهم في احباط الثواب لأعماله السابقة على ردتهم لا يوجبون عليه قضاءها وقد استقصى العلامة ابن حجر المكي جميع ما قاله علماء المذاهب الأربعة في المكفرات ونقحها في كتابه الاعلام بقواعد الاسلام فعليك به ولأذكر في هذا طر فاما خصا من كتب الأئمة الشافعية ليقف عليه من يريد الاستبراء لدينه فإن الواجب على كل مسلم ان يحتاط في هذا الباب الضيق الشديد الخرج في الدنيا والآخرة بل لا أشد منه في جميع شؤنه خشية ان يقع في شيء من المكفرات التي قاله جميع أئمة المذاهب ويبقى كافر اقتبين زوجته ويحبط عمله ولا يخرج عنه الا بالتوبة الصحيحة المستجمعة لشروطها من الندم والاقلاع والعزم المصمم على الترك في الاستقبال والبراءة عما فعل أو نوى أو قال ولو التفت أدنى التفات الى ما عليه الناس في هذا الزمان لوجدتهم الى أمثال ما أقول لا يلتفتون ولا يمثل ذلك يعبؤون فكانهم بالدين يستهزؤون ولو ذكرت لهم شيئا من ذلك صار عندهم من أنكر المنكر قد فرحوا بما عندهم من الجهل وخبث السرائر فكانهم لندنيا خلقوا فهم بها في جميع أحوالهم يعملون وعلى دقائق شؤنها بأفكارهم بغوصون وبالمتاعب وتحمل المشاق فيها الى الموت يترددون لبس ما كانوا يصنعون أخلقوا الاشئ أم هم الخالدون تالله انهم على جميع ما يفعلونه محاسبون فمن الكفر الموجب للارتداد ان ينوى الكفر أو يعزم عليه أو يقوله سواء قاله استهزاء أو عنادا أو اعتقادا أو يفعله ومنه نفى الصانع وتعطيله عن كماله المقدس بنفى صفاته أو أسمائه أو أفعاله المختصة بجلاله وتكذيب الرسل أو بعضهم أو احتقار أحدهم أو الاستهزاء بشرائعهم أو تحليل

ينفعه حل المفتى على خلافه قلت فاذا علمت ذلك تبين عندك ان الحنفية كالشافعية لا يفتون بالكفر الا اذا كان محققا مجمعا عليه (قوله ان ينوى الكفر) حالا أو مآلا فيكفر بنيته حالا (قوله أو يعزم عليه) في زمن بعيد أو قريب (قوله استهزاء) كان قيل له قص أظفارك فانه سنة فقال لأفعل وإن كان سنة وأمثال ذلك (قوله أو عنادا) بان عرف بباطنه انه الحق وأبى ان يقربه (قوله أو يفعله) كالسجود للصنم وللشمس سواء كان في دار الحرب أو دار الاسلام (قوله بنفى صفاته الخ) فان قلت المعتزلة ينكرون الصفات ولم تكفروهم قلت هم لا ينكرون أصلها وانما ينكرون زيادتها على الذات حذر من تعدد القدماء فيقولون انه تعالى عالم بذاته قادر بذاته وهكذا والجواب عن شبهتهم المذكورة ان المحذور تعدد ذات قدماء لا تعدد صفات قائمة بذات واحدة قديمة (قوله وتكذيب الرسل الخ) أو نسبة تعدد الكذب اليهم أو محاربة أحدهم أو سبه ومثل ذلك كما قال الحلبي ما لولم يمتني في وقت نبي من الأنبياء انه هو النبي دون ذلك النبي أو في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده ان لو كان نبيا وأنه صلى الله عليه وسلم لم تكن النبوة به فيكفر في جميع ذلك والظاهر انه لا فرق بين تمنى ذلك باللسان أو القلب ومن ذلك محمد جواز بعثة الرسل أو انكار

ما أجمع على تحريمه وتحريم ما أجمع على تحليله ولو تردد في أنه يكفر غدا كفر في الحال والفعل المكفر ما نعهده مستهزئا بالدين أو بخوداله كالفاء مصحف بقاذورة وكذا ما فيه شيء من اسم معظم أو حديث أو علم شرعي أو سجود لصنم أو شمس أو مخلوق أو غير ذلك وسحر فيه عبادة كوكب لانه بفعله هذا أثبت لله شريكا ومن أنواع الكفر ان يعلقه بالقلب أو اللسان على شيء ولو محالا واعتقاد قدم العالم ولو بالنوع ككفر وكذا لو فعل فعلا أجمع المسلمون على أنه لا يصدر الا من كافران كان مصرحاً بالاسلام كالشيء الى الكنائس مع أهلها بزيهم أو يشك في نبوة نبي أجمع على نبوته أو في انزال كتاب كذلك أو قال عن نبينا ما يفيد أدنى تنقص كقوله انه كان أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس بقريشي أو عربي أو أنسي وكذا بجميع الأنبياء وكذا ما يفيد استخفافاً بهم أو بشيء من أفعالهم كاعس الأصابع مثلاً أو يلحق نبينا نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله أو يعرض بذلك أو يشبهه على طريق التصغير شأنه أو ينسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو غير شيء مما جرى عليه من البلاء والمحن فكل ذلك كفر اجماعاً وفي قبول توليته خلاف وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قال له عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم

نبوة نبي من الأنبياء المتفق على نبوتهم لا كالخضر وخالد بن سنان ولقيان وغيرهم وكانكار ذلك الشك فيه (قوله ما أجمع على تحريمه) كالزنا والواط وشرب الخمر (قوله ما أجمع على تحليله) كالبيع والنكاح (قوله كفر في الحال) لما فاته للاسلام (قوله أو مستهزئاً بالدين) أو عناداله (قوله كالفاء مصحف) أو نحوه مما فيه شيء من القرآن بل أو اسم معظم أو من الحديث بل كل ورقة فيها شيء من ذلك سواء كتب القرآن للدراسة أو غيرها قال الروياني أو من العلم الشرعي وقوله بقاذورة أي سواء كان القذر نجساً طاهراً كخطا وبصاق ومني (قوله أو علم شرعي) قال ابن حجر في الاعلام وهل مراد الروياني بالعلوم الشرعية الحديث والتفسير والفقه وآلاتها كالنحو وغيره وان لم يكن فيها آثار السلف أو يختص بالحديث والتفسير والفقه الظاهر الاطلاق وان كان بعيد المدرك في ورقة من كتاب نحو مثلاً ليس فيها اسم معظم (قوله بزيهم) فاوشد الزنا على وسطه كفر واختافوا فيمن وضع قلنسوة الجوسي على رأسه والصحيح انه يكفر ولو شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقل هذا زنا قالوا كثرون على انه يكفر ولو شد على وسطه زنا ودخل دار الحرب لتجارة كفر وان دخل لتخليص الاسرى لم يكفر (قوله أو أنسي) أو قال انه جن أو صغر عضو من أعضائه على طريق الإهانة (قوله وكذا ما يفيد استخفافاً بهم أو بشيء من أفعالهم) فلا يشك في كفره لتكذيبه القرآن وحجده ما تلقته قرون الاسلام خافوا عن سلف وصاروا ما بالضرورة عند الخاص والعام (قوله من قال له الخ) القائل هو مالك بن نويرة

وعده هذه الكامة تنقيصه وكذلك ما لورضى بالكفر ولو ضمه لنا كان يشير الى كافر بأن لا يسلم أو يقول له لفتني كلمة الشهادة فيؤخره بخلاف الدعاء بذنوب لا رزقه الله الايمان أو ثبته الله على الكفر إذ قد جرت العادة باستعمال ذلك لأجل التشديد لا لمر عليه لا الرضى به فان كان مراده ذلك لم يكفر على ما قاله ابن حجر المكي في زواجه وقال فيها ومن الكفر سؤال الكفر لغيره لانه رضى به أو يقول لمسلم يا كافر بل أتأويل لانه سمي الاسلام كفرا ومن قال لغيره عنادا واستخفافا أو أعطاني الله الجنة ما دخلتها وأمثال هذه مما يدل على الاستخفاف بأمره أو نهييه أو وعده أو وعيده سبحانه كفرا أو قال أو يؤأخذني بترك الصلاة مع ما أنا فيه من الشدة والمرض ظلمي ولو قال ظالم لمظلومه القائل هذا بتقدير الله أنا أفعل بغير تقدير الله أو قال لو شهد عندي ملك ما صدقته أو لو كان فلان نبيا ما صدقته أو ما آمنت به أو قال قصعة من ثريد خير من العلم أو قال لله أخذت ولدي فأى شيء لم تفعله أو قال أنا لله ولو ما زح أو قال مستخفنا شيعت من القرآن أو قال أى شيء هذا الشرع وقصد الاستخفاف أو تشبهه

(قوله وعده هذه الكامة تنقيصه) وذلك كما روى ان مالك بن نويرة عرض على خالد الصلاة دون الزكاة فقال خالد لا تقبل واحدة دون الاخرى فقال مالك كذلك كان يقول صاحبك قال خالد وما تراه لك صاحبنا والله لقد هممت أن أضرب عنقك ثم تجادلني في الكلام فقال خالد اني قاتلك قال أو كذلك أمر صاحبك قال خالد وهذه ثانية بعد تلك والله لأقتلنك فقال عبد الله بن عمرو أبو قتادة في استبقائه فأني فقال له مالك فابعثني الى أبي بكر فيكون الذي يحكم في فقال خالد يا ضرار قم فاضرب عنقه فقام فاضرب عنقه (قوله بان لا يسلم) وان لم يكن طالبا للاسلام فيما يظهر وهل اذا كان ذلك الكافر عدوه فاشار عليه بما يكرهه وهو الكفر ومنعه عما يحبه وهو الاسلام يكفر بذلك أم لا الذي يظهر من كلامهم انه يكفر بذلك وان قصد ما ذكر لانه كان متسببا في بقاءه على الكفر (قوله فيؤخره) أو يقول له اصبر حتى أفرغ من شغلي أو يشير على مسلم بانه يرتد وان كان يريد اللردة أو يكرهه على الكفر على الأصح (قوله بخلاف الدعاء) لكافر (قوله أو ثبته الله على الكفر) أو قال لمسلم يسأله الله الايمان فانه لا يكون كفرا على الأصح (قوله لا لمر عليه) والعقوبة عليه (قوله لم يكفر على ما قاله ابن حجر المكي) ومحل ذلك ما اذا لم يذ كر ذلك رضى بالكفر والا كفر مطلقا (قوله أو يقول لمسلم يا كافر) فقد صح انه قال صلى الله عليه وسلم اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باعها وقوله بل أتأويل فان أول بان أراد كفر النعمة أو الاحسان فلا كفر وهو الأصح (قوله ما دخلتها) أما اذا لم يكن ما قاله على جهة العناد والاستخفاف فعند الراغب انه يكفر وعند النووي لا يكفر (قوله أو قال أو يؤأخذني الى قوله ظلمي) أى جوابا لمن قال له لا تترك الصلاة فان الله يؤأخذك (قوله ما صدقته) كفر وهل قوله لو شهد عندي جميع المسلمين ما صدقته كذلك أو لا قال ابن حجر

بالعلماء أو الوعاظ بحضرة جماعة استخفاً فاليضحكهم وكذا كل قول كفر أراد به الضحك واللعب استخفاً بالدين أو قال اذا ظهرت الربوبية زالت العبودية وأنه فني عن صفات الناسوتية الى اللاهوتية أو ان صفاته تبدلت بصفات الحق وأنه يرى الله عياناً في الدنيا أو يكلمه شفاهاً أو قال لغيره دع العبادات الظاهرة الشأن في عمل الاسرار أو قال سماع الغناء من الدين وأنه يؤثر في القلب أكثر من القرآن أو العبد يصل الى الله تعالى من غير طريق العبودية قال الغزالي من زعم ان له مع الله حالاً أسقط عنه نحو الصلاة وتحريم نحو الخمر وجب قتله وان كان في الحكم بخاود في النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لان ضرره أكثر انتهى وبالجملة فكل ما أوجب هضماً لحقوق الربوبية أو خواص الألوهية أو لتوقير الرسل والشرائع أو لأركان الدين كان كفراً أو الواجب على المسلم اعطاء كل ذي حق حقه فحق نقص من حق الرسل وشرائعهم منتقصا على وجه يفيد ذلك فهو كافر أو زاد في حقوقهم فغلا في محبتهم فأعطاهم بقلبه أو لسانه ما ليس لهم من خواص الألوهية المختصة برب الأرض والسموات وبارئ السموات كان مشركاً ثم انه يكون فيه من الكفر أو الشرك على حسب ما يحبه من هذا الاعتقاد الموجب للفساد فان أعطى كل ذي حق حقه وسلك الطريق القويم ناظر ابعين بصيرته حواليه وفوقه كان مسامحاً وحادوا ما مسدد او هذا بعض مما اختصرناه في هذه المقالة وضعناه والمقصود الآن التنبيه لا الاستيعاب والاثبات بما استطردهنا في هذا الباب والله سبحانه هو الموفق والملمم للصواب

﴿الباب الثامن في بيان الشرك الأصغر وأنواعه﴾

اعلم ان من الشرك الأصغر الرياء وهو أشهر أنواعه وسمى أصغر لكونه غير موجب للخاود في النار

الذي يظهر نعم لما مر من ان الشرع دل على عصمتهم من الاتفاق على الكذب (قوله زالت العبودية) وعني بذلك رفع الأحكام (قوله شفاهاً) أو قال ان الحق يطعمه ويسقيه وأسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام وأنه يأكل من الغيب ويأخذ منه (قوله في عمل الاسرار) أو قال الروح نور الله فاذا اتصل النور بالنور اتحد (قوله انتهى) نقله ابن حجر في شرح المنهاج (قوله بما استطردهنا في هذا الباب) فان قلت قسم الشرك الى أكبر وأصغر ولم يقسم الكفر مع انه مثله قلت لما كان مقصوده في هذا الكتاب ذكر الشرك أطنب في تفصيله وأما الكفر فقد ذكره على سبيل الاستطراد لأنه ليس من مقصود هذا الكتاب كما تقدم في أول الباب ولندكر نحن القسم الآخر وهو الكفر الأصغر تنميلاً للفائدة فنقول الكفر نوعان كفر أكبر وكفر أصغر فالكفر الأكبر الموجب للخاود في النار فهو الذي ذكر والكفر الأصغر وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخاود كما في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اثنتان في أمتي هما بهم كفر الطعن في

وقد شهد به حرمة الكتاب والسنة واجماع الأمة قال الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحد أى لا يرأى بأعماله لانها نزلت فيمن يطلب الأجر والجد بعبادته وأعماله وروى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء والترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشرك أخفى فى أمتى من ديب النمل على الصفا والترمذى أيضا والحكم وأبو نعيم الشرك أخفى فى أمتى من ديب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شئ من الجور أو تبغض على شئ من العدل وأهل الدين الا الحب فى الله والبغض فى الله والمراد بالصفا الحجر الأملس والأحاديث فى ذلك كثيرة جدا فمن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب الزواجر للإمام ابن حجر المكي وقد نطابقت كلمات الأئمة على ذمه وعظيم أثمه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمن رآه يبطأ طيء رقبته يا صاحب الرقبة ارفع رقبته لك ليس الخشوع فى الرقاب وإنما

النسب والنياحة وقوله صلى الله عليه وسلم من أتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد وقوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وهذا تأويل ابن عباس وعامة أصحابه فى قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال ابن عباس ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعله فهو به كافر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وكذلك قال طاوس وقال عطاء هو كفردون كفرو منهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحد له وهو تأويل مرجوح فان نفس جحوده كفر سواء حكم أو لم يحكم ومنهم من تأولها على غير ذلك مما هو مذكور فى التفاسير وكلها تأويلات بعيدة والصحيح ان الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين الأكبر والأصغر بحسب حال الحاكم فانه ان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله فى هذه الواقعة وعدل عنه معصية مع اعترافه بانه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر وان اعتقد انه غير واجب وانه مخير فيه مع تيقنه انه حكم لله تعالى فهذا كفر أكبر وان جهله أو أخطاه فهو مخطئ له حكم المخطئين فالمعاصي كلها نوع من الكفر الأصغر فانه ضد الشكر الذى هو العمل بالطاعة فالسعى اما شكر واما كفر واما ثالث لا من هذا ولا من هذا (قوله وأعماله) كما روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك به فنزلت تصديقاه (قوله الشرك الأصغر) قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء وقوله الرياء أى لعلبة داعيه للانسان الا ان عصمه الرحمن (قوله اذهبوا) خطاب للرأىين (قوله تراؤن) أى تراؤنهم بعمل الطاعة فى الدنيا لطلب اقبالهم فخذوا منهم الجزاء (قوله جزاء) هذا الحديث فيه اعلام بحبوط ثواب عمل الصالح بالرياء (قوله أخفى الخ) ولكمال خفائه لا يحسن به

الخشوع في القلب والرياء أخوذ من الرؤية كما ان السمعة من السماع والرياء المذموم ان يريد العامل
عبادته غير وجه الله بأن يقصد باطلاع الناس عليه نحو جاهد أو مال أو محبة ويكون بأمور فعلية وقولية
وهيئة وملبس ومشرب الى غير ذلك من أنواعه التي لا تكاد تحصر كإظهار نحول وصفرة واتسعت
شعر وبذاذه هيئة وخفض صوت ونمض جفن وإطراق رأس وهدو حركة وملبس صوف ومرقعة
ووضع مسبحة وإظهار مساوئك وإبقاء غبار عن أثر سجود وإظهار حفظ مسائل كثيرة الوقوع
وتطوير صلاة وإظهار دعاء وذكور بما يصير الرياء يدناله فيتم عوده في خلواته أيضا بعد ان يتكافه
فيها كأنه يدعى بلسان حاله انه لم يكن قد أفر ذلك الرياء فيكون عمله هذا المارأى به تبعه والحقا
والخامل له على ذلك كله طلب الجاه والصيت وعالم القدر حتى تنطلق الألسنة بمدحه وترى كثيرا ممن
يتعلم علوم لا طائل تحتها الا مجرد ان يفهم انه محقق بها عالم بطرقها مع علمه بعدم نفعها وطيش فضلهائم
ان المرأى يتفاوت الأثم عليه بتفاوت ريائه كثرة وقلة فاذا لم يقصد بعبادته غير الرياء فعبادته باطلة عاطلة
قد استزأ فيها ربه فامثله الا كمثل حادم عند ملك بالغ في خدمته وأظهر النصيح له فاطلع الملك انه لم
يقصد بخدمته الا الظفر بما وكته فاذا يكون جزاؤه منه ومن ثم كان عظيم الأثم فبيع الجرم حقيقا
بغاية الاقصاء والذم وفيه تلبيس واخداع للخلق لا يهامة لهم انه مطيع مخلص لله فأيأأ خدمه منهم
أو يعطى له فهو حرام عليه وسحت سيق اليه فان قلت قد سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للشرك
الأصغر واذا كان هذا شركا في العبادة وقد مر ان الشرك في العبادة شرك أكبر كما فصلته وأطالت
الكلام فيه وانه هو القسم الذي أرسل الله سبحانه رسلا لأجل هدمه وإحساء حكمه فالفرق بينهم ما
قلت الشرك الأكبر هو ان يجعل حق الله الخاص به وهو العبادة لغيره كما اذا سجد لغيره مثلاً وأما هذا
فانه قد عبده به وخصه بما يختص به ولكن الرياء صار سببا باعثا على هذا الفعل أو محسنا له غاية

(قوله نحول) التحول بالنون المضمومة والمهملة مصدر نحل من باب نصرأى سقم ومحجته من باب
تعب لغة كما في المصباح ليدل نحوله على قلة الأكل وعلى شدة الاجتهاد في العبادة وعلى غلبة خوف
الآخرة (قوله وصفرة) ولو بالخضار ليدل على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين (قوله وخفض
صوت) ليدل كل ذلك أو مجموعه على الصوم وضعف الجوع ووقار الشرع وتحمل مشاق العبادة
(قوله وملبس صوف ومرقعة) ليدل على التواضع وكسر النفس وعلى الفقر لله تعالى وعلى الزهد في
زهرات الدنيا (قوله ووضع مسبحة) ليدل على أنه ذواذكار وأوراد (قوله وذكر) أي وكالأمير
بالمعروف والنهي عن المنكر بشهود الخلق وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقاربة
الناس للمعاصي وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل على الحزن القائم بقلبه والخوف من عذاب ربه
الى غير ذلك (قوله بمدحه) أو طلب مال أو صرف مذمة يخافها

الأمر انه نظر الى غيره وهذا التوجه الى ربه قد أطاله وأكمله وأظهر خواصه وخشوعه لمولاه فلم يكن
شركاً كبيراً نظر الى انه قد جعل هذا الحق لربه ولم يجعله لغيره وكيف وان رياءه قد نشأ من هذا
التخصيص الذي لولا مخالفته لما أبطنه لكان عين التوحيد الذي ما عليه من مزيد لكنه نشأ منه
الشرك الأصغر بواسطة انه عظم قدر المخلوق حتى جعله ذلك التعظيم على ان يعمل لله تعالى أو يطيعه
أو يحسنه بما يراه ولما كان ذلك المخلوق هو المعظم من وجهه كان شركاً لكنه أصغر كما علمت ولا يقدم
عليه الا من لعب الشيطان بعقله فأوهمه ان هذا العبد الضعيف الدليل يملك جلب الخير اليه وصرف
الصراف عنه أكثر من ملك الله تعالى له فاندلك عدل بوجهه اليه وأقبل يستقبل قلبه وذلك من غاية
جهله وفرط حقه وقد يطلق الرياء على أمر مباح وهو طلب نحو الجاه بغير عبادة كان يقصد به الله الثناء
عليه بالنظافة فلا يكون واقعاً في طريق العبادة بل في طريق غيرها ومثل ذلك الانفاق على الأغنياء
لا على وجه الصدقة بل يقال انه سخي فليس في هذا تلبس في الدين واستهزاء برب العالمين فيكون
ذلك على حسب الارادات فانما الأعمال بالنيات وقد اختلف الغزالي وابن عبد السلام فيمن قصد
بعبادته الرياء ورضا الله فقال الغزالي ان غلب باعث الدنيا فلا ثواب له أو باعث الآخرة فالثواب وان
تساوى انساؤها فلا ثواب أيضاً وقال ابن عبد السلام لا ثواب مطلقاً لا لخيار الصحيحة كخبر من عمل
عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء هو الذي أشرك وأوله الغزالي على ما اذا استوى المقصد ان أوكأن
قصد الرياء أرجح وفي هذا النوع مباحث كثيرة تنفر عن غيرها فروع غزيرة في الاعتقاد وعدمه فيما اذا
افتتح العمل رياء ولو أخلص في افتتاحه ثم ورد عليه واراد الرياء وهل تجب عليه الاعادة خالف
استوعبه العلامة ابن حجر المكي في الزواجر وأطال البحث في تقسيم درجات الرياء وما يتعلق بذلك
من متعلقاته فان أردت الوقوف عليه فارجع اليه ولما كان هذا الشرك يصدر من يعتقده أن لا اله
الا الله وأنه لا يضر ولا ينفع ولا يعطى ولا يمنع الا الله وأنه لا رب سواه ولا اله غيره ذلك عمل لحظ نفسه
تأوه واطلب الرفعة والجاه والمنزلة عند الخلق تارة أخرى فله من عمله وسعيه نصيب وانفسه وحظه
وهو انه نصيب وللشيطان نصيب وللخلق نصيب وهذا حال أكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي
صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل قالوا
وكيف تنجو منه يا رسول الله قال قل اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم
وقل من ينجو من هذا فمن أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيئاً غير التقرب اليه فقد أشرك في ارادته
ونيته ويقابل الرياء الاخلاص وهو ان يخلص لله في أفعاله وأقواله وارادته ونيته وفقه الله سبحانه
لمرضاته آمين قال الامام ابن القيم في الجواب الكافي ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ
كالخلف بغير الله كما روى الامام أحمد وأبو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد
أشرك صححه الحاكم انتهى وقد روى النسائي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كان حالفاً فلا يخلف

الإلهة قال المناوي يعني باسم من أسمائه أو صفة من صفاته لان في الحلف تعظيما للمخاوف وحقيقة
 العظمة لا تكون إلا لله قاله ما أدرك عمر يحلف بأبيه والحلف بالخلق مكروه كالنبي والكعبة لاقتضاء
 الحلف غاية تعظيم المخاوف به والعظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهاى به غيره ثم فسر الحديث الأول بأن
 قال المراد بقوله فقد أشرك أى فعل فعل أهل الشرك أو تشبه بهم اذ كانت أيمانهم بأبائهم وما
 يعبدون من دون الله أو فقد أشرك في حلفه من لم يكن له أشراكه فيه على حد جعله لشركاء فيما أتاهما
 أو فقد أشرك في تعظيم الله من لم يكن له أن يعظمه لان الأيمان لا تصالح إلا بالله والحالف بغيره معظم
 غيره بما ليس له فهو يشرك غير الله في تعظيمه ورجح ابن جبر هذا الأخير ومن هذا التقرر يعلم ان من
 زعم ان الخبر ورد على منهج الزجر والتغليظ فقد تكلف انتهى وقال أيضا سئل شيخ الاسلام زكريا
 عن قوم جرت عاداتهم اذا حلفوا أن يقولوا ايركة سيدى فلان على الله هل هم مخطئون لحلفهم بغير الله
 تعالى أجاب يكره الحلف المذكور ويمنع منه فان لم يمتنع أدب قصد بعلى الاستعلاء على بابها أم لا
 انتهى وقال العلامة ابن حجر المصكي في شرح المنهاج الأيمان جمع يمين لانهم كانوا يضعون أيمانهم
 بعضها ببعض عند الحلف وأصل اليمين القوة فلتقوية الحلف الحث على الوجود أو العدم سمي يميناً
 ثم قال (لاتنعم قد اليمين الا بذات الله تعالى) أى اسم دال عليها وان دل على صفة معها وهى في
 اصطلاح المتكلمين الحقيقة والآنكار عليهم بأنها لا تعرف الا بمعنى صاحبة مردود بتصریح الزجاج
 وغيره بالأول بل صرح بذلك خبيب رضى الله عنه عند قتله بقوله وذلك في ذات الاله (أو صفة له)
 وستأتى فالأول بقسميه (كقوله والله ورب العالمين) أى مالك الخلوقات لان كل مخلوق علامة
 على وجود خالقه (والحي الذي لا يموت من نفسى بيده) أى قدرته يصرفها كيف يشاء ومن
 فلق الحبة (وكل اسم مختص به) الله (سبحانه وتعالى) غير ما ذكر ولو مشتق أو لو من غير
 أسمائه الحسنى كالاله ومالك يوم الدين والذي أعبدته وأسجد له ومقلب القلوب فلا ينعمد بمخلوق
 كنبى وملك للنهى الصحيح عن الحلف بالآباء ولا مر بالحلف بالله وروى الحاكم خبر من حلف بغير
 الله فقد كفر وفي رواية فقد أشرك بالله وجاوه على ما إذا قصد تعظيمه كتعظيم الله فان لم يقصد ذلك
 أثم عند أكثر أصحابنا أى تبع النص الشافعى الصريح فيه كذا قاله شارح والذي في شرح مسلم عن
 أكثر الأصحاب الكراهة وهو المعتمد وان كان الدليل ظاهراً فى الأثم قال بعضهم وهو الذى ينبغى
 العمل به فى غالب الأعصار قصد غالبهم به اعظام المخاوف به ومضاهاة الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

(قوله سمي يميناً) اذ اليمين فى الشرع عبارة عن عقد قوى عزم الحالف على الفعل أو الترك
 (قوله وستأتى) أى فى المنهاج كوعظمة الله وعزته وكبريائه وكلامه وعامه وقدرته ومشيئته
 (قوله ومالك) ويت الله الكعبة

انتهى فقد ظهر لك من جميع ما نقلته انه متردد بين الاثم والكرامة والاثم هو القريب لظاهر
الدليل فيكون حراما ما لم يقترب به التعظيم كتعظيم الله فيكون شركا ظاهرا وعلى كل حال فهو من
الشرك الأصغر عند عدم الاقتران وقال ابن القيم في كتابه الجواب الكافي ومن ذلك قول القائل
لخالق ما شاء الله وشئت كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أتجعلني
لله ندا قل ما شاء الله وحده هذا مع ان الله قد أثبت للعبد مشيئة بقوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم
فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك وأنا في حسب الله وحسبك وما لي الا الله وأنت وهذا من
الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السموات وأنت لي في الأرض أويقول والله
وحياة فلان أويقول ذلك نذر الله ولفلان وأنا نائب الله ولفلان وأرجو الله ولفلان ونحو ذلك فوازن
بين هذه الألفاظ وبين قول القائل ما شاء الله وشئت ثم انظر أيهما أغش يتبين لك ان قائلها أولى
بجواب النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعل لله ندا فهذا قد جعل من لا
يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الأشياء بل لعنه ان يكون من أعدائه نذر الرب العالمين
سبحانه انتهى وروى الحكيم في النوادر والنسائي عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال قد كنت أكره لكم أن تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله
ثم شاء محمد قال المناوي لما في ذلك من شائبة التشريك فنهى عن ذلك نهى تنزيهه رعاية للأدب ودفعاً
لذلك التوهم وانما أتى بتم لكمال البعد مرتبة وزمانا انتهى وقال الخطابي أرشدكم الى رعاية الأدب
في التقديم واختارهم من بين طرق التقديم ثم المفيدة للترتيب والمهلة والفاصلة الزمانية ليفيد ان
مشيئة غير الله مؤخره بمراتب وأزمنة انتهى ولم أر أحداً من الشافعية قال بالحرمة صريحاً وان كان
ظاهراً النص من النهي الجازم يفيد هذا وعلى كل حال فهى من الشرك الأصغر كما ثبت التصريح به
والله أعلم وقال أيضاً ابن القيم في كتابه البكائر ومن ذلك ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه
مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الرقى والتائم والتولة شرك رواه الامام أحمد وأبو داود والتولة
نوع من السحر وهو تحبيب المرأة الى الزوج والتائم جمع تيممة وهى خرزة يعلقونها على الولد يزعمون
انها ترد العين انتهى والأحاديث في النهي كثيرة فقد صح انه صلى الله عليه وسلم أبصر على ضد
رجل حلقة أراه قال من ظفر فقال ويحك ما هذه قال من الواهنة قال اما انها لاتزيدك الا وهناً انبذها
عنك فانك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبداً وفي الجامع الصغير عن ابن مسعود رضى الله عنه ان

(قوله الرقى) هى التى تسمى العزائم وقد اشتقت على شرك أما التى لا شرك فيها فقد رخص فيها
صلى الله عليه وسلم من العين والحي (قوله والتولة) بفتح الفوقية والواو واللام (قوله ترد
العين) لكن اذا كان العلق من القرآن فاختلف فيه الساف الصالح بعضهم أجازوه وبعضهم

النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقى والتمائم والتولة قال العلامة ابن حجر في زواجه تنبيهه على هذه من الكبائر هو ما يقتضيه الوعيد الذي في هذه الأحاديث لاسيما تسميته شركا لكن لم أر أحدا صرح بذلك بخصوصه ولكنهم صرحوا بما يفهم جريان ذلك فيه بالأولى نعم يتعين حمله على ما كانوا يفعلونه من تعليق خرزة يسمونها تيممة أو نحوها يرون أنها تدفع عنهم الآفات ولا شك أن اعتقاد هذا جهل وضلال وأنه من أكبر الكبائر لأنه إن لم يكن شركا فهو يؤدي إليه إذ لا ينفع ولا يضر ولا يمنع ولا يدفع إلا الله تعالى وأما الرقى فهي محمولة على ذلك أو على ما إذا كانت بغير لسان العربية ولم يعرف معناها فإنها حينئذ حرام كما صرح به الخطابي والبيهقي وغيرهما واستدل له ابن عبد السلام بأنهم لما سألوه صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال أعرضوا على رقاكم وسبب ذلك ما قالوا من أن ذلك الجهول قد يكون سحرا أو كفرا قال الخطابي بعد ذكره ذلك فأما إذا كان مفهوما المعنى فإنه مستحب متبرك به انتهى وقال المناوي في شرح الحديث الثاني الرقى بوزن العلاج رقية بالضم يقال رقاها أي عودده والنهي عن الرقية بغير القرآن وأسماء الله تعالى وصفاته ثم قال وتلك الرقى المنهى عنها التي يستعملها المعزم ممن يزعم تسخير الجن تأتي مركبة من حق وباطل فجمع إلى ذكر الله ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردتهم فلذلك نهى عن الرقى بما جهل معناه ليكون بريئا من شوب الشرك انتهى فقد تبين لك من هذه النقول المخرجة عن هذه الأصول الصادرة عن الرسول أن ذلك يكون شركا ظاهرا تارة وشركا أصغرا تارة أخرى فتأمل حق التأمل فيه وتبصر بظاهره وخافيه وعلى الله قصد السبيل نعم المولى ونعم الوكيل وبقيت أشياء سميت بالشرك أيضا كالتطير فقد روى البخاري في الأدب المفرد وأحمد والحاكم وغيرهم بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيرة شرك قال المناوي هي بكسر ففتح سوء الظن بالله وهرب من قضائه وقوله شرك لأن العرب كانوا يعتقدون أن ما يتشاءمون به سبب مؤثر في حصول المكروه وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد ومن اعتقد أن غير الله يدفع أو يضر استقلاله فقد أشرك انتهى وبالجملة فالشرك الخفي لا يكاد يحرز إلا أنسان منه إلا بعناية من الله الصمد وهو منقسم إلى أكبر غير مغفور وأصغر موجب للإثم فقط متفاوت المراتب ذما وقبحا عافانا الله سبحانه عن الجميع أنه هو الغفور السميع إذا علم هذا فالواجب عليك الاحتراز عما أطلق عليه الشارع لفظ

نهى عنه (قوله الطيرة) هي بكسر الطاء وفتح الياء اسم ما يتشاءم به كذا في الصحاح وفي النهاية أنه مصدر تطير كما يقال تخير خيرة ولم يجئ من المصادر على هذه الزنة غيرهما كان أهل الجاهلية إذا قصدوا أحد إلى حاجة وأتى من جانبه الأيسر طيرا وغيره يتشاءم به فيرجع (قوله الصمد) السيد المقصود إليه في الخواص

الشرك وان كان مغفورا وغير مخرج عن الملة لكن الشارع صلى الله عليه وسلم لم يطلق عليه اسم
الشرك الا لكونه وان لم يكن أكبر فهو يؤدي اليه وانه في طريق من سلك فيه أوقعه الشيطان
عليه ومثل ذلك لا يعرفه الا عالم بهذه الأسرار وطبيب يحذر من الوقوع في مثل هذه الأمراض
الكثيرة الأخطار وكيف يقدر من لا يعرف حقيقة نفسه على معرفة هذه العلل الوبية والأمراض
الردية وهي لا تتلقى الا من الحضرة النبوية ولا تقتبس الا من مشكاة الأنوار المحمدية الفائضة من
المواهب الربانية والأسرار الالهية ولقد سمي الساف الصالح المعاصي يريد الكفر بناء على انها تجر اليه
وسميت ذنوب بالنفاق لكونها تؤدي من استعملها اليه كذلك هذه الكبائر التي أطلق الشارع
عليها اسم الشرك كانتهاقي من ارتكبها على الشرك الأكبر الذي هو من أكبر الكبائر وأعظم
المصائب فانه الذنب الموجب للخاود في النار المستوجب لغضب الجبار وفقنا الله سبحانه للاصابة في
القول والعمل وجنبنا بفضل العليم الخطأ والخطل بمنه وكرمه آمين

﴿الباب التاسع في بيان المعجزة والكرامة والسحر والرياسة والكهانة وما يتبع ذلك من
الاستدراج والمعونة والتنجيم والشعوذة على وجه تتميز به هذه الحقائق ويحصل من ألم بها على
الوجه القريب الفائق﴾

اعلم بصرفي الله واياك بالدين وهذا السبيل المستبين ان المعجزة

(قوله تجر اليه) لأن تكرار الأفعال مسبب لحصول الملكة الراسخة فن أصر على الذنوب
ألفها واذا ألفها نشأ من ذلك محبتها وبغض الطاعات لمخالفتها ما لوفه مع استيلاء الران على قلبه
فاذا أصر على الذنوب يكون حب الله في قلبه ضعيفا فاذا ضعف يستولى على قلبه حب الدنيا
فمنهمك في الشهوات وارتكاب السيئات فتتراكم ظلمات الذنوب على قلبه ولا تزال تطفئ ما
فيه من نور الايمان مع ضعفه فاذا جاءه الموت وعلم انه يفارق الدنيا وهي محبوبة له وحبها غالب
عليه حتى انه يتألم من فراقها ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى ان يحصل في قلبه بغضه تعالى بدل
حبه فان اتفق خروج روحه في تلك اللحظة يختم له بالسوء ويهلك هلاكاً أبدياً فن أراد النجاة
من هذه الورطة فعليه بعد تصحيح اعتقاده ان يحذر عن المعاصي وعن مشاهدتها ومشاهدة
أهلها وان يواظب على الطاعات التي هي ثمرة محبة الله تعالى ولا يتصور محبة الله تعالى الا بعد معرفته
فن عرف الله تعالى بما يحب عليه معرفته وعرف ان جميع النعم الواصلة اليه والى غيره ليس الا منه
تعالى لا جرم انه يحبه فاذا أحبه يسعى في تحصيل مرضاته ويحترز من موجبات سخطه فيكون لا نقا
لوصول احسانه ودخول جنانه بمقتضى وعده يسرنا الله تعالى لذلك (قوله الخطل) المنطق القاسد
(قوله المعجزة) ما خوذ من المعجز المقابل للقدرة وحقيقة الاعجاز اثبات المعجز ثم أسند مجازا الى

ما يظهر على يد مدعى النبوة من خارق العادة عند تحدى المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا تمكنهم معارضته هكذا عرف المعجزة المتكاملون وسميت بذلك لا بحجازها من يتحدى لمعارضتها عن الايمان بمثلهما فالتناء فيها للمبالغة كالعلامة والنسابة ولكن الشائع في التعابير استعمالها في الوحدة وإذا كانت عبارة عن هذا الأمر المعجز الذي يخلقه الله ويظهره على يد مدعى النبوة تصديقه كانت تصديقا فعليا قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدي فيما يقول ويبلغه عنى فهي اذا تفيد العلم الضروري بصدق المدعين وتصلح أصلا لاقامة الحجج والبراهين فقد قال العلماء مثال ذلك ان رجلا اذا قام من مجلس ملك الى جماعة وقال أنا رسول هذا الملك بعثني اليكم بكذا وكذا من التكاليف فطلبوا منه آية تدل على صدقه فقال آية صدقي اني أطلب من الملك ان يخالف عادته ويقوم من مقامه ويقعد ثلاث مرات ففعل الملك ذلك فلا ريب ان ذلك الفعل من الملك قائم مقام قوله صدق هذا الرجل في كل ما يبلغ عنى ومفيد العلم الضروري لمن شاهده بل لمن وصل اليه ذلك الفعل بالتواتر ان هذا المبلغ عنه صادق في كل ما يبلغ عنه كيف وينضاف الى ذلك ما يقوى التصديق من ان هذه الدعوى على الله الواجب الوجود الشامل بقدرته كل موجود فهل يقع في الخاطر ان من تصدى لمثل هذا الأمر وهو كاذب كيف يجرى على يده مثل هذا الخارق ولئن جرى كيف يعمله تعالى ويترك خلقه سدى وهم لا يشعرون هذا من المحال البين الذي تضافرت عليه العقول وتطابقت به النقول من غير انكول اذا

ما هو سبب المعجز وجعل اسماله فالتناء للنقل من الوصفية الى الاسمية كفاي الحقيقة وقيل للمبالغة كما ذكره المصنف (قوله ما يظهر الخ) أعم من ان يكون فعلا كأنفجار الماء من الاصابع أو عدمه كعدم اسراق النار ومن قال فعل يظهر الخ جعل المعجز ههنا كون النار بردا وسلاما أو بقاء الجسم على ما كان عليه من غير احراق (قوله عند تحدى المنكرين) احتراز عن كرامات الأولياء وعن العلامات الارهاصية التي تتقدم بعثة الأنبياء (قوله ولا تمكنهم معارضته) وهي اما حسية واما عقلية وأكثر معجزات بني اسرائيل كانت لبلادتهم وقلة بصيرتهم حسية وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم قاله السيوطي (قوله في كل ما يبلغ عنه) فان قيل هذا تمثيل وقياس للغائب على الشاهد وهو على تقدير ظهور الجامع انما يعتبر في العمليات لا فائدة الظن وقد اعتبرتموه بالجامع لا فائدة اليقين في العلميات التي هي أساس ثبوت الشرائع على ان حصول العلم فيما ذكرتم من المثال انما هو لما شوهد من قرائن الأحوال قيل في جوابه التمثيل انما هو للتوضيح والتقريب دون الاستدلال ولا مدخل لمشاهدة القرائن في افادة العلم الضروري لحصوله للغائبين عن هذا المجلس عند تواتر القضية اليهم وللحاضر من فيما اذا فرضنا الملك في بيت ليس فيه غيره ودونه حجب لا يقدر

علمت هذا فاعلم ان المعجزة كاذكروا سبعة شروط تميز بها عن غيرها الأول ان تكون من قبل الله تعالى ليخرج ما كان من قبل العبد الثاني ان تكون خارقة للعادة ليخرج ما كان معتادا الثالث ان يتعذر معارضتها لان ذلك حقيقة الإعجاز المخرج للسحر ونحوه الرابع ان يكون مقرونا بالتحدى ولا يشترط التصريح بالدعوى بل تكفي قرائن الأحوال وذلك ليعلم انه تصديق له والمراد من التحدى طلب المعارضة منهم فيما جعله شاهد الدعواه تمييزا لغيره عن الايمان بمثل ما أبداه من تحديت فلانا اذا نازعته للغبلة الخامس ان يكون هذا الخارق الآتي به موافقا لدعواه فلو قال معجزتي كذا فأنتي بغيره لم يدل على تصديقه لعدم تنزيله منزلة تصديق الله تعالى اياه السادس أن لا يكون المعجز مكذبا له فلو قال معجزتي ان ينطق هذا الذئب فنطق بتكذيبه لم يكن ذلك معجزة السابع أن لا تكون المعجزة متقدمة على الدعوى فاي تقدم عليهما من الخوارق يسمى ارهاصا وتأسيسا فلو ادعى النبوة بعد

على تحريكها أحدهما وجعل مدعى الرسالة حجة ان الملك يحرك تلك الحجب من ساعته ففعل **(قوله كاذكروا)** أي المتكلمون **(قوله ان تكون من قبل الله الخ)** لان التصديق من الله تعالى لا يحصل بماليس من قبله زاد في المواقف في هذا الشرط قيدان قال الأول ان يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه وقال دقولنا أو ما يقوم مقامه ليتناول ما اذا قال معجزتي ان أضع يدي على رأسي وأتم لاتقدرون عليه ففعل وعجز وافانه معجز ولا فعل لله ثم فان عدم خلق القدرة ليس فعلا أي بل عدم صرف ومن جعل الترك وجوديا أي على انه الكف حذفه لعدم الحاجة اليه قلت وترك المصنف هذا القيد لما ذكره السيد في شرحه عن الآمدي ان العجز ان كان عدميا كما هو أصل شيخنا فالمعجز هنا عدم خلق القدرة فلا يكون فعلا وان كان وجوديا كما ذهب اليه بعض أصحابنا فالمعجز هو خلق المعجز فيهم فيكون فعلا فلا حاجة الى قولنا أو ما يقوم مقامه انتهى **(قوله ليخرج ما كان معتادا)** كطلوع الشمس في كل يوم وبدوالازهار في كل ربيع فانه لا يدل على الصدق لمساواة غيره اياه في ذلك حتى الكذاب في دعوى النبوة **(قوله ولا يشترط التصريح بالدعوى)** وطلب المعارضة خلافا لما ذهب اليه بعضهم **(قوله بل تكفي قرائن الأحوال)** بان يقال له ان كنت نبيا فاطهر معجزة فتعمل بان دعا الله فاطهره فيكون ظهوره دليلا على صدقه ونازل منزلة التصريح بالتحدى **(قوله معجزتي كذا)** أي ان أحبي ميتا مثلا **(قوله بغيره)** كشق الجبل مثلا **(قوله لم يكن ذلك معجزة)** لان المكذب هو نفس الخارق قال في المواقف وشرحه نعم لو قال معجزتي ان أحبي هذا الميت فاحياه فكذبه ففيه احتمال والصحيح انه لا يخرج بذلك عن كونه معجزا لأن المعجز احياء وهو غير مكذب له انما المكذب هو ذلك الشخص بكلامه وهو بعد ذلك الاحياء مختار في تصديقه وتكذيبه ولم تتعلق به دعوى فلا يقدح تكذيبه في دلالة الاحياء على صدقه **(قوله وتأسيسا)** عطف تفسير

ظهور هذا الخارق المتقدم عاينها وطولب بالمعجزة فمعجز كان ذلك دليلا على عدم التصديق المتقدم
وبهذه الشروط السبعة يحصل تمييز المعجزة عن غيرها من السحر وأمثاله وقد فرق بين السحر وبين
المعجزة أيضا بأن أثر المعجزة حقيقي كشبه الجمع الكثير من الطعام اليسير وتكثير الماء القليل بالمج
فيه حتى روى منه الجيش من غير تكبير وأثر السحر تخيلي وله أيضا فرق آخر وهو أن السحر يقبل
التعم والتأنيد وربما كان التأنيد فيه أحق من الأستاذ بخلاف المعجزة فإنها لا تقبل ذلك وأعلم أن
السحر لغة كمال لطف ودق من سحره إذا أبدى له أمر افدق عاينه وخفي ومنه فاعلم أن السحر هو العين
الناس وهو مصدر شاذ لم يأت فعل بكسر الفاء وسكون العين مصدر الفعل يفعل بفتح العين فيهما
وشرعا هو كل أمر خفي سببه وعمل على غير حقيقة وجرى مجرى التوهم والخداع وكان ممكن
المعارضة ويتفاوت باعتبار حدق متعاطيه فهو من الصناعات في التوهمات وحيث أطلق أريد منه
المدوم فقط وحيث قيد كان بحسب ما قيده بما يمدح أو يذم أو يضر أو ينفع كسحر البيان وغير
ذلك مما يتعلق بفصاحة اللسان وبالجملة فهو أقسام منه سحر الكاذبين الغابدين للكواكب وهم
فرق قد تختلف مللهم واضطربت نحلهم فمنهم القائلون بالاهية الأفلاك المتخذون لها هياكل
وأدناما اشتغلوا بخدمتها ومنهم من أثبت لهذه الأفلاك فاعلا مختار الكونهم قالوا إن الله أعطاها قوى
نافذة وفوق تدبيره الزمان منهم الصابئة والدةرية إلى غير ذلك من الفرق الضالة عافانا الله منها ومن
السحر أيضا سحر أصحاب العزائم والنفوس القوية

لأن الارهاص هو التأسيس من أرهصت الحائط أسسته (قوله العزائم) وهي كلمات يزعم أهل
هذا العلم أن ساميان عليه الصلاة والسلام لما أعطاه الله هذا الحكم وجد الجان يعشون بالناس في
الأسواق ويخطفونهم من الطرقات فسأل الله تعالى أن يولى على كل قبيل من الجن ملكا يضبطهم
عن الفساد فولى الله سبحانه وتعالى الملائكة على قبائل الجان فاذا عتاه بعضهم وأفسد ذكر المعزم
كلمات تعظمها تلك الملائكة ويزعمون أن لكل نوع من الملائكة أسماء أمرت بتعظيمها ومتى
أقسم عاينها بطاعة وأجابت وفعلت ما طلب منها فالمعزم بتلك الأسماء على ذلك القبيل يحضر له
ذلك القبيل من الجان الذي طلبه والشخص منهم يحكم بينهم بما يريد ويزعمون أن هذا الباب إنما
دخله الخلل من جهة عدم ضبط تلك الأسماء فإنها عجمية لا يدري هل هي مضمومة أو مفتوحة وربما
أسقط بعض النساخ بعض حروفها من غير علم فيختل العمل فإن القسم به لفظ آخر لا يعظمه ذلك
الملك فلا يجيب ولا يحصل مقصود المعزم (قوله وشرعا) والسحر له حقيقة وقد يموت المسحور
أو يغير طبعه قاله الشافعي وابن حنبل وقالت الحنفية إن وصل إلى بدنه كالدخان ونحو مجازان يؤثر
والأفلاوقالت المعتزلة لا حقيقة للسحر وهذا لا يصح فإن ما لا حقيقة له لا يؤثر وقد سحر النبي صلى

ومنهم في بلاد الهند كثرة ومنه سحر المشركين المستعنيين بالأرواح الأرضية من الجن ومردتهم
الشياطين ومنه أيضاً ما هو تخيل وأخذ بالعيون ومنه أيضاً أعمال عجيبه تظهر من تراكيب آلات
على نسب هندسية ومنه أيضاً ما فيه استعانة بخواص الأدوية العربية ومنه تأليفه للقلوب كن
عرف بأن الجن قطيعه وأنه يفعل أشياء غريبة فنعتقد فيه ذلك وتعلق قلبه بما هنالك وحصل في
نفسه نوع من الرعب ومكن الخوف بقلبه ثم كن هذا المعتقد فيه من أن يفعل معه ما يشاء من غير
شك ولا امتراء وقد نقل عن القرافي بيان أنواعه من السيميا والهيما وخواص الحقائق من
الحيوانات وغيرها

الله عليه وسلم وقد سحرت عائشة جارية اشترتها وقد أطبقت الصحابة على صحة ذلك ومن حجة
الزاعمين أنه لا حقيقة له قوله تعالى يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ولأنه لو كانت له حقيقة لتمكن
الساحر أن يدعي النبوة فإنه قديماً في الخوارق على اختلافها والجواب أن السحر أنواع فبعضه هو
الذي يخيل عن الثاني أن اضلال الخلق ممكن ولكن الله تعالى أجرى العادة بضبط مصالحهم عما
يسر ذلك على الساحر وكم من ممكن يمنعه الله من الدخول في العالم لأنواع من الحكم على أنه تقدم
الفرق بين المعجزة والسحر (قوله ومنهم في بلاد الهند كثرة) قال ابن حجر في كتابه الاعلام وفي
الهند جماعة اذاركم وانفوسهم لقتل شخص مات ثم ان شق صدره في الوقت لا يوجد قلبه بل
اتزعه من صدره بالهمة والعزم وقوة النفس ويجربون بالزمان فيجمعون عليه همهم فلا يوجد
فيه حبة وخواص النفس كثيرة انتهى (قوله من السيميا) وهي عبارة عما تركب من خواص
أرضية كدهن خاص أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة وادراك الخواص الخمس أو بعضها
لحقائق خاصة من المأكولات والشمومات والمبصرات والمهوسات والسموعات وقد يكون لذلك
وجود يخلقه الله اذ ذاك وقد يكون لا حقيقة له بل هي تخيلات (قوله والهيما) هي كالسيما إلا
أنها تمتاز عنها بالآثار الصادرة عنها تضاف للآثار السيمائية من الاتصالات الفلكية وغيرها من أحوال
الأفلاك فتحدث جميع ما تقدم ذكره فخصوا الواحد بالسيما والآخر بالهيما (قوله وخواص
الحقائق من الحيوانات وغيرها) قال ابن حجر في كتابه الاعلام ذكروا أنه يؤخذ سبعة أحجار ويرجم
بها كلب شأنه اذ ارمى بحجر عضه فاذا رمى بسبعة أحجار وعضها كلها انقطعت بعد ذلك وطرح في ماء
فن شرب منه آثار خاصة يعبر عنها السحرة فهذه تثبت للسحر وإيس ما يذكره الأطباء من الخواص
في هذا العالم للنباتات من هذا القبيل ولا شك في الخواص في هذا العالم فنه ما يعلم كاختصاص النار
بالاحراق ومنه ما يعامه الأفراد كالجز المنكرم وما يصنع منه الكيمياء ونحو ذلك كما يقال أن في الهند
شجر اذا عمل منه دهن ودهن به انسان لا يقطع فيه الحديد وشجر آخر اذا استخرج منه دهن

والطلسمات والأوقاف والعزائم والاستخدامات فكل هذه الأنواع من السحر وكذلك الشعبة
الحاصلة من سرعة اليد فأنواع منه أيضاً فلا تطيل الكلام بتفاصيلها وقد فصلها العلامة ابن حجر أتم
تفصيل في كتابه الاعلام ونقل الأقوال الواردة في تكفير متعاطيه ان كان مشقلا على كفر أو
شرك وفي تأييده ان لم يكن فأتى بغرائب مسائل ان أردتها فارجع اليه وبالجملة فالمقصود الفرق بينه
وبين المعجزة فالسحر يأتي به الساحر وغيره ممن تعلم طريقه وقد يأتي جماعة في وقت واحد وربما
يتكافؤن أو يفوق بعضهم على بعض كل على حسب علمه في صناعته وأما المعجزة فلا يمكن لأحد
ان يأتي بمثلها أو يعارضها وتتمام أحكام السحر مفصلة في الزاوية عن اقتراف السكائر للعلامة ابن حجر
المكي هذا ما كان من المعجزة والسحر وأما الكرامة فهي أمر خارق للعادة تظهر على يد مؤمن
صالح ظاهر صلاحه يكرم الله بها من يشاء من عباده الصالحين فبقية المؤمن الصالح يخرج ما يظهر
لبعض الفساق والظلمة والكفرة أحيانا استدراجهم وبالقيد الثاني تخرج المعونة وهو ما يظهر من

وشرب على صورة خاصة مذكورة عندهم في العمليات استغنى عن الغذاء وأمن من الأمراض
والاسقام ولا يموت بشئ من ذلك لو طالت حياته حتى يأتي من يقتله امام موته بالاسباب العادية فلا
خواص النفوس لا شك فيها فليس كل أحد يؤذي بالعين والذين يؤذون بها تختلف أحوالهم فمنهم
من يصيد بالعين الطائر من الهواء ويقلع الشجر العظيم من الثرى وآخر انما يصل لتمرير لطيف
ومن الناس من طبع على صحة الخرز ولا يخطئ غالبا ثم تجد واحد له خاصية في علم الكشف وآخر في
علم الرمل وآخر في علم النجم ومن خواص النفوس ما يقتل انتهى (قوله والطلسمات) وهي نقش
أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهل هذا العلم في أجسام من المعادن أو غيرها
فلا بد في الطلسم من هذه الأسماء المخصوصة وتعلقها ببعض أجزاء الفلك وجعلها في جسم من
الأجسام ولا بد مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الأعمال فليس كل النفوس مجبولة على ذلك
(قوله والأوقاف) وهي ترجع الى مناسبات الأعداد وجعلها على شكل مخصوص وهذا كان
يكون شكل من تسع بيوت مبلغ العددين من كل جهة خمسة عشر هو تيسير العسير وإخراج
المسجون ووضع الجنين ومنه كل ما هو من هذا المعنى وضابطه بطر زهيج واح وكان الغزالي يعتنى
به كثيرا حتى نسب اليه والذي نقله ابن حجر عن القرافي فيه زيادة قوله والرقى بعد قوله والأوقاف وهي
ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الاسقام والادواء والاسباب المهلكة ولا يقال لفظ الرقى على
ما يحدث ضررا بل ذلك يقال له السحر وهذه الألفاظ منها مشروع كالفتحة وغير مشروع كرقى
الجاهلية والهندور بما كان كفرا انتهى مالك رحمه الله عن الرقى بالمجمية (قوله استدراجهم)
أي مكرهم في الدنيا وعقوبة لهم في العقب كما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أي

عوام المسلمين عند اضطرابهم تخلية صالهم من الحن والمكاره والفرق بين الكرامة والمجزة مقارنة
 التحدى ودعوى النبوة وبانها اذا ظهرت على يد أحد من الأمة تكون من مجزة نبيه وقد أنكر
 الكرامة المعتزلة وأثبتها أهل السنة والجماعة إلا بعض المالكية فقد أنكرها سدا للذريعة المتوصل
 بها إلى كل باطل بالحقيقة وذلك فياس مذهب الامام مالك القائل بسد الذرائع لئلا تكون وسيلة إلى تاله
 من أكرم بها أو تشبه بغيرها فتشتعل على العوام نيران ضررها فانما نجد العوام بل الخواص يرون ان
 كل خارق للعادة كرامة وكل من ظهرت منه فهو ولي مطاع لا يعصى ولو بمعصية الله تعالى فبذلك نشأت
 الفتن في الدين وضعف في الله اليقين فتراهم بمجرد اعتقادهم فيه انه ولي وان كان عدوا قدر جوامه
 غفر ان الذنوب وسر العيوب ووافقه في كل ما يريد وان كانت في موافقته مخالفة الله تعالى ولم يعلموا
 ان الشيطان قد نصب لنا العداوات بنصب حبال التمويهات ومراعاة تحكيم هذا الاعتقاد الفاسد فيهم
 ليستغيثوا بهم اذا وقعوا في الشدائد دور بما ان ابليس يريد ان يحاج مطالوبهم ويحسن لهم بما قدر
 عليه استغاثتهم بهم وهذا المعتقد المسكين لا يدري كيف يتلاعب به الشيطان واذا نهاه أحد أجابه
 بسوء القول مثل انك لا تعتقد ولا تحب أهل الكرامات وما درى هذا الفقير الجاهل ان كل ذلك
 من تلبس ابليس ليصده عن الهدى ويلقيه في النى والضلال والحاصل ان ههنا كرامات تختص
 بالأولياء وأحوال الشيطانية تظهر على يد الاشقياء فالخوارق التي للأولياء تظهر بما يحبه الله تعالى
 وتكون مسببة عن كمال الايمان وفرط التقوى والاحسان والأحوال الشيطانية تحصل باتباع
 الجن والشياطين كما ظهرت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد وعلم انه من جنس الكهان
 الذين يكون لأحد هم قرين من الجن يخبره بكثير من الغيبات مما يستترقه من السمع مع خلط الصدق
 والكذب وبعده كالمتمنبئين الذين ادعوا النبوة وغيرهم ممن كان لهم قرناء من الجن كالخارث
 الدمشقي وأمثاله فمن لم ينظر بنور الله ووافق هواده وحسن له ابليس الامر وأغواة انقاد لمثل هذه

نستدبرهم وتستقر بهم إلى العقوبة والنقمة ليتوهموا ان ذلك تقرب من الله واحسان وانما هو
 تبعيد وخدلان ففي الحديث اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب من النعمة وهو مقيم على المعصية فان
 ذلك منه استدراج ثم تلا هذه الآية فاما نسوا ما ذكرناه فتحناء عليهم أبواب كل شيء أي من النعم حتى
 اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون أي متحIRON آيسون لان العقوبة اذا كانت
 مخبأة في النعمة تكون أشد في الصعوبة فتكون كثرة نعمهم الصورية موجبة لشدة نقمهم
 الاخرية (قوله من الحن) والمكاره (قوله تكون من مجزة نبيه) فان كرامة التابع
 كرامة المتبوع (قوله لابن صياد) وظن بعض الصحابة انه الدجال وتوقف النبي صلى الله عليه
 وسلم في أمره حتى تبين له انه ليس الدجال وعلم الخ (قوله كالخارث الدمشقي الخ) الذي خرج

الخرافات وربما ضل بما يحسب ان فيه هداية فيستغيث به ويتوكل عليه ويندبه عند الكرب والشدائد ويقول نذبت شيخى فلانا فلاننى واذا جاءه ابليس ببعض التوبيعات وقال له بعد ذلك يقول لك فلان لا تصلى اطاعه وما عاصاه فان الله والامر كله لله واعلم ان المحققين من أهل المعرفة واليقين على ان الكرامة لا تحصل للمولى غالباً الا في البدايات أما اذا اكمل يقينه فلان تأنيبه لما انما التقوية في اليقين والرسوخ في الدين ولهذا كانت الخوارق في التابعين أكثر منها في الصحابة الربانيين قال في بحر الأفكار وطريق ضبط الخوارق ان يقال ان الخارق للعادة اما ان يكون مقروناً بالايمن والعمل الصالح أو لا فان كان الاول فلا يخاف ان يكون مقروناً بكمال العرفان والطاعة حسب الامكان أو لا الثاني المعونة والاول اما ان يكون مقروناً بدعوى النبوة أو لا الاول المعجزة والثاني الكرامة والخارق قبل النبوة ارهاص واذا كان الخارق غير مقرون بالايمن والعمل الصالح فلا يخاف ان يكون مقروناً بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتأمل أو لا فالاول السحر والثاني اما ان يكون موافقاً لدعوى أو لا فالاول الاستدراج والثاني الاهانة انتهى هذا ما كان من بيان الفرق بحسب ما ذكره وبقيت أشياء من أعمال الجاهلية كالكهانة والعرافة والطيرة

بالشام في زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة وكان شيطانه يخرج رجلاه من القيد ويمنع السلاح ان ينفذ فيه وكان يرى الناس أشخاصاً ركاناً في الهواء ويقول هي الملائكة وانما هي الجن والشياطين فاما أمسكه المسلمون ليقبضوه طعنه رجل بالرح فلم ينفذ فيه الرمح فقال له عبد الملك انت لم تسم الله تعالى فسمى الله فطعنه فقتله وقوله وأمثاله كسيامة الكذاب الذي كان معه من الجن من يخبره عن الخفيات ويعينه على بعض الحاجات وكالاسود العنسى الذي ادعى النبوة وكان له من الجن من يخبره ببعض الامور الغائبة فلما قابله المسلمون ليقبضوه توهوا من الشياطين ان يخبروه بما يقولون فيه حتى أعانت عليه امرأته حين تبين لها كفره فقتلوه وقد يكون خرق العادة اهانة بان يقع على خلاف الارادة كما نقل ان مسيامة الكذاب دعا لاعوان ان تصير عينه العورة سليمة فصارت عينه الصحيحة عوراء سقيمة (قوله لما انما التقوية في اليقين والرسوخ في الدين) حتى ان كثيراً من الصالحين تعرض عنها ويستغفروا الله ويتوب اليه كما يستغفر من الذنوب ويتوب عنها وقد كان تعرض على بعضهم فيسأل زوالها والمشايخ كلهم كانوا ينفرون المريد من السالكين غاية التنفير من الميل اليها فان السالك القاصد لرؤية الاشياء وحصول الخوارق واقع في شبكة الشيطان فاللازم له ان يخلص نفسه من الميل اليها اذ لا طائل تحتها بل اذا وقعت منه يخاف عليه من الاستدراج ولذا قال بعض الكبار اذا دخل سالك في بستان وقالت طيور أشجار ذلك البستان بالسنة فصيحة السلام عليك يا ولي الله فان لم تفتن انه مكر به ولا أنظم من حيث لا يشعر وهذا التنفير من المشايخ

والطرق والتنجيم والعيافة فهذه كلها كانت من أعمالهم فاما الكهانة فهي الأخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان وادعاء علم الغيب وزعم ان الجن تخبره بذلك وأما العراف فهو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدّمات أسباب يستدل بها على مواقعها وأما الطيرة فقد تقدم ذكرها وأما الطرق بفتح الطاء وسكون الراء فهو عبارة عن زجر الطير فان تيامن تيمن أو أيسر أشاعم ومنه الضرب بالحصى وهو نوع من التكهن وأما علم النجوم فالناس يسمونه ما يدعيه أهله من معرفة حوادث في مستقبل الزمان يزعمون انهم يدركونها بسير الكواكب وهذا دخول في علم الغيب ففي البعض يكون فسقا

عند ظنهم انها كرامات فكيف اذا تعين كونها من الجن والشياطين والكرامة الحقيقية عند كبار الصوفية هي حصول الاستقامة والوصول الى كمالها فالواجب على العبد ان لا يحرص الاعليها ولا يكون له همه الا في الوصول اليها وأما الكرامة بمعنى ظهور الخارق فلا يحتاج اليها الا من كان ضعيف اليقين فاذا حصل له شيء منها يقوى يقينه وأما من كان كامل اليقين فلا يلتفت اليها الاستغناء عنها ولذا كانت الخوارق الخ (قوله فاما الكهانة الخ) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم (قوله وهذا دخول في علم الغيب الخ) قال شارح العقيدة الطحاوية الواجب على ولي الامر وكل قادر ان يسعى في ازالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصا والقرع والقالات ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات أو ان يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في ازالته مع قدرته على ذلك قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يصنعون وهؤلاء الذين يفعلون الافعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع نوع منهم أهل تلييس وكذب وخداع وهم الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له أو يدعي الحال من أهل الحال من المشايخ النصايين والفقراء الكذابين المحتالين فهؤلاء يستحقون العقوبة البايغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلييس وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل لمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات ويطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك ونوع يتكلم بمثل هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر ثم ذكر تفسير السحر وما يترتب على الساحر من الأحكام ثم قال ونوع منهم لهم خبرة بالأحوال الشيطانية والكشوف بالرياضات النفسانية ومخاطبة رجال الغيب وان لهم خوارق تقتضي انهم أولياء الله وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين ويقول ان الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين لكون المسلمين قد عصوا وهؤلاء في الحقيقة اخوان المشركين ثم ذكر اختلاف أهل العلم في حق رجال الغيب الى ان قال

وفي آخر يكون كفر أو العرافة نوع من الكهانة وكذلك العيافة وبالجملة ففي كل ذلك اخبار عن مستقبل ر بما يصادف الواقع وهي اما كفر أو تؤدى اليه على تفصيل في جميعها وبقى من الأمور الخارقة ما يخبر به أهل الرياضات من الكفرة وغيرهم فلو أخبرنا أحد خبرا خارقا للعادة لم نحكم بما صدر منه ان يكون كرامة اذ كثيرا ما تقع مثل هذه الأحوال من الكفرة المشركين وهم أبعد الناس عنها وسبب وقوعها منهم ان الله تعالى قد أجرى العادة بوقوع مسببات عند مباشرة أسبابها وان الله سبحانه يخلفها عندها كما يخلق الرى عند الشرب ومثل ذلك لا يدل على كرامة من صدرت منه فلا بد لكل مسلم ان يحتسب مثل هذه الفروق ليعلم الصادق من الكاذب والمسلم من الكافر فان رأى خارقا على بدر جل صالح قد ظهر صلاحه فليصحبه على وجهه ان يقتدى به وليطلب منه الدعاء ولا يقصر نظره عليه كما هو حال عوامنا فيرجوه ويخشاه ويرى بما يختار صحبتته على كل طاعة لله كأنه قد أمر بطاعته في كل ما يريد وحاشا هذا الصالح ان يامر له إلا بما فيه طاعة مولاه ويرى بما يقدم طاعته على عبادة الله هذا ما عليه أهل هذا الزمان مع ان اللائق بصحبة الصالحين الأخيار السالكين في مسالكهم والاقتباس من أنوار معارفهم المأخوذ كل ذلك من علوم الشريعة الغراء الموزون بميزان المسئلة الحمديّة البيضاء والمقصود من هذا الباب تمييز المجزئة التي هي الآية الكبرى على تصديق الرسل الموجب للايمان بجميعهم فيما مروا به أو نهوا عنه ليسكون جل نظره التبع لأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم فيجري في منهاجهم ويقتبس من سراجهم فتسكون عبادته على صرف الانباع غير مدمثة بالزيغ والابتداع فقهنا الله في الدين ورزقنا اتباع سنة سيد المرسلين آمين

الباب العاشر في بيان الايمان بالرسل الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام

ويان ما يجب ويمتنع عليهم وما يجوز

اعلم انه يجب الايمان بالرسل جميعهم بكونهم صادقين في جميع ما أخبروا به عن الله تعالى وانه سبحانه

والحق ان رجال الغيب هم الجن ويسمون رجالا كما قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ثم قال ومن ظن انهم من الانس فن غلطه وجهله وسبب الضلال فيهم وافتراق الناس فيهم عند الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان الى آخر ما قال (قوله والعرافة نوع من الكهانة) قال البغوي العراف الذي يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل هو الكاهن (قوله ما يخبر به أهل الرياضات من الكفرة وغيرهم) المسماة بالفراسة الرياضية وهي التي تحصل بالجوع والسهو والتخلي فان النفس اذا تجردت عن العوائق والعلائق بالخلائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على الايمان ولا على ولاية ولا عن خلق نافع ولا عن

بعثهم الى عباده ليبلغوهم أمره ونهييه ووعدده ووعيده وأيدهم بالمعجزات الباهرات والآيات
البيّنات فمن ثبت تعيينه وجب الايمان به تفصيلا ومن لم يثبت تعيينه وجب الايمان به اجمالا والاولى
عدم التعرض لعدمهم وان وردت في ذلك أحاديث كثيرة ولكنها لا تنال عموما يوجب الضعف في
الاسناد القاصر عن نيل المراد فمن ذلك ما رواه الطبراني عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله من أول
الأنبياء قال آدم قلت نبي كان قال نبي مكلم وفي سنده ابن لهيعة مختلف فيه ورواه أحمد في مسنده لكنه
بسند ضعيف وفي رواية للطبراني عن أبي ذر بهذا السند قال قلت يا رسول الله أرايت آدم نبي كان قال
نعم كان نبي رسول الله قال له يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وأخرج أبوداود الطيالسي عنه
أيضا ولفظه قلت فأي الأنبياء كان أول يا رسول الله قال آدم قلت أو نبي كان قال نعم مكلم قلت كم كان
المرسلون يا رسول الله قال ثلثمائة وخمسة عشر رجلا غفيرا وأخرج أبو يعلى وابن راهويه ومحمد بن يحيى
ابن أبي عمرو في مسنده وفيه ان الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان الرسل خمسة عشر

طريق مستقيم (قوله بعثهم) البعثة لطف من الله تعالى ورحمة للعالمين لما فيهم من حكم ومصالح
لا تحصى منها معاضدة العقل فيما يستقل بعرفته مثل وجود الباري وعامه وقدرته لتلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل ومنها استفادته الحكمة من النبي صلى الله عليه وسلم فيما لا يستقل به العقل
مثل الكلام والرؤية والمعاد الجسماني ومنها بيان حال الأفعال التي تحسن تارة وتقبح أخرى عن غير
اهتداء العقل الى مواقعها ومنها بيان منافع الأغذية والأدوية ومضارها التي لا تنفي بها التجربة
الابعد أدوار وأطوار مع ما فيهم من الأخطار ومنها اكتميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم
المختلفة في العاميات والعمليات ومنها الأخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا في
الحسنات وتحذيرا عن السيئات الى غير ذلك من الفوائد ولهذا قالت المعتزلة بوجودها على الله تعالى
والفلاسفة بانزومها في حفظ نظام العالم (قوله ووعدده) بنعيمه المقيم (قوله ووعيده) بنار
الجحيم (قوله الباهرات) أي الغالبات يقال بهر القمر الكواكب أي غلب ضوءه ضوءهم
ويقال بهرت فلانة النساء أي غلبتهن في الحسن قاله في الصحاح (قوله وفي سنده ابن لهيعة الخ)
هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر الحافظ وهو مختلف فيه قال
أحمد بن صالح المصري كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلبة للعلم وقال زيد بن الحباب سمعت سفيان
الثوري يقول عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع وقال أحمد بن حنبل من كان بمصر مثل ابن
لهيعة في كثرة حديثه وضبطه واتقانه وقال ابن معين ليس بذلك القوي وقال السيوطي في حسن
المحاضرة عنه وثقه أحمد وغيره وضعفه يحيى القطان وغيره انتهى (قوله وفيه ان الأنبياء مائة ألف
وأربعة وعشرون ألفا) والصحيح كما قال ابن حجر ان حديث كون الأنبياء مائة ألف وأربعة

وثلاثمائة وان آدم أولهم فقد استفيد من هذه الاحاديث رسالة آدم وعدد الرسل والانبياء لسكنى
كانت هذه الاحاديث لا تخلو أسانيدها عن ضعف اختاف في رسالة آدم ولم يطابق العدد عليهم أحد
من العامة على ما عادت وكما يجب الايمان بجميع الانبياء والرسل بذواتهم يجب أيضا الايمان بانهم
أرسلهم الله لهداية خلقه وتسكينهم معاشهم ومعادهم وانهم بلغوا رسالة ربهم وبيّنوا للمسكين
ما أمروا ببيانها وأنه يجب احتراء جميعهم لا تفرق بين أحد منهم في الايمان بهم وأنه تعالى نزههم عن
كل وصمة ونقص فهم معصومون عن الصغار والكبار قبل النبوة وبعدها على المختار ووقع في
قصص يذكروها بعض المفسرين لا يلتفت اليه وما جاء في القرآن من اثبات العصيان لآدم ومن

وعشرين ألفا وحديث كون الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر صحيحان فاعلمه ولا تغتر بذلك ابن الجوزي
له في الموضوعات **(قوله وان آدم أولهم)** والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وهم آدم
وادميس ونوح وهود وصالح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى
وهرون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل وأيوب
ويونس ومحمد وذوالقرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة هذه الثلاثة الأخيرة صلوات الله عليهم
وسلامه أجمعين **(قوله رسالة آدم)** أرسله الله لتكميل أولاده وتعليمهم الشرائع وما جاء في
الحديث من قول الناس لنوح وأنت أول الرسل فالمراد أولهم للدعاء للتوحيد **(قوله والرسل)** من
عطف الخاص لأن من أوحى الله اليه ان أمره بان يبلغ غيره فهو نبي رسول وان لم يأمره بتبليغ غيره
فهو نبي وليس برَسُول فالرسول أخص من النبي لأن الرسالة أعم من جهة نفسها والنبوة جزء من
الرسالة اذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها **(قوله)**
(معصومون) العصمة عند أهل السنة بناء على ما تقتضيه أصولهم من استناد الأشياء كلها الى الفاعل
المختار ابتداء هي ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة بناء على ما ذهبوا اليه من القول بالاجاب
واعتبار استعداد القوابل هي ملكة تمنع الفجور وتحصل هذه الصفة النفسانية ابتداء بالعلم بمثال
المعاصي ومناقب الطاعات وتنشأ كد بتتابع الوحي بالأوامر والنواهي والاعراض عما يصدر منهم
من الصغار وترك الأولى فان الصفات النفسانية تكون في ابتداء حصولها أحوال ثم تصير ملكات
بالتدريج وقال قوم هي خاصية في نفس الشخص أو في بدنه يتمتع بسببها صدور الذنب قال في المواقف
ويكذب هذا القول انه لو كان صدور الذنب ممتنعاً لما استحق المدح بتركه الذنوب وأيضا فلا جاع
منعقد على انهم مكلفون بترك الذنوب مثابون به ولو كان الذنب ممتنعاً عنهم لما كان الأمر كذلك
وأيضا فقوله قل انما أنا بشر مثلكم يوجب الى يدل على مماثلةهم لسائر الناس مما يرجع الى البشرية
والامتنياز بالوحي انتهى **(قوله والكبار)** بجميع أنواعها

معاتبه جماعة منهم على أمور فعلوها فاتهم من باب أن للسيد أن يخاطب عبده بما شاء وإن يعاتبه على خلاف الأولى معاتبه غيره على المعصية كما قيل إن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا خلاف بين العلماء في عصمتهم عن تعدد الكبائر وإنما الخلاف في أن عصمتهم عن ذلك بدليل السمع أو بدليل العقل فالأول مذهب أهل السنة والثاني قول المعتزلة وأما وقوع الصغائر فحوزه البعض والمحققون من المحدثين لم يجوزوا الوقوع الصغائر سهواً وأما الكبائر مطلقاً والصغائر عمداً فلا وعلى ذلك الكثير ويجب الإيمان بعموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس وهو من خواصه وعموم بعثة نوح بعد الطوفان لم تكن في أصل البعثة بل لما حدث من الانحصار فلو ادعى مدع عموم بعثته قبل الغرق متمسكاً بأن الله قد أغرق بالطوفان جميع أهل الأرض الأنوحا ومن معه وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكيف عذب أهل الأرض بالأغراق دون أن يبعث إليهم رسولا إذا لم يكن نوح مرسل إليهم قلنا الجواب أولاً أن المراد في عذاب الآخرة وإن سلم إرادة نفي عذاب الدنيا أيضاً فالمراد في العذاب قبل الأرسال الذي تقوم به الحجة عليهم وإن لم يكن إرسال إليهم

(قوله وإن يعاتبه على خلاف الأولى الخ) فتسميته خلاف الأولى ذنباً في مثل قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك والاعتراف بكونه ظاهراً كما في قصة آدم لعلة لعظمه عنهم أو عندهم لما نقل من أن حسنات الأبرار سيئات المقربين أو قصدوا به هضم أنفسهم وكسر ألبابها بالتركيب ذنباً يحتاج فيه إلى الاستغفار والاعتراف به على سبيل الابتغال والتضرع كي يعفو عنها ربها وأما ما جاء في الأحاديث والآثار فكان منقولاً منها بالآحاد وجب ردها لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء وما ثبت منها تواتراً فإدام له محمل آخر حملناه عليه ونصرفه عن ظاهره لدلائل العصمة وما لم نجد له محيصاً حملناه على أنه كان من قبيل ترك الأولى أو من صغائر صدرت منهم سهواً (قوله والثاني قول المعتزلة) بناء على أصولهم الفاسدة في التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح لأن صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم في القلوب والخطاوت رتبهم في أعين الناس فيؤدي إلى النفرة عنهم وعن الانقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلاق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة (قوله سهواً) إلا الصغائر الخسيسة وهي ما يلحق فاعلها بالارذال والسفل والحكم بالحسنة ودناءة الهمة كسرقة حبة أو لقمة فانها لا تجوز أصلاً لا عمداً ولا سهواً (قوله مطلقاً) أي عمداً أو سهواً (قوله والصغائر عمداً فلا) وهو المختار (قوله وعلى ذلك كثير) من المحدثين والأشاعرة وغيرهم (قوله إلى جميع الناس) وإلى الجن أيضاً (قوله وعموم بعثة نوح) جواب سؤال مقدر (قوله بالطوفان) أي طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل ونحوه

بل الرسول اذا بلغ قومه عن الله بدعائه اياهم الى توحيدوه وعبادته انهم ض تبليغه اياهم بحجة على جميع من وصل اليه انه بلغ قومه ذلك وان المعجزة دلت على صدقه اذ لا فرق في ذلك بين انسان وانسان لكل منهم ما عقل يهتدى به والذاعم الاغراق قوم نوح وغيرهم ممن بلغته الدعوة لانه لبث في قومه يدعوهم الى الله ألف سنة الاخسين عاماتم ان معجزة نبينا الكبرى القرآن العظيم وهو باق دال

(قوله انه بلغ ذلك) لان اعلام الانبياء باهرة للعقول فكما لا يعذر من شاهد هاولم يؤمن وزعم انه يستدل كذلك من سمع خبرها بالبلاغ المطبق الذي لا يحقل الكذب كما ذكر ذلك العلماء (قوله) وان المعجزة دلت على صدقه والمراد من الدلالة الدلالة العادية لا العقلية ولا السمعية قال في شرح للمواقف وهذه الدلالة ليست عقلية محضة كدلالة العقل على وجود الفاعل ودلالة احكامه واتقانه على كونه عالم المصدر عنه فان الأدلة العقلية ترتبط بنفسها بدولاتها ولا يجوز تقديرها غير دالة عليها وليست المعجزة كذلك فان خوارق العادات كانهطار السموات وانثار الكواكب وتذكك الجبال يقع عند تصرف المنياء وقيام الساعة ولا رسال في ذلك الوقت وكذلك تظهر الكرامات على أيدي الأولياء من غير دلالة على صدق مدعى النبوة ولا دلالة سمعية لتوقفها على صدق النبي فيدور بل هي دلالة عادية كما أشار اليه بقوله وهي عندنا اجراء الله تعالى عادته بخاق العلم بالصدق عقيبه أي عقيب ظهور المعجزة فان اظهار المعجزة على يد الكاذب وان كان ممكنا عقلا فاعوام اتفاقه فلا تكون دلالة عليه عقلية لتخلف الصدق عنه في الكاذب بل عادية كسائر العاديات لأن من قال أنا نبي ثم تنق الجبل وأوقفه على رؤسهم وقال ان كذبتموني وقع عليكم وان صدقتموني انصرف عنكم فكما هموا بتصديقه بعد عنهم واذا هموا بتكذيبه قرب منهم علم بالضرورة انه صادق في دعواه والعادة قاضية بامتناع ذلك من الكاذب مع كونه ممكنا عنه امكانا عقليا الشمول قدرته تعالى للمكات باسرها انتهى (قوله ألف سنة الخ) كما قال تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما (قوله القرآن العظيم الخ) وقد اختلف في وجه اعجازه اختلافا كثيرا ولنفقصر على ما قاله القاضي عياض في الشفاء قال اعلم ان القرآن منطوع على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في أربعة وجوداتها حسن تأليفه والتسام كلف وفصاحته ووجوه اعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن والثاني صورة نظمه المعجب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ثم قال وكل من هذين النوعين الاعجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع اعجازه على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما ثم قال الثالث ما انطوى عليه من الأخبار بالمعيبات وما لم يكن فوجد كما ورد الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البادية والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا القدم من أخبار

على صدقه على مرور الدهور وكر العصور والذي وجب على الرسل التبليغ وقد بلغوا كما وجب عليهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم كان كمنذر جيش يقول صبحكم مساكم ولم يزل يجتهد في التبليغ الى جميع الناس فارسل رسلا الى الملوك قاطبة وهو صلى الله عليه وسلم مشاير على مرضاة ربه حتى انه لما حيج جمع الناس فقال للناس هل بلغت قالوا نعم فقال اللهم اشهد يقول ذلك ثلاثا ويستحيل عليهم الكذب والالام يكونوا أمناء وحيه سبحانه وقد علم الله سبحانه منهم الصدق والامانة فاخترهم لتبليغ رسالته وحفظ أمانته وأمرنا بالاعتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم ومن المعلوم ان علمه تعالى محيط بما لا نهاية له فلزم ان تصديقه تعالى لهم مطابق لما علمه منهم وان جميع أقوالهم وأفعالهم على وفق ما يختاره سبحانه ويرضاه لكن تجوز الاعراض البشرية عليهم ولا يقدر ذلك في نبوتهم وعالومنازلهم عند الله بل تزيدها علوا وقدر الان الذي ثبت لهم هو الرسالة لا الألوهية وفي حصول الاعراض لهم وطروها عليهم رفع لدرجاتهم أيضا من غير قدح في رسالتهم ان لا يخل شيء من الاعراض البشرية عنصهم ولا يمنع في حقهم الا ما قدح في ثبوت الرسالة وليس في ذلك الا مضاعفة الأجور وفيها أيضا أعظم دليل على صدقهم عليهم الصلاة والسلام وانهم مبعوثون من عند الله سبحانه وتعالى وان ذلك الخوارق التي ظهرت على أيديهم هي بمحض خلق الله تعالى تصديقاً لهم عليهم الصلاة والسلام ان ذلك كان لهم قوة على اختراعها للدفع واعن أنفسهم ما هو أيسر منها من الأمراض والجوع وألم الحر والبرد وغير ذلك مما سلم منه كثير ممن لم يتصف بالدبوة وفيه أضرار في بعضه فغاء العقول للثلاث

أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتى به على أنه وهو أعمى لا يقرأ ولا يكتب قال فهذه الوجوه الأربع من اعجازه بينة لا نزاع فيها ثم قال ومن وجوه اعجازه كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه ومنها ان قارئه لا يعلمه وسامعه لا يسمعه الى آخر ما قال (قوله وكر العصور) فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه مما أخبر به من الغيبات انه سيكون ويدل على صحة دعواه (قوله يقول) صفة من ذرأ وحال منه أو استئناف ياتي (قوله كمنذر جيش) من الانذار أي معلم الجيش بعد ذلك كمين (قوله صبحكم مساكم) أي العدو وانفعلان بشديد العين للبالغ (قوله والالام يكونوا أمناء وحيه) لانهم أرسلوا ليعلموا الخلق بأقوالهم وأفعالهم فيلزم ان لا يكون في جميعها مخالفة لما رآه الله تعالى الذي اختارهم على جميع خلقه وآمنهم على سروجيه (قوله وحفظ أمانته) فيستحيل ان يكونوا في نفس الامر على خلاف ما علمه الله تعالى منهم (قوله وأفعالهم) فانهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه لانقلب المحرم والمكروه طاعة في حقهم لان الله أمرنا بالاعتداء بهم والله تعالى لا يأمر بمكروه ولا مكروه (قوله علوا وقدر) باعتبار عظم أجرهم

يعتقدوا فيهم الألوهية بما يرون لهم من الخوارق والخواص التي خصهم الله بها ولهذا نذر الله سبحانه
على النصارى قولهم بالألوهية عيسى وأمه بافتقارهما إلى الاعراض البشرية من أكل الطعام وغيره
هذا واعلم أنه قد علم من دين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الذين هم حملة دين الله الإسلام اليان
ضرورية اتباعه صلى الله عليه وسلم من غير توفيق ولا تعاضد ولا نظر أصلا في جميع أقواله وأفعاله
الما قام دلائل على اختصاصه به وكانوا يتبعون أحواله صلى الله عليه وسلم في جاسون إذا جاس
ويخلعون جميع نعالم إذا خلع إلى غير ذلك من الأحوال والأقوال والأفعال وكانوا أيضا يبحثون
عن هيئة جلوسه وكيفية أكله وغير ذلك حتى إن بعض السلف الصالح ترك أكل البطيخ لأنه لم يبلغه
كيفية أكله صلى الله عليه وسلم له ولقد أدار ابن عمر رضي الله تعالى عنهما راحلته في مكان فامسأسل
أجاب بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم أدار راحلته فيه ومن ذلك الاتباع أيضا قول عمر رضي الله
عنه للحجر الأسود لقد علمت أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبلك ما قبلتك وبالجلة فمن تتبع أحوال الصحابة والتابعين وجدهم أحرص الناس على اتباع
النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله والحق أن أفعال الرسل دائرة بين الإيجاب والندب لا غير لان
المباح لا يقع منهم عايمهم الصلاة والسلام بمقتضى الشهوة فقط كما يقع من غيرهم بل لا يقع منهم إلا
مباحا لنية يصير بها قربة وأقل ذلك أن يقصدوا التشرية وذلك من قربة التعليم والمؤمن لو نوى
بمباحاته جميعها مثل ذلك من النيات انقلبت طاعات كما إذا نوى بشومه وأكله وشربه التقوى على

(قوله من أكل الطعام وغيره) كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم
إلى قوله ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانيا أكلان الطعام
وفيه أيضا فائدة عظيمة وهي تشريع الأحكام للأخلق المتعلقة بها كما عرفت أحكام السهو في
الصلاة من سهوه عليه الصلاة والسلام وكيفية أداء الصلاة في حال المرض والخوف من فعله
صلى الله عليه وسلم وهيئة أكل الطعام وشرب الماء من أكله وشربه صلى الله عليه وسلم (قوله
إذا خلع) وينزعون خواتمهم إذا نزع وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام عند ما رأوه صلى
الله عليه وسلم يحاق رأسه وحل من عمرته في قضية الحديبية (قوله حتى إن بعض السلف الصالح)
قال السنوسي وأخذه أحمد بن حنبل رحمه الله وقوله فإنه لما قيل له في ذلك قال يعني من أكله
أنه لم يثبت عندي كيف أكله النبي صلى الله عليه وسلم (قوله فيه) وكذلك لما سأل السائل
عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم إذا هل هلال ذي الحجة وإنما يحرم في يوم
التروية وكونه أنما ياهس الركنتين اليمانيين فاجابه بأنه استند في ذلك كاه لفعاله صلى الله عليه وسلم
(قوله من قربة التعاليم) وناهيك بمنزلة قربة التعليم وفضلها

طاعة الله سبحانه وتعالى فإنه يكون عبادة فكيف يسيد المرسلين الذي فاق بالقيام بحقوق العبودية لما اختارها على الملك على جميع البرية وقد ثبت أنه تفطرت قدماه من كثرة قيامه لمولاه مع ما حباه وأولاه واعلم أيضاً أنه وإن جاز لحوق الأمراض بهم فهمى لا تتعدى أبدانهم الشريفة إلى قلوبهم باعتبار ما فيها من المعارف فلا يحل المرض بشئ منها ولا يكدر عليها صفوها ولا يوجب لهم ضجراً ولا ضعفاً لقواهم الباطنة وكذلك النوم والجوع لا يستوليان على قلوبهم ولهذا كانت تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وكان ينهى غيره عن الوصال في الصوم مع أنه كان يفعل به معلاله باني لست كأحدكم إن ربي يطعمني ويسقيني وفائدة إصابة ظواهرهم بالأمراض ما مر ذكره من تعظيم أجرهم والله قادر على أن يوصل ذلك إليهم من غير ذلك لكنه سبحانه اختار ذلك لحكمة لولم يكن منها إلا ما مر ذكره من زيادة تصديقهم والرفق بضعفاء العقول من تابعيهم لكفى وفي ذلك أيضاً التشريع للامة ليكونوا لهم قدوة فلا يضجروا عند نزول الحوادث وليصبروا كما صبر من هو أفضل وأعلى منهم وليعلموا مقدار الدنيا فلو كانت عند الله سبحانه تساوى أدنى شيء لأفاضها على حبيبه وخاصة من أنبيائه وأوليائه وإذا نظر العاقل بعين بصيرته إلى ما كان عليه الانبياء والمرسلون من انحرافهم عن الدنيا وأخذهم قدر الباطنة منها وكيف كان صلى الله عليه وسلم في مأكله وملبسه وجميع أحواله علم يقيناً أن لا قدر لها عند الله سبحانه وانها بحسب ما أعد الله لعباده من النعيم المقيم كالأقدار عند الأزهار أو كالجيفة في شاطئ الأنهار ومن ينظر بنور إيمانه إلى الجنان كيف يطمئن إلى دارهم ومكابدة الإحزان بل يسعى كل سعيد في طلب رضائه الموجب لاستدراار فضله الذي يتلقى به كل إحسان ويحظى بالجنة الأبديّة في محبوبته الجنان رزقنا الله سبحانه رضاه والجنة وأبعدنا عن موجبات سخطه وعن كل محنة هادين مهدين غير مبدين ولا محرفين آمين

﴿الباب الحادي عشر في بيان كيفية حياة الأنبياء والشهداء ومقرارواهم المقدسة﴾

وما يتبع ذلك ﴿

أخرج أبو يعلى والبيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون

(قوله من المعارف) ولأنوا التي لا يعلم قدرها إلا الله تعالى أنى من غيرهم بها (قوله بشئ منها) ولا بقلامه ظفر (قوله لقواهم الباطنة) أصلاً كما هو موجود كذلك في حق غيرهم فالمرض وإن كان يقع بهم فحدهم البدين الظاهر (قوله عن الدنيا) وعن زخرفها الذي غر كثير من الحقاء (قوله أو كالجيفة الخ) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا ترزق عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرة ماء فينبغي للإنسان أن يكون في الدنيا شبه المسافر المستعجل كما قال صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل

وأخرج أحمد ومسلم في صحيحه والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسري بي على موسى قائماً يصلي في قبره قال المناوي لفظ رواية مسلم مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو يصلي في قبره أي يدعو ويثني عليه ويدكره فالمراد الصلاة اللغوية وقيل المراد الشرعية وعليه القراطي فقال الحديث بظاهره يدل على أنه رآه رؤية حقيقية في اليقظة وأنه حي في قبره يصلي الصلاة التي كان يصليها في الحياة وذلك ممكن ولا مانع من ذلك لأنه إلى الآن في الدنيا وهي دار تعبد فإن قيل كيف يصاون بعد الموت وليس تلك حالة تكليف قلنا ذلك ليس بحكم التكليف بل بحكم الأكرام لهم والتشريف لانهم حبيب لهم في الدنيا الصلاة فلزموها ثم توفوا وهم على ذلك فشر فوا ببقاء ما كانوا يحبونه عليهم فتسكون عبادتهم الهامة كعبادة الملائكة لا تكليفية ويدل عليه خبر يموت المؤمن على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولا تدافع بين هذا وبين رؤيته أياه تلك الليلة في السماء لأن للأنبياء مراتع ومسارح يتصرفون فيها ثم يرجعون أولان أرواح الأنبياء بعد مفارقة البدن في الرفيق الأعلى ولها اشراف على البدن وتعلق به يتكئون من التصرف والتقرب بحيث يرد السلام على المسلم وهذا التعلق رآه صلى في قبره ورآه في السماء فلا يلزم كونه موسى عرج به من قبره ثم رده إليه بل ذلك مقام روحه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح كما أن نبينا بالرفيق الأعلى وبدنه في ضريحه يرد السلام على من يسلم عليه ومن كثف ادراكه وغلظ طبعه عن ادراك هذا فإنه ينظر إلى السماء في علوها وتعلقها وتأثيرها في الأرض وحياة النبات والحيوان وإلى النار كيف تؤثر في الجسم البعيد مع ان الارتباط الذي بين الروح والجسد أقوى وأتم والطف واذ تأملت هذه الكلمات علمت ان الحاجة إلى التكلمات البعيدة التي منها ان هذا كان رؤية منام أو تمثيل أو اخبار عن وحى لا رؤية عين انتهى وقال الحافظ زين الدين بن رجب في كتاب أهوال القبور قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعماله الصالحة في البرزخ وان لم يحصل له بذلك ثواب لا تقطاع عمله بالموت لكن انما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاقته كما يتنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة في الجنة وان لم يكن على ذلك ثواب لان نفس الذكر بالطاعة أعظم نعيماً عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا فالتنعم المتعممون بمثل ذكر الله انتهى وقد جعل الله الشهداء أحياء عند رزقون وهم بحسب رؤيتنا يتشعظون في الدماء ولا مخالفة في ذلك اذ لو كانوا في رؤيتنا كما أخبر الله عنهم لا ترتفع الايمان بالغيب قال السبكي عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلاً عن الشهداء وانما النظر في استقرارها في البدن وفي ان البدن يصير حياً بها كحالته في الدنيا أو حياً بدونها وهي حيث شاء الله فان ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي فهذا أي ان البدن يصير بها حياً كحالته في الدنيا مما يجوز العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكر جماعة من العلماء يشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي جسداً حياً وكذلك الصفات المذكورة

في الانبياء ليلية الاسراء صافات الاجساد ولا يلزم من كونها حياة حقيقة ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي نشاهد بها بل يكون لها حكم آخر وأما الادراكات كالعلم والسمع فلا شك ان ذلك ثابت لهم ولسائر الموتي وقال غيره اختلف في الحياة هل هي للروح فقط أو للجسد معها بمعنى عدم البلاء له على قولين وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد الانبياء بعد ما قبضوا ردت اليهم ارواحهم فهم احياء عند ربهم شهداء وقال ابن القيم في مسألة تزاور الارواح وتلاقيها الارواح قسمان منعمة ومعذبة فأما المعذبة فهي في شغل عن التزاور والتلاقى وأما المنعمة المرسله غير المحبوسة فتتلاقى وتزاور فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى فان قيل قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء كيف يكونون أمواتا احياء قلنا يجوز ان يحياهم الله في قبورهم وأرواحهم تكون في جزء من أبدانهم يحس جميع بدنه بالنعيم واللذة لا جل ذلك الجزء كما يحس جميع بدن الحي في الدنيا يروده أو سحرارة تكون في جزء من أجزاء بدنه وقيل المراد أجسامهم لا تنبلى في قبورهم ولا تنقطع أوصالهم فهم كالأحياء في قبورهم وقال أبو حيان في تفسيره عند هذه الآية اختلف الناس في هذه الحياة فقال قوم معناها بقاء ارواحهم دون أجسامهم لما شاهد فسادها وفناءها وذهب آخرون الى ان الشهيد حي الجسد والروح ولا يقدح في ذلك عدم شعور ربا به

(قوله حكم آخر) فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم (قوله في شغل) فيما هي فيه من العذاب (قوله وتزاور) وتساوا كما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا (قوله الذي هو على مثل عملها) قال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فان المرء مع من أحب في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء وقد وردت السنة بذلك كما روى ابن أبي الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجد اشديدا فقالت يا رسول الله لا يزال الهالك يهلك من بني سامة فهل يتعارف الموتي فأرسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤس الشجر وكان لا يهلك هالك من بني سامة الا جاءته أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام وقد وردت أحاديث كثيرة بان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتي للروح التي تخرج اليهم كيف كان ما وراءك وفي أي الجسد كنت في طيب أم خبيث وماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فإذا سأله عن رجل مات قبله قال انه قدم مات قبلي قالوا ان الله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية (قوله بل احياء عند ربهم) يرزقون

فنجن نراهم على صفة الاموات وهم أحياء كما قال سبحانه وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكما ترى النائم في هيئته وهو يرى في منامه ما يتنعم به أو يتألم قلت ولذلك قال تعالى بل أحياء ولكن لا تشعرون فنبه بقوله ذلك خطا بالمؤمنين على انهم لا يدركون هذه الحياة بالمشاهدة والحس وبهذا يتميز الشهيد عن غيره ولو كان المراد حياة الروح فقط لم يحصل له تمييز عن غيره لمشاركة سائر الاموات له في ذلك ولعلم المؤمنين بأسرهم حياة كل الارواح فلم يكن لقوله ولكن لا تشعرون معنى وقد كشف الله لبعض أوليائه في شاهد ذلك وقد اختلفت الروايات في تعيين مقر ارواح الشهداء ففي بعضها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل تحت العرش وفي بعضها على بارق بواب الجنة يخرج اليهم رزقهم من الجنة وفي بعضها في قباب في رياض بغناء الجنة وفي بعضها تعلق من ثمر الجنة أى تأكل العلقة وهي ما يتبلغ به من العيش وفي بعضها عن ارواح المؤمنين انها في حواصل طير خضر أيضا وانها تعلق أيضا وفي بعضها عن ارواح الشهداء في حواصل طير بيض وعن ارواح المؤمنين في عليين وورد أيضا في السماء السابعة وفي برزخ من الارض بين السماء والارض وورد باربعاء وبرزخ من قال ابن القيم مسئلة الارواح بعد الموت عظيمة

والآية نزلت في شهداء أحد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (قوله جامدة) ثابتة في مكانها (قوله مر السحاب) في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها (قوله الشهداء) جمع شهيد فعيل بمعنى مفعول لانه مشهود له بالجنة أو يبعث وله شاهد بقتله وهو دمه أو بمعنى فاعل لأن روحه تشهد الجنة قبل غيره (قوله تحت العرش) كما في حديث عبد الله بن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم يعني يوم أحد جعل الله ارواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل مظللة في ظل العرش رواه الامام أحمد وأبو داود وبمعناه في حديث ابن مسعود رواه مسلم فانهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبدانا خيرا منها تكون فيها الى يوم القيامة ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان أكل من تنعم الأرواح المجردة عنها (قوله من الجنة) كما في حديث ابن عباس الآتي (قوله تعلق) روى بفتح اللام وهو الأكثر ويروى بضم اللام والمعنى واحد وهو الأكل والرعى يعني تأكل من ثمار الجنة وتسرح بين أشجارها والعلوقة والعلاق والعاقوق الأكل والرعى تقول العرب ماذا اليوم عاقوق أى طعما قال الربيع بن زياد يصف الخيل

ومجنبات ما يذقن علوقه * يعضن بالمهراث والامهار

(قوله من ثمر الجنة) كما في رواية ابن عباس (قوله طير بيض) كما في رواية معمر عن قتادة

لا تتلقى الامن السمع وقد قيل ان ارواح المؤمنين كلهم في الجنة الشهداء وغيرهم اذ لم تحبسهم كبيرة
 لظاهر الاحاديث ولقوله تعالى فاما ان كان من المقر بين فروح وريحان وجنة نعيم قسم الارواح
 عقب خروجها من البدن الى ثلاثة مقر بين واخبارنا في جنة نعيم واصحاب يمين وحكم لها بالسلام
 وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة واخبارنا طائر لا من جيم وتصلية حجيم وقال تعالى
 يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الى قوله وادخلي جنتي قال جماعة من الصحابة والتابعين
 انه يقال لها عند خروجها من الدنيا على لسان الملك بشارة وقال ابن خزم في طائفة مستقرها حيث
 كانت قبل خلق اجسادها أي عن يمين آدم وشماله وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى واذ
 اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية فصيح ان الله
 خلق الارواح جملة واخبر صلى الله عليه وسلم ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما
 تناكر منها اختلف واخذ الله عهدا وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل ان تؤمر
 الملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يدخلها في الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها حيث

(قوله اذ لم تحبسهم كبيرة) ولادين ويلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم وهذا ما ذهب اليه هريرة
 وعبد الله بن عمر وقوله لظاهر الاحاديث كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت صاحبكم
 محبوسا على باب الجنة وغيره من الاحاديث (قوله فاما ان كان) أي المتوفى وقوله فروح فله
 استراحة وقوله وريحان ورزق وقوله وجنة نعيم ذات تنعم (قوله من البدن) بالموت (قوله
 وحكم لها بالسلام) قال تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين (قوله
 وتصلية حجيم) كما قال تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من جيم وتصلية حجيم (قوله
 المطمئنة) وهي التي اطمانت بذكر الله (قوله الى ربك) الى امره وموعده بالموت راضية بما
 اوتيت مرضية عند الله فادخلي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم (قوله بشارة)
 لاينا في ذلك قول من قال ان هذا يقال لها في الآخرة لأنه يقال لها ذلك عند الموت وعند البعث
 وأول بشارة الآخرة عند الموت (قوله في طائفة) أي معها (قوله من ظهورهم الآية) أي اقرأها
 وهي ذريتهم أي اخرج من اصلاهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن واشهدهم على انفسهم
 ألسنتهم قالوا بلى (قوله ثم صورناكم الآية) أي ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا
 ابليس لم يكن من الساجدين (قوله جنود مجندة) أي جوع مجموعة كما يقال ألوف مؤلفة (قوله
 فما تعارف منها ائتلف) أي كل روح شارك الآخر في المعرفة ائتلف بيانه انه تعالى عرف ذاته
 الارواح بنوعيته فعرفها بعض الارواح بالفقر والجلال وبعضها باللف والجمال وبعضها بالصبر ثم
 استنقطها بقوله ألسنتهم اخرجكم ثم اودع الارواح في الاجساد (قوله وما تناكر منها اختلف) أي كل

شاء وهو البرزخ الذي ترجع اليه عند الموت ثم قال فصيح ان الأرواح أجسام حاملة لا عرضها من التعارف والتناكر وانها عارفة بميزة فيبأوهم الله في الدنيا بما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره ثم قال هؤلاء يمينه في العلو والسعة وهؤلاء يساره في السفلى والسجن وتجل أرواح الأنبياء والشهداء الى الجنة وقيل هي على أفنية قبورها وقال ابن القيم أيضا وهذا القول ان أريد به انها لازمة للقبور لا تفارقها فهو خطأ يرد به الكتاب والسنة وعرض المقعد لا يدل على ان الروح في القبر ولا على فنائه بل على ان لها اتصالا به يصح ان يعرض عليها مقعدها فان للروح شأن آخر فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة في البدن بحيث اذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك وهذا جبريل عليه السلام رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ستائة جناح منها جناحان سد الأفق وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه الى ركبتيه وكفيه على خديه وقلوب المخلصين تنسع للإيمان بان من الممكن انه يدنيه منه وهو في مستقره من السموات ثم قال وانما يأتي الغلط من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح من جنس

روح لم يشارك الآخرة في المعرفة المذكورة اختلف أي قلبه مع قلب الآخرة ان تقارب جسدا هما اذا الائتلاف والاختلاف للقلوب (قوله عند الموت) ففيه الاخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها على الأجساد أي انها خلقت أول خلقها على قسمين من الائتلاف والاختلاف كالجنود المجموعة اذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة والأخلاق في مبدأ الخلق يقول ان الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتألف وتختلف على حسب ما خلقت عليه ولهذا ترى الخير يحب الأخيار ويميل اليهم والشرير يحب الأشرار ويميل اليهم (قوله عن يساره) وذلك عند منقطع العناصر (قوله الى الجنة) قال ابن خزم وهذا قول جميع أهل الاسلام قال وهذا هو قول الله تعالى فاصحاب الميمنة واصحاب الميسرة المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين وقوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الى آخرها فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها في الأجساد ثم رجوعها الى البرزخ وتقوم الساعة ويعيد الله عز وجل الأرواح الى الأجساد ثانية وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفرق في السعير مخلدين فيها أبدا انتهى (قوله على أفنية قبورها) وقد ذهب الى هذا جماعة منهم أبو عمرو بن عبد البر (قوله ولا على فنائه) أي دائما من جميع الوجوه (قوله به) أي بالقبر وفنائه (قوله وهي في مكانها هناك) كروح نبينا صلى الله عليه وسلم وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى

ما يعهد من الأجسام التي اذا اشغلت مكانا لم يكن ان تكون في غيره وهذا غلط محض وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هناك في مثال البدن ولها اتصال في البدن بحيث يصلي في قبره ويرد على من يسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فان شأن الأرواح غير شأن الأبدان وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض وان كان غير تام المطابقة من حيث ان الشعاع انما هو عرض للشمس وأما الروح فهي تنزل وأما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء ليلة الاسراء في السموات فالصحيح انه رأى الأرواح في مثال الأجساد مع ورود انهم أحياء في قبورهم يصلون ثم قال وهذا مع القطع بان روحه في أعلى عليين أو الجنة أو السماء وان لها بالبدن اتصالا بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ وانما يستغرب هذا الكون الشاهد الديوي ليس فيه ما يشابه هذا وأما البرزخ والآخرة على غير هذا المألوف في الدنيا انتهى وقال في موضع آخر للروح بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الاول في بطن الأم الثاني بعد الولادة الثالث في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه الرابع في البرزخ فانها وان كانت فارقة بالموت فانها لم تفارقه فراقا كاملا بحيث لم يبق اليه التفات الخامس تعلقها يوم البعث وهو أكمل أنواع التعلقات ولا نسبة لما قبله اليه اذ لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا ثم سرد الأقوال فقال ولا يحكم على قول من هذه الأقوال بعينه بالصحة ولا بالبطالان بل الصحيح ان الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الأدلة فان كلا

قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة والسابعة فاما ان تكون سرية الحركة والانتقال تسير ككبح البصر واما ان تكون متصلة بالقبر وفنائها كشعاع الشمس وجرمها في السماء (قوله انتهى) وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها ياتيهم من روحها ونعيمها ورزقها وقال مالك بلغني ان الروح مرسله تذهب حيث شاءت وقال الامام أحمد أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة وقالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزيدوا على ذلك وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين ان أرواح المؤمنين بالجانية وأرواح الكفار يرهوت بسير بحضر موت وقال كعب أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت خادابليس وقالت طائفة أرواح المؤمنين بيثر زمزم وأرواح الكفار بيثر يرهوت وبقيت أقوال أخر أعرضنا عنها وعن دلائل أصحاب هذه الأقوال خوف الاطالة (قوله متغايرة) أي في الأحكام (قوله في بطن الأم) أي جنينا (قوله في البرزخ) هو الحاضر بين كل سيئين وهو هنا ما بين الدنيا والآخرة (قوله بحيث لم يبق اليه التفات) البتة (قوله لما قبله) من أنواع التعلق (قوله ثم سرد الأقوال) في مستقر الروح وما أخذ أربابها

منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة فمنها أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جيعهم فان منهم من يحبس عن دخول الجنة ككافي حديث البارقي ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس ومنهم من يكون محبوبا في قبره كحديث صاحب الشملة ومنهم من يكون محبوبا في الأرض لم تصل روحه إلى الملاء الأعلى فانها كانت روحا سفلية أرضية فان النفس الأرضية لا تتجمع النفس السمائية كما انها لا تتجمعها في الدنيا فالروح بعد المفارقة تلحق بأصحاب أعمالها ومنها أرواح تسكون في تنور الزناة وأرواح في نهر الدم إلى غير ذلك فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقروا جدوكها على اختلاف محالها وتبين مقارها لها الاتصال بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم أو العذاب ما كتب له انتهى وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد كلام على

(قوله كافي حديث ابن عباس) أي المتقدم وكافي المسند عن محمد بن عبد الله بن مجش أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالي أن قتلت في سبيل الله قال الجنة فلما ولى قال ألا أندي سارني به جبريل آنفا وكأورد في الحديث الآخر أيت صاحبكم محبوبا على باب الجنة (قوله صاحب الشملة) التي غلبها ثم استشهد فقال الناس هنيئاً له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده أن الشملة التي غلبها تشتعل عليه نار في قبره (قوله وأصحاب عملها) والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفتها ومحبتها وذكره والانس به لتقرب اليه هي أرضية لا تسكون بعد المفارقة لبيدنها إلا هناك كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة (قوله في نهر الدم) كافي الحديث الطويل الذي رواه البخاري عن سمرة بن جندب فان منه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاني ناعلى مثل التنور فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطعن فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم بأنيهم لهب منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا فقال قلت ما هؤلاء قال انطلق انطلق فانطلقنا فاني ناعلى نهر أحر مثل الدم فاذا في النهر رجل يسبح واذا على شط النهر رجل قد جع عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا قلت لهم ما هذا ان قالوا لا انطلق انطلق ثم قال له في الجواب في آخر الحديث أما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ولهم الحجارة فانه آكل الربا (قوله إلى غير ذلك) مما وردت به السنة (قوله فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقروا جد) بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن

نحو ما تقدم ومع ذلك فاذا نقل الميت من قبر الى قبر فالانصال المذكور مستقر وكذا الوتفرقت الاجزاء
انتهى قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أماليه في قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء فان قيل الاموات كلهم كذلك فالجواب ان الكل ليس كذلك لان الموت عبارة عن
ان تنزع الروح عن الاجساد لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية أى يأخذها وافية من
الاجساد والمجاهد تنقل روحه الى طير أخضر فقد انتقل من جسد الى آخر بخلاف غيره فان أرواحهم
تنفى من الاجساد وأما حديث كعب نسمة المؤمن فهذا العموم محمول على المجاهدين لانه قد ورد ان
الروح في القبر يعرض عليها مقعدهما من الجنة والنار ولا تأمرنا بالسلام على أهل القبور ولولا
الارواح لما أمرنا بالسلام عليهم قال الامام السيوطي اختار في أرواح الشهداء انها تكون في طير لا
انها نفسها طير كما عليه غيره ويؤيده ما ورد عن ابن عمر انها تركب في جسد آخر وهو وان كان موقوفا
فله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الراى وقد رأيت له شاهدا من فروعها انتهى وقال ابن القيم
لا منافاة بين حديث انه طائر يعلق في شجرة الجنة وبين حديث عرض المقعد بل ترد روحه أنهار الجنة
وتأكل من ثمارها ويعرض عليه مقعده لانه لا يدخله الا يوم الجزاء بدليل أن منازل الشهداء يومئذ
ليست هي التي تأوى اليها أرواحهم في البرزخ فدخلوا الجنة التام انما يكون للانسان التام روحا وبدنا

الأرض (قوله وافية من الأجساد) بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها (قوله من جسد الى
آخر) فان قلت فهذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في أبدان غير أبدانها التي كانت في اقلت
هذا المعنى دلت عليه السنة الصريحة فهو حق يجب اعتباره ولا يبطله تسمية المسمى له تناسخا وأما
الباطل هو ما يقوله أعداء الرسل من الملاحدة الذين ينكرون المعاد فانهم زعموا ان الارواح تصير
بعد مفارقة الأبدان الى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي تناسبها وتشاكلها فاذا افارقت
هذه الأبدان انتقلت الى أبدان تلك الحيوانات لتتعمق فيها وتعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان اخر
اتناسبها وهكذا أبدأ فهاذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما
تفقت عليه الرسل من أولهم الى آخرهم وهو كفر بالله واليوم الآخر (قوله وأما حديث كعب) ابن
مالك الذي أخرجه في الموطأ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة
الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله نسمة المؤمن أى روحه (قوله فهذا العموم محمول
على المجاهدين) قال شارح العقيدة الطحاوية فقوله نسمة المؤمن نعم الشهيد وغيره ثم خص
الشهيد بان قال هي في خوف طير خضر ومعامها اذا كانت في خوف طير صدق انها طير فتدخل
في عموم الحديث بهذا الاعتبار (قوله ليست هي التي تأوى اليها أرواحهم في البرزخ) فهم يرون
منازلهم ومقاعدهم من الجنة ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة في العرش كما تقدم (قوله

ودخول الروح فقط أمر دون ذلك وفي بحر الكلام للنسفي الأرواح على أربعة أوجه أرواح
الأنبياء تخرج من جسد هاوتصير مثل صورتها مثل المسك والكافور وتكون في الجنة تأكل
وتشرب وتنعم وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح الشهداء تخرج من جسد ها
وتكون في أجواف طير خضر تأكل وتنعم وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح
الطباعين من المؤمنين برض الجنة لا تأكل ولا تمتنع ولكن تنظر في الجنة وأرواح العصاة من
المؤمنين تكون بين السماء والأرض في الهواء وأما أرواح الكفار فتكون في سجين في جوف
طير سود تحت الأرض السابعة وهي متصلة بأجساد ها فتعذب الأرواح وتتألم الأجساد كالشمس في
السماء ونورها في الأرض انتهى وحكي عن طائفة من المتكلمين أن الأرواح تموت بموت الأجساد
ونسب إلى المعتزلة وقال به جماعة من فقهاء الأندلس منهم عبد الأعلى بن وهب ومن متأخريهم جماعة
كالسهريلي وأبي بكر بن عري و قد اشتد نكير العلماء على هذه المقالة فأنها قول أهل البدع
والنصوص الكثيرة المدالة على بقاء الأرواح بعد مفارقة الأبدان ترد ذلك وتبطله والفرق بين حياة
الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين أحدهما أن أرواح الشهداء
يخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم
الأرواح المجردة عن الأجساد فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله فعوضوا عنها بهذه
الأجساد في البرزخ والثاني أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت في حقهم مثل ذلك وإن جاء أنهم
يعلقون في شجر الجنة فقيل معناه التعلق وقيل الأكل من الشجرة وبكل حال فلا يلزم مساواتهم
للسهداء في الكمال النعيم وفي هذا الباب فوائد منها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تأكل الأرض
أجسادهم الشريفة بل هم ضريون على ما كانوا عليه في الدنيا وكذلك ما ورد فيه مثل ذلك تؤمن به
ومنها أن الأولى المسالك عن الكلام في الروح لأنها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت عامه البشر

ودخول الروح فقط أمر دون ذلك ونظيره أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوا وعشيا
فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ فنعم الأرواح
بالجنة في البرزخ شيء وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر فغذاء الروح من الجنة في البرزخ
دون غذائهم بعد نهائهم البعث ولهذا قال تعلق في شجر الجنة أي تأكل العلقة وأما حمام الأكل
والشرب واللبس والتمتع فأنما يكون إذا ردت إلى أجساد ها يوم القيامة فظهر أنه لا يعارض هذا
القول من السنة شيء وإنما السنة تعاضده وتوافقها (قوله أن الأرواح تموت بموت الأجساد)
واستدلوا على موتها بانها نفس وكل نفس ذاتة الموت قالوا وقد دلت الأدلة على أنه لا يبقى إلا الله
وحده قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وقال كل شيء هالك إلا

فوقوف علمنا عن ادراك حقيقة الروح كوقوفه عن ادراك سر القدر ومنها ان أكثر المسلمين على ان الروح جسم لطيف لوصفها في الآيات والاحاديث بصفات الاجسام والاعراض ليست بهذه الصفات والالقام العرض بالعرض وهو فاسد

وجهه قالوا اذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت وقد قال تعالى عن أهل النار انهم قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال مونة الاولى هي المشهورة للبدن والأخرى للروح وأجيب عن ذلك بان الأرواح مستثناة في قوله تعالى الامن شاء الله من عموم كل من عليها فان وكل شئ هالك الا وجهه كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وأما قول أهل النار فتفسيرها الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى فكيف نكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكانوا أمواتا وهم نطف في اصلا بآبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك امانة أرواحهم قبل يوم القيامة قال ابن القيم والصواب ان يقال ان موت النفوس مفارقتها لأجسادها وخرجها منها فان أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان أريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدا محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب انتهى (قوله فوقوف علمنا عن ادراك حقيقة الروح كوقوفه عن ادراك سر القدر) قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (قوله على ان الروح جسم لطيف) نوراني علوي حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ويسرى فيها سر يان الماء في الورد والدهن في الزيتون فإدامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف ساريا في هذه الاعضاء وأقادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية واذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارقت الروح البدن وانفصل الى عالم الأرواح (قوله بصفات الأجسام) كما في قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها الآية ففيها الاخبار بتوفيتها وامساكها وارسالها وقوله تعالى ولوترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ففيها بسط الملائكة أيديهم لنا ولها ووصفها بالاخراج والخروج والاخبار بعذابها بعد ذلك والاخبار عن مجيئها الى ربها الى غير ذلك من الصفات المذكورة في الآيات والاحاديث كتوفيتها بالليل وبعثها الى أجسادها بالنهار وتوفي الملائكة لها عند الموت والرجوع والدخول والرضى والصعود وغير ذلك من الصفات الدالة على انها جسم خفيف (قوله وهو فاسد) بل ممتنع كما ذهب اليه جمهور المتكلمين متمسكا بوجهين الأول ان معنى قيام العرض بالمحل انه تابع له في التحيز فإيقوم به العرض يجب ان يكون متحيزا بالذات ليصح ككون الشئ تبعاله في التحيز والمتحيز بالذات ليس الا

ومنها وهو الصحيح ان الروح والنفس شيء واحد وقال كثير ومنهم ابن عبد السلام ان في الجسد روحين احدهما روح الية فظة والاخرى روح الحياة وقد سمي بعضهم روح الحياة نفسا وفي ذلك كلام كثير واستدل غزير لاني هذه الجملة يسطه ومنها ان الروح في القلب وبه جزم الغزالي وأورد له الامام السيوطي حديثا يستأنس به ومنها ما أجمع عليه أهل السنة من ان الروح

الجوهر الثاني لو قام عرض بعرض فلا بد في الآخرة من جوهر ينتهي اليه سلسلة الاعراض ضرورة امتناع قيام العرض بنفسه وحينئذ فقيام بعض الاعراض بالبعض ليس أولى من قيام الكل بذلك الجوهرين هذا أولى لأن القائم بنفسه أحق بان يكون محلا مقوماً له حال ولأن الكل في حيز ذلك الجوهر ثبالة وهو معنى القيام وجوز الفلاسفة قيامه به والجواب عن دلائلهم وبيان بطلانها ودفع ما عترضوا به على المتكلمين مبسوط في الكتب الكلامية (قوله ان الروح والنفس شيء واحد) وعليه الجمهور (قوله لاني به هذه الجملة) ولكن ننقل ما قاله ابن القيم قال ونحن نكشف سر المسئلة بحول الله وقوته فنقول النفس تطلق على أمور أحدها الروح قال الجوهرى النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراشة

نجاسات الماء والنفس منه بشدة * ولم ينسج الا جفن سيف ومثزر

أى بجفن ومثزر والنفس الدم يقال سالت نفسه وفي الحديث ما لا نفس له سائلة لا ينسج الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بنى تميم أذخاوا * ألياتهم تأمور نفس المنذر

والتأمور الدم والنفس النعمين يقال أصابت فلانا نفس أى عين والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملة ما كقوله تسلموا على أنفسكم وقوله ولا تقتلوا أنفسكم وقوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله كل نفس بما كسبت رهينة وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة وقوله أخرجوا أنفسكم وقوله ونهى النفس عن الهوى وقوله ان النفس لأمارة بالسوء وأما الروح فلا تطلق على البدن بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن الذى أوحاه الى رسوله قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وعلى الوحى قال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق وسمى ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن وسميت النفس روحا لخصول الحياة بها وسميت نفسا لما من الشيء النفس لنفاستها وشرفها وأما من تنفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمي الدم نفسا لأن خروجه الذى يكون معه الموت بلا دم خروج النفس وان الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس انتهى ملخصا (قوله

مخلوقة محدثة ومنها الاختلاف الواقع في خالق الارواح قبل الاجساد أم بعدها عند نفخها فيها
والاول هو المشهور المذكور ومنها بقاء الروح بعد موت البدن وتكون مستنادة في قوله تعالى الا
من شاء الله من عموم كل من عليها فان كما قيل في الحور العين وفيه مباحث كثيرة والمقصود منه بيان
كيفية الحياة ومقر الارواح وهو متحصل عما نقلته لك فذل ذلك لا يؤخذ الا من السمع ولا مجال فيه
للعقل فيجب الايمان به على حسب ما ورد ولا تعرض لما فيه لدور بنا آمنة بما أنزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين

الباب الثاني عشر في أحكام زيارة القبور وما فيها من صدق وزور وفي بعض التعرض لحكم
شد الرجال اليها وما في حكم ذلك من أحكامها ومحظوراتها

روى بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها في هذا
الحديث تصريح بوقوع النهي في صدر الاسلام عن زيارتها لكونها مبدأ عبادة الاصنام وكان
ابتداء ذلك الداء انضال في قوم نوح النبي عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله سبحانه به في كتابه فقال
تعالى قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يرزده ماله وولده الا خسارا ومكرا مبكرا وقلوا
لا تذرنا آلهتهم ولا تذرنا ودانا ولا سوا عاولا يغوث ويعوق ونسرا قال ابن عباس وغيره من السلف

مخلوقة محدثة) اذ لا قديم عندهم الا الله وصفاته عندهم أنبتنا زائدة على ذاته لكنهم اختلفوا في
انها هل تحدث مع حدوث البدن أو قبله فقال بعضهم تحدث معه لقوله تعالى بعد تعدا أطوار البدن
ثم أنشأناه خلقا آخر والمراد بهذا الانشاء افاضة النفس على البدن وقال بعضهم بل قبله لقوله صلى الله
عليه وسلم خلق الله الارواح قبل الاجساد بان في عام قال في المواقف وشرحه وغاية هذه الأدلة الظن
دون اليقين الذي هو المطلوب أما الآية فالجواز أن يريد بقوله ثم أنشأناه جعل النفس متعلقة به
وانما يلزم من ذلك حدوث تعاقب الاحداث ذاتها وأما الحديث فلانه خبر واحد فعارضه الآية وهي
مقطوعة المان مظنونة الدلالة والحديث بالعكس فكل رجحان من وجه فيتقوا مان انتهى وأما
الفلاسفة فانهم قد اختلفوا في حدوثها فقال به ارسطو ومن تبعه ومنعه من قبله وقال بقدمها (قوله
بعد موت البدن) منعمة أو معذبة (قوله في الحور العين) وغيرهم من أهل الجنة ومن في النار
من أهل العذاب وخرتها (قوله وفيه مباحث) أي في هذا الباب (قوله مع الشاهدين)
بوحدانيتك (قوله انهم عصوني) فيا أمرتهم (قوله الا خسارا) أي اتبعوا رؤساءهم
البعثين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارتهم في الآخرة (قوله بكارا)
أي كثيرا في ابدائه واحتياهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح (قوله لا تذرنا آلهتهم)
أي عبادتها (قوله ولا سوا عاولا) روى محمد بن جرير باسناده الى الثوري عن موسى عن محمد بن

والسبب الذي ورد عاياه لفظ الخبر يتناول الكافر والعالة موجودة في ذلك كله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم فهذا المعنى يختص بالمسلمين انتهى وإذا رأيت هذا الاذن لم تجده في جميع رواياته مطلقا بل مقيدا بالنهي عما هو مخالف لما حمل الشارع على الاذن فيه من التعليل الذي هو المقصود من هذه الاباحة وقد علمنا صلى الله عليه وسلم كيفية الزيارة كما روى بريدة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا سلف ونحن لكم تباع نسأل الله لنا ولكم العافية وروى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أقول يا رسول الله في زيارة القبور قال قلوا السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله عن قريب لاحقون وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم مر بقبور المدينة فأقبل عليهم فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالآثر فانه صلى الله عليه وسلم بين لنا فائدة زيارة القبور وهي احسان الزائر الى نفسه والى أهل القبور أما احسانه الى نفسه فتذكر الموت والآخرة والزهد في الدنيا والاعتناظ والاعتبار وأما احسانه الى أهل القبور فبالسلام عليهم كما كانوا في حال حياتهم والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية لهم من جميع محنهم فانظر كيف مهد لنا صلى الله عليه وسلم أصول هذا الأمر الذي أباحه لنا

(قوله البقيع) بفتح الموحدة وكسر القاف وسكون التحتية مقبرة أهل المدينة (قوله فهذا المعنى يختص بالمسلمين) كما روى ذلك مسلم في صحيحه (قوله يا أهل الديار) المراد بالديار المقابر وهو جائز لغة قال الخطابي انه يقع على الربع العامر المسكون والخراب وأنشد على ذلك قول النابغة يادارمية بالعلياء والسند * أقوت وطال عليه اسالف الأمد

وأقوت الدار خلت (قوله وانا ان شاء الله بكم لاحقون) قيل التقييد بالمشيئة على سبيل التبرك وامتنال أمر الله تعالى وقيل بل الى تلك التربة بعينها (قوله سلف) بفتح حين قيل سلف الانسان من تقدمه بالموت من أقربائه وأقرانه والحاصل انكم مقدمون علينا في هذا السفر (قوله تباع) بفتح حين أي تابعين على أعقابكم (قوله العافية) أي من العقوبة في الدنيا والآخرة رواه مسلم في صحيحه (قوله المتقدمين منا ومنكم) بالموت (قوله والمستأخرين) أي منا بالحياة (قوله لاحقون) رواه مسلم (قوله عن قريب لاحقون) رواه مسلم (قوله فاقبل عليهم) بوجهه (قوله بالآثر) رواه الامام أحمد والترمذي وحسنه والاثربفتح حين وفي رواية بكسر فسكون

بجميع أموره ولم يبق لنا شعبة تشبث بها خوفاً علينا من كيد الشيطان وشروده فإن الشريك بقبر
 الرجل المعروف بالصلاح أقرب إلى النفس من الشريك بالاجار لما أن الشيطان من دسائس يلقبها
 في قلوب بني آدم وقد أدخلها في قلوب ربه منهم أنها شرعيات وهن تمويهات ثم إذا ألغوها لم تذكر أن
 تفارقها النفوس ولو قطعت بالسيوف فمما ألقاه اليهم بكيده أن قال إن هؤلاء قوم صالحون وعند الله
 مقربون ولهم ما يشاؤون ولهم الجاد الأعلى والمقام الرفيع الاسمى فمن قصدهم لا يخيب سعيه ولا يطيش
 رأيه وإن يركبهم تدفع البليات وتقضى الحاجات وبشفاعتهم يتقرب زوارهم إلى الله الغفار فتخط
 عنهم بشفاعتهم عند الله الأوزار إلى غير ذلك من الدلائل التي يملأ بها قلوب أهل الأمانى بمثل هذه
 المعانى فيتلاعب به قوم السخيفة وآرائهم التحيفة ويحسن لهم البدع والمنكرات بما يلقبه اليهم من
 الحكايات والخرافات ويحثهم على التقرب إلى أهل القبور بما يقدرون عليه من التحر والتذو
 وانتطواف والتزيين بالزين المحرمة من القصب والفضة والذهب وتعليق القناديل وإيقاد شموع
 العسل وتصفيح الجدران والأعتاب والسقوف والأبواب بالفضة والذهب وغيرهما مما يجاوز
 الحساب ويفهمهم أنهم كلما زادوا في مثل ذلك أحسنوا كل الإحسان فدخلوا الجنان ثم ما كفاه ذلك
 حتى استخفهم فدعاهم إلى أن يطلبوا ما هم انصرفوا على الأعداء والشفاء من عضال الداء فأجابوه إلى
 ما دعاهم مسرعين وزادوا على ذلك بأن طلبوا منهم بقاء الحياة لأولادهم فتراهم يقولون قد علمنا
 أولادنا عليهم ومنهم من يطلب منهم النسل إذا كان عقيماً والشفاء إذا كان سقيماً وكثير ممن يطلب منهم
 منصافيه أخذ أموال العباد والسعي في الأرض بكل فساد فيجىء اليهم ويلزمهم معتقد أن من
 لازمهم قضيت حاجته ونجحت سعائته واقتربت سعادته وإذا فتحت أبواب بيوت قبورهم المذهبة

أى على عقبكم (قوله شعبة) الشعبة بالضم الطائفة من الشئ (قوله تشبث) تتعلق (قوله
 من كيد الشيطان) الكيد المكر والخبث وهو الخاق الشر بالانسان من حيث لا يشعر (قوله
 من دسائس) الدس الاخفاء ودفن الشئ تحت الشئ (قوله في قوال) يفرغها فيها (قوله
 بكيده) بمكره وخبثه (قوله الجاه) القدر (قوله الرفيع) ضد الوضيع (قوله الاسمى)
 أى الأعلى (قوله لا يخيب سعيه) لا يحرم من قصده وعمله (قوله يطيش) أى يخف (قوله
 الأوزار) الآثام (قوله الأمانى) جمع أمنية وهو فى الأصل ما يقدره الانسان فى نفسه من منى
 إذا قدر ولذلك يطلق على الكذب (قوله السخيفة) الرقيقة (قوله التحيفة) الضعيفة الهزلة
 (قوله الخرافات) جمع خرافة وهو حديث مستملح كذب (قوله واقتربت سعادته) والنفوس
 مولعة بقضاء حوائجها وازالة ضروراتها لاسيما من كان مضطراً يتشبث بكل سبب فإذا سمع أحداً من قبر
 فلان تروى بياق مجرب يميل إليه فيذهب ويدعو عنده بذل وانكسار فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه

ورفعت ستور الأبواب المطلات المطرزة وفاحت تلك الروائح المسكية من الجدران المحلقة وجدها هذا الزائر في فؤاده من الخشية والرعب ما لا يجدر أدنى معشار جزء عشره بين يدي خالق السموات والأرضين واله جميع العالمين فيدخل إلى القبر خاشعاً ذليلاً متواضعاً لا يخطر في قلبه مثقال ذرة من غير اجلاله منتظر أفيض كرمه ونواله فأقدم بالله أنه لم يتصوره بشراً قد وضع بأكفانه في لحده ولو سلمنا أنه خطرت له وهو عنده تلك الخطرة لتعود بالله منها ووقف عند حده وبأخيه من أنكر عليهم حالهم وباشناعة من رد عليهم أمرهم وبإخساره من علمهم وأرشدهم فإن ذلك عندهم قد تنقص حق الأولياء وهضمهم مراتبهم من السموات والارتقاء فبالله عليك أيها الناظر الاما قابلت أفعالهم هذه مع ما ورد عن سيد الأنام صلى الله عليه وسلم متأملاً كيفية أذنه بالزيارة بعد المنع وانظر إلى سبب المنع والأذن وما عمل النبي صلى الله عليه وسلم الأذن به وجعله في حكم الغاية له والشرط وقد نهى عن أشياء كثيرة بما تقع كإثبات كل ذلك في الأحاديث الصحيحة وكان يعلمهم كيفية القول والعمل ويفعل امامهم ويفصل لهم هذه الجمل سد الذرائع وقطعاً عن هذه المطامع ولم يزل هذا أبلغه صلى الله عليه وسلم حتى أوصى بما يناسب ذلك ولم تزل الصحابة والسلف الصالح على هذا العمل المتبع الراجح إلى أن ظفر إبليس بهؤلاء الأتباع فحين دعاهم أجابوه من غير خلاف قال صاحب مجالس الأبرار واعلم ان الزيارة نوعان زيارة شرعية وزيارة بدعية والمقصود من الزيارة الشرعية التي أذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من أحدهما راجع إلى الزائر وهو تعاطفه وزهده وعبرته وثانيهما راجع إلى المزور وهو الدعاء له ومن سجلته السلام عليه وأما الزيارة البدعية فهي زيارة القبور لأجل الصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها وأخذ ترابها ودعاء أصحابها والاستغاثه بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وغير ذلك من الحاجات التي كان عباد الأصنام يسألونها من أصنامهم فأصل هذه الزيارة البدعية ما خوذ منهم وليس شيء من ذلك مشروعاً باتفاق المسلمين إذ لم يفعله رسول رب العالمين ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين بل قد أنكر وأما هودون ذلك كما روى عن المعروفي بن سويدان عمر رضي

من الذل والانكسار لا لاجل القبر فإنه لو دعا كذلك في الحانة والحمام والسوق لاجابه فيظن الجاهل ان للقبر تأثيراً في اجابة تلك الدعوة ولا يعلم ان الله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً فليس كل من أجاب الله تعالى دعاءه يكون راضياً عنه فان الله تعالى يجيب دعاء البر والفاجر والمؤمن والكافر (قوله وعبرته) وقد أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله فانه تذكركم الآخرة (قوله عليه) ونزیدنانشاوهوا حسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه صلى الله عليه وسلم (قوله وأما الزيارة البدعية) الزيارة البدعية الشركية أصلها ما خوذ من عباد الأصنام قالوا الميت المعظم

الله عنه صلى صلاة الصبح في طريق مكة فرأى الناس يذهبون مذاهب فقال أين يذهب هؤلاء فقيل
 مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يصاون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا
 كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعافن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصلها
 فيها ومن لا فليمض ولا يتعمدها وكذلك لما بلغه ان الناس ينتابون الشجرة التي بويح تحت ارسول
 الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليها فقطعها فاذا كان عمر فعل هذا بالشجرة التي بايع الصحابة تحتها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرها الله في القرآن حيث قال لقد رضى الله عن المؤمنين اذ
 يبايعونك تحت الشجرة فذاذا يكون حكمه فيما عداها ولقد جرد السلف الصالح التوحيد حتى كانت
 الصحابة والتابعون حين كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد بن عبد الملك
 لا يدخل فيها أحد الا لصلاة ولا لدعاء ولا لغير ذلك مما هو من جنس العبادة بل كانوا يفعلون جميع
 ذلك في المسجد وكان أحدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم وأراد الدعاء استقبل القبلة وجعل
 ظهره الى جدار القبر ثم دعا وهذا مما لا نزاع فيه بين العلماء وانما نزاعهم في وقت السلام عليه قال أبو
 حنيفة يستقبل القبلة عند السلام أيضا ولا يستقبل القبلة حتى لا يكون الدعاء عند القبر فان الدعاء

الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الألطاف من الله وتفيض على روحه الخيرات فاذا
 علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها
 كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له قالوا فتمام الزيارة ان يتوجه
 الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى التفات
 الى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب لا تتفاه به وقد ذكر هذه الزيارة على
 هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما وصرح بها عباد السكواكب وقالوا اذا تعلقت النفس
 الناطقة بالأرواح فاض عليها منها النور (قوله استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا)
 وذكر الامام أحمد وغيره انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وقال أصحاب مالك
 يدنو من القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبلا القبلة يوليه ظهره وقيل لا يوليه
 ظهره وهذا اختلافهم انما نشأ لما يحصل فيه من استدباره فاما اذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال
 المحذور بلا خلاف وصار في الروضة أو أمامها (قوله وانما نزاعهم في وقت السلام) فقال مالك
 وأحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي وقال أبو حنيفة بل
 يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب أصحابه وقال مالك فيما ذكره اسمعيل بن اسحق في المبسوط
 والقاضي عياض وغيرهما لا أرى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو ولكن يسلم
 ويمضي وقال أيضا في المبسوط لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه

عبادة كما ثبت في الحديث والسابق الصالح من الصحابة والتابعين جعلوا العبادة خالصة لله تعالى ولم يفعلوا عند القبور شيئا منها الا ما أذن فيه النبي صلى الله عليه وسلم من السلام على أصحابها وسؤال الرحمة والمغفرة والعافية لهم وسبب ذلك ان الميت قد انقطع عمله وهو محتاج الى من يدعوه ونشفع لأجله ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا أو ندبا ما لم يشرع مثله في الدعاء للحى فانما كما اذا قلنا على جنازته ندعوه ونشفع لأجله فبعد الدفن أولى ان ندعوه ونشفع لأجله لأنه في قبره بعد الدفن أشد احتياجا الى الدعاء له منه على نعشه لأنه حينئذ معرض للسؤال وغيره ثم قال فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور بضعا وعشرين سنة وهذه سنة الخلفاء الراشدين وطريقة جميع الصحابة والتابعين فبدل أهل البدع والضلال قولنا غير الذي قيل لهم فانهم قصدوا بذلك سؤال الميت والاستغاثة به الى آخر ما قال وقال ابن القيم في الاغاثة هذا يدل على ان العمل اذا جرى على خلاف السنة فلا اعتبار به ولا التفات اليه وقد جرى العمل على خلاف السنة منذ من طويل فاذن لا بد لك ان تكون شديدا في التوقي من محدثات الأمور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنك اطبا قههم على ما أحدثت به من الصحابة بل ينبغي لك ان تكون حريصا على التفطيش عن

وسلم ويدعوه ولأبي بكر وعمر فقل له ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر عند القبر فيسألون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ولا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصالح أو لها ولم يبلغني عن أول هذه وصدرها انهم كانوا يفعلون ويكره الا ان جاء من سفر أو أراد دوقد ورد من الآثار عن السلف والأئمة ما يوافقهم (قوله كما ثبت في الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة رواه الترمذي وغيره (قوله ما لم يشرع مثله للحى) قال عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما تنقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وأزواجا خيرا من زوجة وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى تميت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الميت رواه مسلم الى غير ذلك مما ورد من الأدعية في صلاة الجنازة (قوله لأنه حينئذ معرض للسؤال وغيره) كما روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا الله لأخيكم واسألوا الله التثبيت فانه الآن يسأل الى غير ذلك من الأحاديث التي في هذا الباب (قوله والاستغاثة به) فبدلوا الدعاء بدعائه نفسه وقصدوا بالزيارة المشروعة التي هي احسان الى الميت واحسان الى الزائر وتذكير بالآخرة وسؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص

أحوالهم وأعمالهم فان أعم الناس وأقربهم الى الله أشبههم بهم وأعلمهم في طريقهم اذ منهم أخذ الدين وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع فلا بد لك أن لا تكثرت بمخالفتك لأهل عصرك في موافقتك لأهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم اذ قد جاء في الحديث اذ اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم قال عبد الرحمن بن اسمعيل المعروف بأبي شامة حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا لان الحق ما كان عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة ولا عبرة بكثرة الباطل بعدهم وقال الفضيل بن عياض ما معناه الزم طريق الهدى ولا يضر كقلة السالكين فيه وإياك وطرق الضلال ولا تغتر بكثرة الهالكين وقال ابن مسعود أتم في زمان خيركم فيه المتسارع في الأمور وسيأتي زمان بعدكم خيرهم فيه المتثبت المتوقف بكثرة الشبهات قال الامام الغزالي لقد صدق لان من لا يثبت في هذا الزمان بل وافق الجماهير فيما هم فيه وخاض فيما خاضوا فيه يهلك كما هلكوا فان أصل الدين وعمدة وقوامه ليس بكثرة العبادة والتلاوة والمجاهدة بالجوع وغيره وإنما هو باحرازه من الآفات والعاهات التي تأتي عاياه من البدع والمحدثات التي تؤدي الى تبدله وتغيره كما تبدل وتغير أديان الرسل من قبل بسبب ذلك انتهى فليصن المرء دينه

تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة (قوله قال عبد الرحمن الخ) أي في كتاب الحوادث والبدع (قوله ولا تغتر بكثرة الهالكين) وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى انه قال السنة والذي لا اله الا هو بين الغالي والجافي فاصبر واعلمها رحمة الله فان أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الاثراف في اترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك فكونوا وقال عمرو بن ميمون الا ودي صحبت معاذ باليمن فما فارقت حتى واريته بالتراب بالشام ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد الله بن مسعود فسمعت يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته يوم ما من الأيام وهو يقول سيلي عليكم ولا يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فاصلوا الصلاة ليقاها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة وحدها وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظن انك من أئمة أهل هذه القرية تدري ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفي رواية أخرى وضرب على نخدي قال ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى قال نعم بن حماد يعني اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ كره البيهقي وغيره (قوله من البدع والمحدثات التي تؤدي الى تبدله وتغيره الخ) ولذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول

من العوائد التي استأنس بها فأنهم سئلوا قل من سلم من آفاتهما ألا يرى أن قرىشاً لجس العوائد التي ألقها نفوسهم أنكر وأعلى النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الهدى والبيان وكان ذلك سبباً لكفرهم وطغيانهم وقد خالف هؤلاء المبتدعون ما جاءت به الرسل فلقد نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد وعن اتخاذ قبره الذي هو أفضل قبر على وجه الأرض عيدا

أيكم وما يحدث من البدع فإن الدين لا يذهب بمرّة من القلوب بل الشيطان يحدث لكم بدعا حتى تذهب الإيمان من قلوبكم هذا وإنها لكثير ما وشيوعها صارت كأنها من شعائر الدين أو من الأمور المفروضة علينا في الدنيا كأنها شرها على أنها بدعة أدلوا كأن كذلك ليرجى منا التوبة والاستغفار وإن كان أخذنا لها طاعة وعبادة وجعلناها ديناً لمقتفين في ذلك آثار من سبها أو غلط أو غفل من بعض من تقدمنا وجعلناه قدوة في ديننا فإذا جاء أحد وأنكر علينا ما ارتكبناه من تلك الأمور فإن كان ممن له توقير في قلوبنا نقول له هذا جائز ذهب إلى جواره فلان ونذكر له بعض من تقدمنا ممن سبها أو غلط أو غفل وإن كان ممن لا توقير له في قلوبنا نسمع منا ما لا يظنه ولا يخطر بباله ذلك بسبب الجهل المركب فينا لا نلورأينا أنفسنا على ما هي عليه من الجهل لقبيلنا جواب من أرشدنا على الحق وما أقمنا من سبها أو غفل أو غلط حجة في ديننا ألا يجوز أن يقلد الإنسان في دينه الأمام هو صاحب الشريعة أو من شهد له بالخير لا من شهد له بالكذب ونهى عن الاعتداله بقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يابونهم ثم الذين يابونهم ثم يفسحوا الكذب فلا تعمدوا أقوالهم وأفعالهم فإن كل من أتى بعدهم يقول في بدعها أنها مستحبة ثم يأتي على ذلك بدليل خارج عن أصولهم فذلك غير مقبول منه فإن التقليد والاقتداء مجرد حسن الظن إنما يجوز أن كان محتجداً عدلاً لا أن كان مقلداً الكن لما انقطع الاجتهاد منذ زمان طويل انحصر طريق معرفة مذهب المجتهدين في نقل كتاب معتبر متداول بين العلماء أو أخبار عدل موثوق به في علمه وعمله فلا يجوز العمل بكل كتاب اظهر في هذا الزمان كتب جمعها ضعفاء الرجال ولا يقول كل عالم اذ غلب الفسق في الناس بعد القرون الثلاثة والمستور في حكم الفاسق فلا بد من العدالة المرجحة لجانب الصادق حتى يقبل قوله في الديانة (قوله عن اتخاذ القبور مساجد) كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبوراً أنبياءهم مساجد وهم خالفوه وبنوا عليها المساجد ونهاهم عن الصلاة عندها وهم خالفوه وصالوا عندها (قوله وعن اتخاذ قبره عيدا) كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تجعلوا قبوري عيدا وصالوا فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم وهم خالفوه حيث أنهم جعلوا القبور أعياداً يجتمعون عندها في أوقات مخصوصة

وعن تعليق القناديل عليها وزيادة تراب غير ترابها وأمر بتسوية القبور المشرفة ونهى عن رفعها
وتخصيصها والكثابة عليها فتراهم يرفعونها فوق كل رفيع وينونها بالخص والآجر العظام ويكتبون
عليها الآيات القرآنية ويعملون لها التوايت من خشب الصندل والعاج ويضعون فوقها ستور
الحرير المحلاة بالذهب والعقيان والفضة الخالصة ولم يرضهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة
وغيرها وعلقوا عليها قناديل الذهب وبنوا عليها قبابا من الذهب أو الزجاج المنقوش وزخرفوا أبوابها
وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها خوفا عليها من الأصوص كل ذلك مخالف لدين الرسل وعين
المحادة لله ورسوله فإن كانوا متبعين فلينظروا إليه صلى الله عليه وسلم كيف كان يفعل بأصحابه الذين
هم أفضل الأصحاب ولينظروا إلى قبره الشريف كيف كان وما عملت الصحابة فيه والأفلية فعلوا ما شاؤوا
لأجازاهم الله الأبا يليق بهم هذا ما كان من التعظيم الغير اللائق بدين الله والمخالف لسنة رسول الله
وأما الاحترام لها فهو مندوب فلا توطأ قبور المسلمين ولا يجلس عليها وتعامل قبورهم كما يعاملون في
حياتهم وأما قبور الأنبياء والصالحين فيزاد احترامها كما يحترمون في حياتهم وليطبق الحال في
القبور على حسب ما كانوا في الحياة من مراعاة الآداب وخفض الأصوات والوقوف على بعد زيادة
في التوقير والاحترام قال العلامة ابن حجر في شرح المنهاج (ويقرب) ندبا (زائره) من قبره
(كقربه منه) إذا زاره (حيا) احترامه والتزام القبر وما عليه من تابوت ولوقبره صلى الله
عليه وسلم بنحو يده وتقبيله بدعة مكرهة قبيحة انتهت قال بعضهم ومن البدع المنكرة اجتماع
ال العامة في بعض أضرحة الصالحين في يوم مشهور فقد قال صلى الله عليه وسلم صاوا في بيوتكم ولا
تتخذوها قبورا ولا تتخذوا بيوتهم عيدا أو صاوا على وساموا فإن صلاتكم تبلغني حينما كنتم قال
المنائى معناه النهى عن إخلاء البيوت عن العبادة كالقبور وفيه معنى النهى عن الدفن في البيوت
وإنما دفن المصطفى صلى الله عليه وسلم في بيته مخافة اتخاذ قبره مسجدا ذكره القاضي ومعنى النهى عن
اتخاذ عيدا للنهى عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد أما دفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد
التعظيم وقيل العيد ما يعاد إليه أى لا يجعلا وقبري عيد أقعودون إليه متى أردتم وإن عليكم أن تصاوا
على فظا هره نهى عن المعاودة والمراد المنع عما يوجب وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه ويؤيده
قوله وصاوا على إلى آخره أى لا تكلفوا المعاودة إلى آخر ما قال ثم قال تنبيه فوهم فيما سلف معناه

(قوله وعن تعليق القناديل عليها) وهم خالفوه وأقعدوا عليها القناديل والشموع بل يوقفون لذلك
أوقافا (قوله التوايت) أى الصناديق (قوله فلا توطأ قبور المسلمين) قال ابن حجر في شرح
المنهاج الاضرورة كان لم يصل إلى قبره ميتة وكذا ما يريد زيارته ولو غير قريب فيما يظهر ولا يمكن
من الحفر إليه اهـ (قوله ولا يجلس عليها) وكذا لا يتكئ عليها

النهي عن الاجتماع الى آخره يؤخذ منه ان اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة وربما يرقصون منهي عنه شرعا ويجب على ولي الأمر رد عههم عن ذلك وانكاره عليهم وابطاله انتهى وقال في المنهاج وشرحه لابن حجر ما ملخصه ويكره تخصيص القبر والبناء عليه في حريمه وخارجته والكتابة عليه للنهي الصحيح عن الثلاثة سواء كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه أو في غيره نعم بحث الأذرعى حرمة كتابة القرآن لتعريضه للإمتحان بالدوس والتنجيس بصديد الموتى عند تكرار الدفن ووقوع المطر ونصب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين لاسيما لقبور الأنبياء والصالحين لأنه طريق للإعلام المستحب ولما روى الحاكم النهي قال ليس العمل عليه الآن فان أئمة المسلمين من المشرق الى المغرب مكتوب على قبورهم فهو عمل قد أخذ به الخلف عن السلف ويرد بمنع هذه الكتابة وبقرضها فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر المسبلة كما هو مشاهد لاسيما بالحرمين ومصر ونحوهما وقد عاينوا بالنهي عنه فكذا هي فان قلت هو اجماع فعلي وهو حجة كما صرحوا به قلت ممنوع بل هو أكثرى فقط اذ لم يحفظ ذلك حتى عن العامة الذين يرون منعه ويفرض كونه اجماعا فعليا فحمل حجته كما هو ظاهر عند صلاح الأزمنة بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تعطل ذلك منذ أزمنة ولو بنى نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر أو نحو تحويط أوقية عليه خلافا لمن زعم ان المراد الثاني وهل من البناء ما اعتيد من جعل أربعة أحجار لصق رأس كل منها برأس الآخر بحص محكم أولا لأنه لا يسمى بناء عرفا والذي يتجه الاول لان العلة السابقة من التأييد موجودة هنا وذلك في مقبرة مسبلة وهي ما اعتاد أهل البلد الدفن فيها عرف أصلها ومسبلها أم لا ثم قال جوابا للو الواقعة في المتن قبل هدم وجوبا لحرمة كما في المجموع لما فيه من التضييق مع ان البناء يتأبد بعد ان يحاق الميت فيحرم الناس تلك البقعة وقد أفتى جمع يهدم كل ما بقرة مصر من البناء حتى قببة امامنا الشافعي رضي الله عنه التي بناها بعض المملوك وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما لم يخش منه فسادا فيتعين الرفع للإمام انتهى وقد اختلفوا في زيارة النساء والكثير على الحرمة عليهن

(قوله تخصيص القبر) أي نبينه لا تطينه (قوله مما مر) في كلامه وهو ما اذا خشى نبشه أو حفر سبع أو هدم سبل (قوله مسبلة الخ) ومثلها موقوفة بل هذه أولى لحرمة البناء فيها قضاء قاله الاسنوى (قوله الواقعة في المتن قباه) وهو ما نقله عنه بقوله ولو بنى نفس القبر (قوله على الحرمة عليهن) لا يخبر الصحيح لعن الله زوارات القبور ولما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرأة خرجت الى مقبرة تلعنهما لائكة السموات السبع والأرضين السبع وتمشي في لعنة الله تعالى ولما روى عن سلمان وأبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم من المسجد فوقف على باب داره فأنت فاطمة

وقيل يكره بشروط ان اختل شئ منها حرمت اجماعا وبالجملة فالبحث في ذلك كبير شهير
وأما القراءة عندهم فقليل مشروعة وعلى ذلك المتأخرون من الفقهاء أخذوا من وضع الجريدة
على قبره من رآه النبي صلى الله عليه وسلم يعذب لأجل تخفيف عذابه قالوا فالقراءة أولى ومنعها
البعض وقالوا لا بد لئلا يكون مشغولا بالاعتبار وقراءة القرآن يحتاج صاحبها الى التدبر
واحضار الفكر فيما يتلوه والفكر ان لا يحتمل في قلوب واحد في زمان واحد فان قال قائل
اني أعتبر في وقت وأقرأ في وقت آخر والقرآن اذا قرئ تنزل الرحمة فيرجى أن يلحق بأهل
القبور شئ من تلك الرحمة فالجواب عنه من وجوه الأول ان قراءة القرآن وان كانت
عبادة لكن كون الزائر مشغولا بما تقدم من الفكر والاعتبار في حال الموت وسؤال الملكين وغير
ذلك عبادة أيضا والوقت ليس محالا الا هذه العبادة فقط فلا يخرج من عبادة الى عبادة أخرى
لا سيما لأجل الغير والثاني انه لو قرأ في بيته وأهدى ثوابها لهم بأن قال بلسانه بعد فراغه من قراءته
اللهم اجعل ثواب ما قرأته لأهل القبور لوصول اليهم لان هذا دعاء بوصول الثواب اليهم والدعاء يصل
بلا خلاف فلا يحتاج ان يقرأ على قبورهم الثالث ان قراءته على قبورهم قد تكون سببا لعذاب
بعضهم اذ كلما قرئت آية لم يعمل بها يقال له أما قرأتها أما سمعتها فلم خالفها ولم نعمل بها فيعذب لأجل
مخالفتها الرابع ان السنة لم ترد بها وكفى به منعاً فاذا كان كذلك فاللائق بالزائر ان يتبع السنة
ويقف عند ما شرع له ولا يتعداه لئلا يكون محسنا الى نفسه وإلى أهل القبور وقال ابن حجر المكي في

فقال من أين جئت قالت خرجت الى منزل فلانة التي ماتت فقال صلى الله عليه وسلم هل ذهبت الى
قبرها فقالت معاذ الله تعالى ان أفعل شيئا بعد ما سمعت منك فقال لو زرت قبرها لم تربحني رائحة الجنة
(قوله وقيل يكره) وعليه المتأخرون من الشافعية خشية الفتنة ورفع أصواتهم بالبكاء وقيل
تباح اذ لم يخش محذور الأثم صلى الله عليه وسلم رأى امرأة بمقبرة ولم يذكر عليها (قوله بشروط)
كأن من الفتنة وعدم رفع الصوت وغيرها (قوله المتأخرون من الفقهاء) وهو مذهب الامام
أحمد وبعض أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي (قوله ومنعها البعض) وهو المشهور
من مذهب مالك والشافعي (قوله والدعاء يصل بلا خلاف) بين أهل السنة وقال المعتزلة ان
الدعاء من الأحياء لا موات غير نافع تمسكا بان القضاء لا يبدل وكل نفس مرهونة بما كسبت والمرء
محزى بعمله لا بعمل غيره وأجيب بان عدم تبديل القضاء بالنسبة الى الموتى لا ينافي فنع دعاء الأحياء
لهم فان ذلك النفع بالدعاء يجوز ان يكون بالقضاء على انه قد ورد في الأحاديث الصحيحة من الدعاء
للاموات خصوصا في صلاة الجنازة وقد توارثه السلف وهو مجمع عليه فلو لم يكن فيه نفع للاموات
لكان عبثا بل جاء في القرآن آيات كثيرة متضمنة لدعوات للاموات كقوله تعالى رب ارحمهما كما

زواجه بعد ان عدا اتخاذ القبور مساجد وابتعاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها
والصلاة اليها من الكبار وأورد الأحاديث الزاجرة عن ذلك تنبيه عده هذه الستة من الكبار ووقع في
كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ اتخاذ القبور مساجدا
منها واضح ثم بين دليل ذلك وقال بعده ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة الى قبور الأنبياء والأولياء
تبركا واعظاما ثم قال وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبور كابتعاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به
والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح بالحديث المذكور أنفا بلعن من اتخذ على
القبور سرجا فيحمل قول أصحابنا بذكر اهتداه ذلك على ما إذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذي القبور أو ما اتخذها
أو ثانا فالنهي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبوري وثنا يعبد بعدى أى لا تعظموه تعظيم غيركم
لأوثانهم بالسجود له أو نحوه فان أراد ذلك الامام بقوله واتخذها أوثانا هذا المعنى اتجه ما قاله من ان
ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان أراد ان مطلق التعظيم الذي لم يؤذن به كبيرة ففيه بعد نعم قال بعض
الحنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا بها عين المحادة لله ولرسوله وابتدع دين لم يأذن به الله للنهي
عنهم اجبا عا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناءها عليها
والقول بالكرهية محمول على ذلك اذ لا يظن بالعلماء تجوز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
لعن فاعله وتجب المبادرة لهدهمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضرم من مسجد الضرار لانها
أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه نهى عن ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم
القبور المشرفة وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى والعجب كل
العجب من ألف رسالة أباح فيها جميع ما ذكرناه من اشراف القبور للصالحين وبناءها بالحصن والآجر
وتعليق القناديل ووضع التوابيت عليها وسترها بالثياب الفاخرة مما ورد النهي الصحيح عنه ولعن
فاعله وما كفاه ذلك التجري على الله ورسوله ومخالفة ما نص الرسول على النهي عنه حتى جعل ذلك
سنة صالحة وطرقة فالحة وانها من شعائر الاسلام ولولا الحياء لأباح في ذلك كل محرم وجعل نفسه

ر ياتى صغيرا وقوله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان (قوله من مسجد الضرار) الذي هدمه صلى الله عليه وسلم كما روى ان بنى
عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتهم فانهم فصلى فيهم
فسد هم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه أبو عامر الراهب اذ اقدم
من الشام فامأتموا تو ارسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اننا قد بنينا مسجدا الذي الحاجة والعلة
والليلة المطيرة والسائية فصل فيه حتى تتخذ مصلى فاخذوا به ليقوم معهم فنزلت الآية وهي قوله تعالى
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين الآية قد عاملا كبن الدخشم ومعن بن

مشرعاً فجاء من شرع شرعاً من عند نفسه سيما إذا كان بحكم وهمه وحده وكل هذه قياسات
 فاسدة وهمية قد خالفت القواطع الشرعية ولم يزل يتسع الخرق بهذا التساهل حتى هان عليهم القياس
 المخالف للأصول والدلائل مثلاً جاء فقيه فقال من عند يائه يجوز كتابة اسم صاحب القبر إذا كان ولياً
 صالحاً لا إعلام به فجاء آخر فقال يستحب لأن فيه اعزازاً للدين فجاء آخر فقال وكذا بناءً بالخص
 ورفع قياساً على ذلك ولأن في ذلك توقير لله وهو أمور به ثم جاء آخر فقال وكذا وضع التوايت
 وستره وتعاليق القناديل عليه ولم يزل الأمر كذلك إلى أن أباحوا المحرمات مع أن القياس أن لا يؤخذ
 بكلام الفقيه إلا إذا كان مأخوذاً عن مقلده فإن أتى به من عنده لم يؤخذ به إلا إذا كان موافقاً لأصول
 مذهبه أو مدلاً بدليل من الكتاب والسنة الصحيحة فيثبت يؤخذ به فكيف بمن قال قولاً من عنده
 وقد خالف به ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم أنه ليس من دين الله لا شك أن قوله
 حينئذ مردود عليه وقد جوز بعض الشافعية ستر قبور الأنبياء بالحري بقياساً على الكعبة فجاء من
 بعده فقيس قبور الصالحين على قبور الأنبياء فجوز سترها بالحري وهكذا حتى اتسع الخرق ولم يبق من
 فرق وقد رد على الأولين الإمام عبد البر الأجهوري فقال مانعه ويجوز تزيين الكعبة بالحري برتقها
 لها والأوجه جواز تزيين قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالحري وكذلك سائر الأنبياء كما جزم به الأشموني
 جرياً على العادة المستمرة وكان شيخنا الزبائي يقول لم يستثنوا يعني الأصحاب إلا الكعبة وظاهره
 الحرمة حتى قبر ذلك الرجل الكبير يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومثله بقية الأنبياء والأولياء وقال
 بعضهم بما يحرم ستر التابوت بالحري مطلقاً لأنه يشبه ستر الجدران بالحري وقال بعضهم هذا من باب
 التكفين فمن جاز تكفينه بالحري جاز ستر تابوته به والأفلا والمعتمد الحرمة مطلقاً انتهى وبالجملة
 فالزيارة مشروعة على الوجه السني الذي فصلناه والبدع تختلف بحسب مذهبها وتعترف أحكامها
 من الكراهة والحرمة والكفر وغير ذلك من الأحوال التي أجزيت فيها اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا
 اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه آمين (وأما ستر الرجال) إلى القبور الفاضلة فجوزه
 الكثير مستدلين بما روى الدارقطني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وروى الطبراني في الكبير والأوسط والدارقطني في
 أماليه وأبو بكر بن المقرئ في مجملهم عن ابن عمر رضي الله عنهما ما مر فوعا من جاءني زائر لا تعمله
 حاجة إلا يارتني كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة وقد فهم من أورده عموم الزيارة في
 حياته وبعد وفاته وهذا الحديث أصح من الأول وفي سند الأول اضطراب واختلاف شديد بين
 المحدثين وروى ابن الجوزي في مشير العزم الساكن بالقطر من حبيب فزار قبري بعد موتي كان كمن
 عدى وعامر بن السكن وغيرهم فقال لم انطلقوا إلى مسجد هذا الظالم فاهدموه وأحرقوه ففعلوا

زارني في حياتي وصحبي رروي ابن عسدي في الكامل والمدار قطني من حج البيت ولم يزرنى فقد
 جفاني وادعى بعضهم الوضع في هذا الحديث ورده آخرون رروي أبوداود الطيالسي عن عمر رضى
 الله عنه مرفوعا من زار قبري أو قال من زارني كنت له شفيعا وشهيدا ومن مات في أحد الحرمين
 بعنه الله عز وجل من الآمين يوم القيامة ومثل ذلك أحاديث كثيرة بطرق مختلفة وروي أبوداود
 بسند صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا ما من أحد يسلم على الله عز وجل حتى أورد
 عليه السلام صدره به اليبقى باب الزيارة واعتمد ذلك جماعة منهم الامام أحمد كما نقله السهمودى
 لتضمنه فضيلة رده صلى الله عليه وسلم وهي عظيمة وذكر ابن قدامة هذا الحديث من رواية أحمد بالفظ
 ما من أحد يسلم على عند قبري فان ثبت فالمسلم عند القبر بامتنان بالوجهة بالخطاب المستدعى للرد
 وتلك قال الامام أبو عبد الرحمن عبد الله المقبرى أحد كبار شيوخ البخارى هذا الحديث في الزيارة
 اذا زارني فسلم على ردا لله على روى حتى أورد عليه ويؤيد ان أصل السلام عرفا ما يواجه به المسلم
 عليه من قريب ويكنى به عن الزيارة وهو سلام التحية المستدعى للرد على المسلم بنفسه أو برسوله
 بخلاف السلام الذى يقصد به الدعاء منا بالتسليم عليه من الله تعالى سواء كان بلفظ الغيبة أو الحضور
 وهو الذى قيل باختصاصه به عن الامة كالصلاة فلا يقال فلان عليه السلام وهذا الحديث استدلى به
 البيهقى على حياة الانبياء قال والمعنى الا وقد ردا لله على روى حتى أورد عليه وقيل هو خطاب على قدر
 فهم المخاطبين من انه لا بد من رد الروح ليسمع فكانه قال أسمعهم تمام السماع وأجيبه تمام الاجابة مع
 دلالة بالرد عليه السلام عند سلام أول مسلم ولم يرد قبضها بعده ولا قائل به توالى موتات لا تنحصر أو ان
 الرد معنوى من الاستغراق في الشهود وفي هذا الاثر حيازة فضل رد السلام عليه مواجهة وقدر
 السهمودى الآثار الدالة على حياته بينيته صلى الله عليه وسلم مع قوة النفوذ في العالم واستغنائه عن
 المؤلفات البشرية بخلاف غيره فاننا نقطع بوجود الادراكات لهم وعذاب القبر ونعيمه من الاعراض
 المشروطة بالحياة لكن لا تتوقف على البنية واذا ثبت حياته صلى الله عليه وسلم وصحت الاحاديث
 الحاتة على زيارته ومنها ما ذكره السهمودى في قصة بلال وان عمر بن عبد العزيز كان يريد البريد الى
 المدينة للسلام عليه فلانزع في فضيلته اذ فيه حيازة فضائل عديدة من اتباعه ونيل الموعد به وغير
 ذلك وقد أطل البحث والاقتصار السهمودى في كتابه خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى فقد كر كل
 حديث في الباب واستقصى جميع أقوال العلماء والفقهاء في هذا الشأن فان أردت استيفاء البحث
 فعليك به وقد منع آخرون شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم
 لا تشدد الرحال الا الى ثلاث الحديث ونقروا في هذا الاحاديث الواردة المفيدة لجواز شد الرحال

وانتخذ مكانه كاسته (قوله الا الى ثلاث الحديث) تمامه للمجد الحرام والمسجد الأقصى

والكلام في ذلك طويل عريض والمقصود في ذلك جليل فاقداً نصف العلامة ابن حجر المكي وغيره
فقالوا الأولى لمن أراد المدينة المنورة ان يقصد بشدر حاله الصلاة في مسجد هالي يحصل له الامر على
يقين وينال الامرين من غير خلاف بين المسلمين وفقنا الله لرضائه وأدر علينا عوائده براته آمين
باب الثالث عشر في بيان حكم الهجرة من دار الكفر وكيف حكمها من دار امتات بالنعاصي
فهاجر فيها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف به من ابتلى بمثل هذا وخاف على دينه
وخشى الاضطراب في يقينه

اعلم أولاً ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم من أبواب الدين وعليه مدار المؤمنين
وهما من شعب الايمان الظاهرة وقرينان لا يفترقان وشعبتان مرتبتان لان الامر بان شيء نهى
عن ضده والنهي عن ضده أمر به وكل منهما من أقوى شعب الايمان بوجه وأضعفها بوجه آخر كما
روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً

ومسجدي هذا قال في اقتضاء الصراط المستقيم بعده فله هذا الحديث عن الصحيحين ما لم يظه
وهذا النهي يعم السفر الى المساجد والمشاهد وكل مكان يقصد السفر الى عينه للتقرب به ليسل ان
بصرة بن أبي بصرة الغفاري لما رأى أبا هريرة راجعاً من الطور الذي كان الله عليه موسى عليه
السلام قال لورأتك قبل ان تأتيه لم تأت له لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث ان الطور وأمثاله من مقامات الانبياء مندرجة في
العموم وانه لا يجوز السفر اليها كما لا يجوز السفر الى مسجد غير المساجد الثلاثة وأيضاً اذا كان السفر
الى بيت من بيوت الله غير الثلاثة لا يجوز مع ان قصده لأهل مصره يجب تارة ويستحب أخرى وقد
جاء في فضل المساجد من الفضل ما لا يحصى فالسفر الى بيوت عباده أولى ان لا يجوز اه (قوله
ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) المعروف اسم لكل ما يحبه الله من الايمان والعمل
الصالح والمنكر اسم جامع لما نهى الله عنه (قوله لأن الامر بان شيء نهى عن ضده والنهي عن
ضده أمر به) قال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف ويتنهون عن
المنكر وقد أنى الله تعالى على الامرين بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فجعل أصل ما فضلهم به على سائر الأمم انهم
يأمرون وينهون ولعن قوم من بني اسرائيل فدكر انهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلهم (قوله
من رأى منكم منكراً) أي علم اذ لا يشترط في الوجوب رؤية البصر بل الماء ارشاد الى العلم البصر أم لا وروى
مستعملة في حقيقة انها من الابصار ويكون حكم المعلوم غير المبصر مقيساً على حكم المبصر بجامع ان
القصد دفع مفسدة المنكر مطلقاً نعم من علم اختلاء جماعة بمنكر فان كان نحو قتل أو زنا ما

فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الايمان وفي خبر آخر ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل قال الامام البيهقي في شعبه ما ملخصه الامر بالمعروف هو الحجلة لان الرسل أمرت بالمعروف والنهي عن المنكر هو الوقاية يقي الناس من العذاب قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة أي أهل المنكر اذا لم يغير عليهم والمعروف والمنكر ضدان كالليل والنهار اذا ظهر هذا غاب هذا فان المعروف مأخوذ من العرف الذي هو العادة التي عرفها الناس وعاموها والمنكر هو الذي أنكرته العقول والقلوب عند رؤيته فان المعروف الحق الذي لم يزل ولا يزال هو الله تعالى ومخلوقاته في الملك والملكوت والعرش والجبروت لم يعرفوا الا اياه باولم تعرف طاعة الاطاعته فكان التعبد له والقيام بحقه هو المعروف فقط فاما خلق ابليس والثقلين وذريتهما وحدثت المعاصي عن أيديهم ما صار العصيان والمخالفات منكر أي أنكرته العقول والقلوب لانهم تألفوه ولم تعهده ولا كان له أصل في العرف الذي تقدم عند الخلائق كلها ولهذا اذا جاءت القيامة وفنيت الدنيا التي ظهرت فيها المناكر لم يكن للمنكر أثر ولا وجود وانقاد وطاع أهل المنكر حين يرون ان القوة لله جميعا ولم يبق في الوجود مقدار ذرة من العصيان لان الهوى المعبود الذي اتخذ الهام من دون الله وحسب الذين يتبعون الظن انه يضر وينفع فأطاعوه بغنى وجوده اذا ظهر الاله الحق في الآخرة وقد شاهدت العقول حقيقته وأنكرت ان يكون عند غيره معنى من الالهية وما كانت

لا يستدرك لزم الهجوم لازالة وان كان فيه تسور جدار وان كان غير ذلك فلا لأنه تجسس وقد نهيناعنه قاله ابن حجر (قوله فان لم يستطع فبقلمه) رواد مسلم انما قدم التغيير باليد لكونه أقوى في المنع وأما في العمل فينبغي ان يقدم المنع بالقول ليكون أقرب الى تحصيل المطلوب رفقا عليه ثم في الدفع بالقول حين ما يكون ألين يكون أحسن وان لم ينته بالقول فليغيره باليد فان قلت هذا الحديث مخالف لقوله تعالى عليكم أنفوسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قلت معني الآية الزموا أنفسكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم ومما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فن أمر ونهي ولم يمتثل به المخاطب لا يضره قيل هذا مختص بمن علم ان ما رآه منكرا بالنسبة الى الفاعل لأن الجاهل ربما يرى شيئا منكرا في مذهبه ويكون جائزا في مذهب الفاعل وقيل مختص أيضا بمن لا يفعل المنكر كيلا يدخل في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وردهذا بان النهي عن المنكر لدفع الأضرار عن الفاعل وهو لا يسقط بفعل الناهي المنكر غاية أنه ترك واجبا عليه وبه لا يسقط عنه الواجب الآخر وهو النهي (قوله ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) ومنه يستفاد ان عدم انكار القلب للمسلم دليل على ذهاب الايمان منه ومن ثم قال ابن مسعود رضي الله عنه هالك من لم يعرف بقلبه بالمعروف والمنكر أي لأن ذلك فرض لا يسقط عن

معصية قط الا بشرك خفي أو جلي واقبال على غير الله أو حب غير الله أو مشاهدة شيء يضر أو ينفع غير الله أو غفلة عن الله انتهى فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على من تعين عليه عينا فان كانوا جماعة وجب على الكفاية فاذا قام به البعض سقط عن الباقي وان لم يفعله كلهم أثموا وكذلك من تمكن من العلم به ولم يغيره واستحق العذاب من تأهل للعلم ولو كان غير حاضر ويختلف ذلك بحسب اتساع البلد وتضييقها في الأحاديث الصحيحة الدالة على استحقاق من ترك ذلك شيء كثير منها ما روى عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي وهم يقدرون على ان يغيروا ولا يغيرون الا أصابهم منه بعقاب قبل أن يموتوا وانظر الى عاقر الناقة كان واحدا من قوم صالح عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله تعالى به حيث قال فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وتبعه ثمانية وكانوا تسعة كما بينه الله تعالى بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون فانزل الله العذاب على قوم صالح فشمّل الأصغر والأكبر وكذلك سائر الأمم يشمل العذاب صغارهم وكبارهم ونساءهم وحيواناتهم فمن قاعدة العذاب اذا نزل بقوم نعم المستحق وغيره ثم يبعثون على نياتهم كما جاء في الصحيحين وغيرهما كما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله ان الله تعالى اذا أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم صالحون أفیه لم يكون بهلاكهم فقال يا عائشة ان الله اذا أنزل سطوته بأهل نقيته وفيهم صالحون فيصابون معهم ثم يبعثون على نياتهم والمرء لا يسمى صالحا الا اذا أنكر بمقدار وسعه وأما من داهن ولم ينكر مع استطاعته فانه يكون من الفاسقين لا من الصالحين ومما ينبغي ان يعلم ان تغيير المنكر لا يختص بالحكام ولا يتوقف على

أحد بحال والرضى به من أقبح المحرمات أو ان ذلك أقل ثمرة قاله ابن حجر (قوله قبل ان يموتوا) وفي حديث آخر ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كالهم والأحاديث في ذلك كثيرة (قوله فنادوا صاحبهم) فدار بن سالف (قوله فتعاطى فعقر) اجترأ على تعاطى قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشيء بتكاف (قوله يفسدون في الأرض ولا يصلحون) أي شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح (قوله فشمّل الأصغر والأكبر) واليهاءم من العذاب حين لم ينهوا عاقر الناقة عن عقرها (قوله وكذلك سائر الأمم) اهل السكى وقوله يشمل العذاب صغارهم الى آخره ولهذا كان الله تعالى يأمر الانبياء ان يخرجوا مع المؤمنين من بين قومهم قبل نزول العذاب مع كون القدرة سالحة لانجائهم وان قعدوا في أما كنهم لكن لا تبدل لسنة الله (قوله في الصحيحين) عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم يبعثون على نياتهم (قوله وسعه) أي استطاعته (قوله لا من الصالحين) لأنه يكون راضيا والراضي بمنزلة العاصي فان المنكر اذا ظهر

اذنهم بل يجب على كل أحد بحسب استطاعته وان لم يكن مأذونا من جهتهم سواء كان رجلا أو امرأة أو حرا أو عبدا كما عليه الاجماع لما في قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره الحديث المتقدم فقوله فليغيره أمر إيجاب بالاجماع وقوله من رأى منكم عام شامل لجميع الأمة لكن قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يدل على انه فرض كفاية والاستغال بفرض الكفاية أفضل من الاشتغال بفرض العين لان من يترك فرض العين يختص هو بالاثم ومن يفعله يختص هو باسقاط الفرض عن نفسه واما فرض الكفاية فلو ترك ياثم الجميع ولو فعل بسقط الاثم عن الجميع ففعله ساع في صيانة جميع الأمة عن الاثم فعلى كل مسلم ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بمقدار طاقته ثم ان كان الوالي راضيا بفعله فيها وان لم يرخص فسيخطه منكر يجب الانكار عليه وجميع العلماء على دخول الأمراء والسلاطين تحت ذلك وكيف يحتاج الى اذنهم في الانكار عليهم وعلى هذا مضى سلف الأمة فكانوا ينكرون على الأمراء والسلاطين كما هو مشهور لكن ينبغي ان يراعى فيه التدريج فيبدأ أولا بالأسهل الأرفق كالوعظ

بين الناس يجب على من رآه ان يغيره فاذا لم يغير فكاهم عاصون بعضهم برضائه وبعضهم بتعاطيه (قوله وان لم يكن مأذونا من جهتهم الخ) نعم ان خشى من عدم استئذان الامام فسد رايحه أو مساوية من انحرافه عليه بانه افئات عليه لم يبعد وجوب استئذانه حيثئذ قاله ابن حجر (قوله أمر إيجاب) ووجوبه ثابت بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة (قوله فرض كفاية) ان علم به أكثر من واحد والا فهو فرض عين (قوله أفضل من الاشتغال بفرض العين) وهو ما عليه الأستاذ أبو اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين وأبوه الشيخ محمد الجويني وهو المشهور وان قال الجلال المحلى في شرحه على جمع الجوامع ما قال (قوله فعلى كل مسلم ان يأمر بالمعروف الخ) لاشك ان من قام مقام جميع المسلمين في اقامة مهمهم من مهمات الدين يكون أفضل ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله تعالى في أرضه وخليفة كتابه ورسوله وانما كان كذلك لأن الأنبياء ما بعثوا الا لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمن تبعهم وأمر ونهى كان نائبا عنهم في هذا الأمر العظيم (قوله تحت ذلك) أي العموم (قوله كما هو مشهور) في حكايات كثيرة مسطورة في التواريخ بالانكار (قوله فيه) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (قوله فيبدأ أولا بالأسهل الأرفق الخ) وينظر الى العاصي بنظر الرحمة ويرى اقدامه على المعصية صيبة على نفسه لكون المسلمين كنفس واحدة فان من أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر فهو على شفير جهنم فإياك ان تدفعه في قعر جهنم اذ قد يتعلق بك فتقع معه فيها وذلك انك ان أمرته بالاعطاء فله ان يتقوى عليك بالأذى باليد واللسان فتكون قد زدت شره على شره فتهلك به بعد اهلاكه نفسك

والنصيحة والتخويف بالله فإن لم يرجع أغلظ له الكلام وسبه من غير خش مثل يافاسق أو ياجاهل أو يامن لا يخاف الله تعالى وليحذر في استرسال غضبه من كذب صريح وخش قبيح وليحذر مما يفعله كثير من الاسترسال في الضرب بعد زوال المنكر فإن ذلك لما حاكم فقط فإن لم يقدر بفعله ككسراً وإني الخروا لآلات الله وغير ذلك ولا بقوله على ما فصل يجب الانكار بقلبه بأن يحزن ويكره ذلك ويود أن له قدرة فيغيره وهذا أمر صعب فإنه يظهر في كل حين وزمان كثير من المنكرات فلا تغير بل يقع السكوت عنها لاستئناس النفوس بها وكلما وجد منه تكرر وجاء بعده غيره صار سنة قد ألفتها النفوس فكانه قد زالت منه كبريته قال بعض العلماء والله ما بالي بكثرة المنكرات والبدع وإنما أخاف من تأنيس القلب بها ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم وذلك أضعف الإيمان أخبرني هذا الحديث أن التغيير بالقلب أضعف الإيمان وهو ما يجده المؤمن في قلبه من البغض لذلك الفعل المرئي وانزعاجه وقلقه وهو في الغالب إنما يحصل فيما يندرو وقوعه وأما الأشياء التي تشاهد في كل حين وزمان فتستأنسها النفس فلا يوجد في القلب القلق والانزعاج الذي هو أضعف الإيمان ويزيده وضوحاً ما ذكر في قوت القلوب أن الحسن البصري قال أول بدعة رأيتها بليت الدم ثم بعد ذلك بليت أصفر ثم عاد الأمر إلى العادة فإنه لقوة إيمانه ورؤيته ما لم يعهده قوى انزعاجه حتى تغير مزاجه وظهر أثره في مائه فلما استمرت تلك البدعة ولم يقدر على تغييرها تغير ذلك الانزعاج الأول لاستئناس النفس بها وبقي عناده من الانزعاج قدر ما يلزمه من التغيير بالقلب الذي لا يسقط بوجه من الوجوه قال العلامة ابن حجر المكي في شرح الأربعين النووية ينبغي لطالب الآخرة والساعي في رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم ولا ينبغي له أن يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإنه سبحانه وتعالى قال ولينصرن الله من ينصروه والأجر على قدر النصب ولا يحاني نحو صديق فإن حق الصديق أن ينصح صديقه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها ويسعى في عمارة آخرته وإن قصت دنياه ثم قال وما يتساهل فيه الناس أنهم يرون من يبيع المعيب فلا يبينونه للمشترى ولا ينكرونه على البائع وهم مسؤولون عنه والدين النصيحة انتهى فقد علم بما تقدم أن الأمر

(قوله أغلظ له) بالوعظ والنصيحة (قوله أو يامن لا يخاف الله تعالى) ونحو ذلك ويراعى فيه الصدق فإن مثل هذا الكلام صدق في الحقيقة إذا كل من يرتكب المنكر فاسق جاهل لا يخاف الله تعالى (قوله وغير ذلك) كمنع ظالم من نحو ضرب (قوله وظهر أثره في مائه) فإن مزاج الإنسان إذا تغير يظهر أثره في مائه ألا ترى الأطباء يستدلون على داء المريض برؤية مائه (قوله بوجه من الوجوه) إذا ما منع يمنعه منه وذلك أضعف الإيمان (قوله في شرح الأربعين النووية) ناقلاً عن المصنف (قوله والدين النصيحة) ومن لم ينصح فقد غش وقد نص العلماء على أنه يجب على

بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان باليد فان لم يقدر فباللسان ولا يكفي اللسان مع القدرة عليه
 باليد كما انه لا يكفي الانكار بالقلب مع القدرة باللسان وأقل الايمان الانكار بالقلب بمعنى ان
 التقرب الى الله بالأمر والانكار الحاصلين بالقلب ليس كالتقرب الذي في اليد واللسان وقد ذكر
 النبي صلى الله عليه وسلم ضعف هذا التقرب القلبي بقوله وذلك أضعف الايمان ليعلم المكاف حقارة
 ما حصل له في هذا القسم فيعرض الى غيره ثم انه كما يجب الأمر والنهي في الواجبات والمحرمات
 يستعجبان أيضا في المنذوبات والمنكر وهات ولذا في شروط مذكورة في المطولات قال العلامة ابن
 حجر في شرح المنهاج والكلام في غير المحتسب اما هو فيمنكر وجوبه على من أدخل بشئ من الشعائر
 الظاهرة ولو سنة كصلاة العيد والأذان ويلزمه الأمر بهما ولكن لو احتج في انكار ذلك لقتال لم
 يفعله الا على انه فرض كفاية وبهذا يجمع بين متفرقات كلماتهم انتهى وقال الامام الحلبي في
 شعب الايمان ورأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعاء الى الاسلام والقتال على الكفر
 والأصل ان يقوم بهم اساطان المسلمين لان اقامة الحدود والتعزيرات اليه والحبس والاطلاق له
 دون غيره فينبغي له ان ينصب في كل بلد وقرية رجلا صالحا فويا عالما أميناً وأمره بمرعاة ما يجري من
 الأحوال فلا يسمع منكر الا غيره ولا يترك معروفا محتاجا الى الأمر به الا أمر به ولا حد اوجب على
 فاسق الا اقامه ولم يعطه وكذا لا ينبغي ان يعطل حد ابعد ما وجب لا ينبغي أيضا ان يسرف في ذلك فيحد
 أو يقطع أو يقتل من غير وجوب ويسمى ذلك سياسة فليس بممكن ان يكون أحد أعلم بمصالح العباد
 وطريق سياستهم من الله تعالى فلو علم ان الحد والى شرعها لا تكفي لزيد فيها هذا وقد قال صلى الله
 عليه وسلم لعن الله من بلغ حدا في غير حد فهو من المعتدين وكل من جمع بين العلم والصالح فعليه ان
 يدعو الى المعروف ويرجز عن المنكر بقدر طاقتة فان أطاق ابطال المنكر بنفسه أو باستعانة غيره
 فعليه ما يطيقه الا ما كان طريقه الحد والعقوبة فان ذلك لاساطان لا غير وان لم يطق الا القول قال
 أو الانكار بالقلب أنكر وكذلك الأمر بالمعروف يتصور فيه الفعل والقول والارادة بالقلب قال
 صلى الله عليه وسلم من رأى منكر الحديث فقله فيه وذلك أضعف الايمان أى أضعف الايمان
 الذي هو انكار المنكر فلا يرد الاشكال بأن هذا الحديث جعل فيه الانكار القلبي آخر درجات
 الايمان وفي قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة قد جعل أدناها اماطة الاذى ويجوز
 ان يفرق بين الأضعف والأدنى بأن الأدنى ما بعد عن معاني القرب وان كان مرجعه اليها والأضعف
 ما يظهر وجه القربة فيه الا انه يكون من نوعه ما هو أقوى منه كإنكار المنكر باليد ابطاله ومعاقبة
 المتعاطيه وإنكاره باللسان زجرا عنه فان كلا منهما أقوى من إنكاره بمجرد القلب مع ظهور القربة

من علم ذلك ان ينكر على البائع ويعرف المشتري

فيه يرجوعه الى تعظيم أمر الله والتمسب له وهو فرض مكتوب على المكلف بخلاف امانة الأذى عن الطريق فانها بعيدة من معاني القرب ووجه القربة فيها أن لا يؤذى مسلم ومعلوم أنه يمكن السلامة منه مع عدم الامانة واذا أمانة فلا يسلم منه المسلم وحده بل كل ما في ذلك الطريق مسلم كان أو كافرا فلا يمكن التقطع بأن ما فعل حصل منه النفع للمسلمين أو أن حصل كان لهم دون أعدائهم ثم هو في نفسه خفيف الكلفة لا يكاد يكون في القرب أخف منه فلهذا كان أدنى شعب الإيمان وكان أقل من أضعف الإيمان الذي هو انكار المنكر في القلب ثم قال وينبغي للمصلحين في جميع الاوقات ان يجانبوا المفسدين ولا يخالطوهم بضيافة وغيرها ولا يشاوروهم ولا يصغوا اليهم فان ذلك نوع استدلال لهم يرجي ان يردهم عن الباطل الذي هم فيه انتهى وقد نبين لك ان من خاف على دينه حيث تعطل أمره فشاعت المنكرات وترك الآبادات وحكمت العادات ان يتجنبهم الا القدر الذي تدعوه اليه الضرورات ومع ذلك فليبعضهم في الله وليهجرهم لله ولا يستأنس بهم وليضطرب قلبه على قدر إيمانه بالله وغيرته على ارتكاب معصية الله فالانكار بالقلب فرض عين لا يتصور ان يكون فرض كفاية وكلما بعد عنهم قوى إيمانه بالله وكان من صرف توفيق الله قال الامام الحلي عند عده مباحة الكفار والمفسدين شعبه من شعب الإيمان ماملخصه بعد ان سرد الآيات الدالة على ان المسلم لا ينبغي ان يواد كافرين كائنات من كان وأشد الآيات على ذلك قوله تعالى ومن يتوهم منكم فانه منهم فليجتهد أن لا يكون من قلبه ولا من لفظه ولحظه بالميل اليه نصيب وليكن عليه أشد منه على قائل أبيه وأبنته وكيف لا وقد علم انه عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء فاذا أفكر المؤمن في حال الكافر وانه يتسكاه في الله تعالى بما لا يرضاه ويكذب رسوله ويتكلم فيه بما أجل الله عنه قدره وجب ان يكون ذلك أشد عليه من ان يناله بما يكره في نفسه أو والديه أو ولده فلا يزور كافرا ولا يعود له اذا مرض الا ان يتألفه فاذا دخل

(قوله عن الباطل الذي هم فيه) الى الحق الذي تركوه (قوله قال الامام أبو عبد الله) الحلي في المنهاج (قوله بعد ان سرد الآيات الخ) منها قوله لا تتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وقوله لا تتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم الخ غير ذلك مما ذكر (قوله فانه منهم) أي ومن والاهم منكم فهو من جلتهم وهذا التشديد في وجوب محاباتهم كما قال صلى الله عليه وسلم ان أبرىء من أهل ملتين تراءى ناراهما كما ياتي في كلام البيهقي (قوله أولياء) فتعقدوا عليهم وتعاشروهم معاشرة الأحياب (قوله الا ان يتألفه) بذلك على الاسلام قال الله تعالى ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة أو يكون جارا له فيكون في عيادته مراعاة حق الجار أو يخافه

عليه لم يدع له بالعافية الا ان يقرنها بالهدى ولا يبدأ بسلام ولو بغير لفظه الشرعي لان في ذلك تأنيسه
وينبغي ان ياجأ في الطريق الى أرذله في الحديث اذا القيم المشركين في الطريق فلا تبدؤهم بالسلام
واضطروهم الى أضيقة ولا يصاحبه فان مد الذم يده اليه أعطاه يده في كفه واذا رأى على وجهه كفرة أو
نوبه قد اقم يطعمه عنه ولا يقدمه على نفسه في مدخل ولا مخرج ولا يخاطبه الا بما يخاطب به ولا يطعمه
من طعامه ولا يعبره ثوباً أو قاماً أو مداماً اليكتب به الباطل ولا يزور اذا قدم من سفر ولا يهنئه بعيد
ولا ينبغي للامام ان يسأحهم في أمر الغيار وشدة الزنار وركوب الخيل ويمنعهم من اظهار كفرهم واسماع
مقاتلاتهم للمسلمين ويمنع المسلمين من الاصغاء الى ذلك الا ان يجادل المسلم مشركاً رغبة في اسلامه
ولا ينبغي للمسلم ان يقبل هدية مشرك لان النبي صلى الله عليه وسلم قال اننا لا نقبل زبد المشركين
ويحتمل ان يكون ذلك لان الهدية تعلق بالقب فتميله وربما يريد مكافأته فيصير ذلك من جواب
المودة ولا يوادهم أو يفشي البهم سرا ولا يتوكل عليهم في محاصمة ولا ينبغي للمسلم ان يتكفل عن كافر
مالاً لا يحبس وليتجر المسلم أن لا يكون جار الكافر لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتراءى ناراهما أي
يرى هذا نار ذلك وذلك نار هذا ولا ينبغي للمسلم ان يساط كافر اعلى مسلم بتوكيل ونحوه فان في ذلك

(قوله الا ان يقرنها بالهدى) فيقول شفاك الله وهداك أو أقامك مهدياً في عافية ونحو ذلك (قوله)
وينبغي ان يلجئه في الطريق) وجوباً عند ازدحام المسلمين فيه (قوله الى أرذله) لكن
يحيث لا يتأذى بنحو وقوع في وهداة أو صدمة جدار (قوله اعطاه يده في كفه) ولا ينتظر ان يكون
هو النازع ليده كما يفعله بالمسلم (قوله ولا يقدمه عليه في مدخل ولا مخرج) ولا يرفع مجلسه
ولا يلقي له وسادة ولا يعينه على ركوب ولا يقوم له من مجلسه (قوله الا بما يخاطب به) ولا يهدي
اليه مالا (قوله ولا يعبره ثوباً) يشهد فيه الكنيسة أو البيعة أو بيت النار أو يقرأ فيه الحرف
من التوراة أو الانجيل (قوله اذا قدم من سفر) الا ان يكون جاره (قوله ولا يهنئه بعيداً)
أو يروى أو مهرجان ولا يتابعهم على شيء مما يفعلونه في هذه الأوقات (قوله الزنار) وهو خيط
غليظ فيه ألوان يشد بالوسط (قوله وركوب الخيل) لما فيها من العز والفخر (قوله واسماع
مقاتلاتهم للمسلمين) كقولهم بالاقانيم الثلاثة وقولهم في عزير والمسيح انهما بنا الله والقرآن انه ليس
من الله وغير ذلك (قوله فتميله) أي نحو الهدى (قوله وربما يريد مكافأته) لانها تقيض
المكافأة فاذا وقع التهادى بين مسلم وكافر فيصير الخ (قوله في محاصمة) لمسلم قال تعالى ولا تكن
للخائنين خصيماً ولا يضمن عن كافر جزية ليخفف عنه بضمانه أو يدفع به صغار عنه (قوله ان
لا يكون جار الكافر) وينأى عنه ما أمكن فان حدث له جار كافر فلا بأس باستقراره في موضعه
(قوله ناراهما) أي لا ينبغي ان ينزل المسلم بقرب الكافر فيرى الخ

صغار الاخوانه المسلمين ولا يعمل الوالى منهم جلاد او نحوه فانه يتشقى بما يناله من المسلمين ولا ينبغي
للمسلم ان ينظر فى كتب المشركين ومقالاتهم قبل ان يحكم قواعدين الله ويرسخ فى علمه ويستبصر
بأصوله وحججه فيكون نظره حينئذ على بصيرة قاصدا بذلك ان يرى الله تعالى فضائلها وقبائحها
فينزل الشبهات ويكشف عن وجوه الضلالت فى تلك المقالات والفساق فى كثير من المعانى التى
مر ذكرها كالكفار فلا ينبغي ملاينتهم لان ملاينة العدل للفاسق تجبره وتنقص من عدالة العدل كما
ان ملاينة المسلم للكافر نقص من اسلامه فلا يجوز له ذلك ومن ملاينة الفاسق ان يراه متجاهرا
بفسقه وهو يقدر على ردعه فلا يردعه لحاجة له عنده رعاها وذلك قبيح لانه باع دينه بديناره وتلك
منه خيانة للإمانة والحدركل الحدركل الدخول على الظامة انتهى وبالجملة فكل من الكافر
والفاسق المتجاهر بفسقه لا يجوز موالاته وموالاته بوجه من الوجوه الا ضرورة دعت فيباح له قدر
الذى يدفع ضرورته الا انه يكره الكافر لكفره والفاسق المتجاهر بفسقه هذا ما كان من أحكام
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الاجمال وقد ضيع ذلك من أزمته متطاولة فلم يبق فى قلوب
المؤمنين الا الكراهة التى هى من صرف الايمان حيث لا مقر ولا مقر فكراهة كل ما لا يرضى الله
طاعة وإيمان كما انه لو أحب ذلك واستحسنه كان كفرا وخسرا وليس يغتفر المسلم بربه ان يثبتته على
الدين القويم ويهديه الصراط المستقيم ويصرف عن قلبه الاستئناس بكل قول سقيم أو فعل وخيم
وهذا بعض من الكلام فى هذه الأحكام (وأما أحكام الهجرة) فقد قال العلامة ابن حجر المكي
فى شرح المنهاج ما اخصه والمسلم بدار كفر أى حرب والظاهر ان دار الاسلام التى استولوا عليها
كذلك ان أمكنه اظهار دينه وأمن فتنه فيه ولم يرج ظهور الاسلام بمقامه فيه استحب له الهجرة الى
دار الاسلام لثلايكثروا دهم وور بما كادوه والالم تجب لقدرته على اظهار دينه ولم تحرم لان من شأن
المسلم بينهم القهر والعجز ومن لم يورج ظهور الاسلام بمقامه كان مقامه أفضل أو قدر على الامتناع

(قوله من المسلمين) وذلك صغارهم (قوله كما ان ملاينة الخ) أى من غير عذر (قوله خيانة للإمانة)
ودخول فى جلة أهل الخيانة وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم
(قوله من الدخول على الظامة) كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما بعث الله من نبي الا كان
بعده خلفاء يقولون ما يفعلون ويفعلون ما يؤمرون وسيكون بعدى أمراء يقولون ما لا يفعلون
ويفعلون ما لا يؤمرون قالوا كيف نصنع يا رسول الله قال من اعترضهم سلم ومن فارقهم نجا ومن كان
معهم هلك (قوله اظهار دينه) لشرفه وأشرف قومه (قوله أو قدر على الامتناع) والاعتزال وفيه ما
ذكره ابن قاسم بانه قد يقتضى وجوب المقام على الامام أو نائبه مع من معه من المسلمين اذا دخلوا دار
الحرب وقدر على الامتناع كما هو الغالب ولم يحتل أمر دار الاسلام بمقامهم هناك ولا يخلو عن البعد

ولم يرج نصره المسلمين بالهجرة كان مقامه واجبا ثم انه فصل حكم دار الاسلام بعد ارجاعها هل
 تعود أملاك المسلمين اليهم كما كانت أم تصير دار حرب فاطال في المقال وآخر ما قال مانصه فسلامهم
 صريح فيما ذكرته ان ما حكم بأنه دار اسلام لا يصير بعد ذلك دار كفر مطلقا وقال أيضا ولا يمكنه
 اظهار دينه أو خاف فتنة في دينه وجبت الهجرة ان أطاقها وأثم بالأقامة ولو امرأة وان لم تجد
 محرما لكن اذا أمنت على نفسها أو كان خوف الطريق دون خوف الإقامة فان لم يعطها فعذر وراقوله
 تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية والخبر الصحيح لا تنقطع الهجرة ما قوتل
 الكفار وخبر لا هجرة بعد الفتح أى من مكة لأنها صارت دار اسلام الى يوم القيامة واستثنى من في
 اقامته مصلحة للمسلمين أخذ ما جاء ان العباس رضى الله عنه أسلم قبل بدر واستمر مخفيا اسلامه الى
 فتح مكة يكتب باخبارهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحب القديوم عليه فيكتب له ان مقامك
 بمكة خير والاستدلال بذلك يتوقف على ثبوت اسلامه قبل الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم كتب
 اليه ذلك ولم يثبت كل ذلك وهو قد كان آمنا غير خائف من فتنة ومن هو كذلك لا تلزمه الهجرة فلا
 دليل في ذلك أصلا وذكر صاحب المعتمد ان الهجرة كما تجب هنا تجب من بلد اسلام أظهر بها حقا
 أى واجبا ولم يقبل منه ولا قدر على اظهاره ويوافقه قول البغوى في تفسير سورة العنكبوت يجب
 على كل من كان يبلد يعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغييرها الهجرة الى حيث تنهيا له العبادة لقوله تعالى
 فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين نقل ذلك جمع من الشراح وغيرهم منهم الأذرى والزركشى
 وأقروا وينازع فيه بما مر في الوليمة ان من يجواره آلات هو لا يلزمه الانتقال وعمله السبكي بان في
 مفارقة داره ضررا عليه ولا فعل منه فان قلت ذاك مع النقلة يصدق عليه انه في بلد المعصية فلم يلزمه
 بخلاف هذا فانه بالنقلة يفارق بلد المعصية بالسكنية قلت قضية هذا بل صريحه ان ذاك يلزمه الانتقال

فليتأمل اه (قوله واجبا) لان محله دار اسلام فلو هاجر لمار دار حرب ثم ان قدر على قتالهم
 ودعائهم للاسلام لزمه والا فلا (قوله مطلقا) وقد ذكر الأئمة الحنفية في ذلك تفصيلا حسنا قال في
 التنوير وشرحه للعلائي ما لفظه لا تصير دار الاسلام دار حرب الا بامور ثلاثة باجراة أحكام أهل الشرك
 وباتصالها بدار الحرب وبان لا يبقى مسلم او ذمى آمنا بالامان الاول على نفسه ودار الحرب تصير دار
 اسلام باجراة أحكام أهل الاسلام فيها الجمعة وعيد وان بقي فيها كافرا أصلى وان لم تتصل بدار الاسلام
 اه ومثله في الدرر (قوله فلا دليل في ذلك أصلا) قال ثم رأيت شيخ الاسلام الحافظ في الاصابة قال
 في ترجمته حضر بيعة العقبة مع الانصار قبل ان يسلم وشهد بدر مع المشركين مكرها فافتدى نفسه
 وعقيل اورجع الى مكة فيقال انه أسلم وكنتم قومه ذلك فكان يكتب الاخبار اليه صلى الله عليه وسلم
 ثم هاجر قبل الفتح بقليل اه وهو صريح فيما ذكرته ثم قال وذكر الخ (قوله بعد الذكري)

من البلد وهذا الم يلزمه به لانه اذا لم يلزمه من الجوار قالوا بل البلد على ان قضية كلام السبكي المذكور انه لا نظر لبلد ولا لجوار بل لاشقة وهي في التحول من البلد اشقى وبفرض اعتماد ذلك فيجب تقييده بما اذا لم يكن في اقامته مصلحة للمسلمين اخذنا من نظيره في الهجرة من دار الكفر بالأولى ثم رأيت الباقي صرح به وبان شرط ذلك أيضا ان يقدر على الانتقال لبلد سالمة من ذلك وان يكون عنده المؤن المعتبرة في الحج والحاصل ان الذي يتعين اعتماد في ذلك ان شرط وجوب الانتقال بهذه الشروط المذكورة ان تظهر المعاصي المجمع عليها في ذلك المحل بحيث لا يستحي أهله كلهم من ذلك تركهم ازالها مع القدرة لان الاقامة حينئذ معهم تعدا عانة وتقدير الهمة على المعاصي انتهى قال السبكي في شعبه عند ذكر الهجرة مانصه فالظاهر منها أي من الهجرة هو الفرار بالجسد من الفتن لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان ابري من أهل ملتين تراءى ناراهما فترا النبي صلى الله عليه وسلم منهم لعدم هذه الشعبة فيهم وهي الهجرة فهي اذا من أعظم شعب الإيمان ولقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الفتن فقال لا يسلم لذي دين دينه الا من فر من شاق الى شاق وقال الله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها الآية وفي البخارى والفرار من الفتن من الإيمان فما كان من الإيمان فهو من شعبه بلا شك فالفرار ظاهر من بين ظهري المشركين واجب على كل مسلم وكذلك كل موضع يخاف فيه الفتنة في الدين من ظهور بدعة أو ما يجزى الى كفر في أى بلد كان من بلاد المسلمين فالهجرة منه واجبة الى أرض الله الواسعة انتهى قال الامام الغزالي بعد سوقه كلاما كثيرا عن السلف مانصه فهذا يدل على ان من بلى ببلدة يكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذره في المقام بها بل ينبغى ان يهاجر قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه من ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغى ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس بل ينبغى ان يكون منزعا عن القلب منها قائل على الدوام ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل الطائعين والعاصين انتهى وقال الامام الخليلي في شعب الإيمان مانصه ومن الشرح بالدين

أى بعد ان تذكره (قوله ظالمى أنفسهم) أى في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة (قوله قالوا) أى الملائكة توبينخالهم (قوله فيم كنتم) أى في أى شئ كنتم من أمر دينكم (قوله قالوا) كما مستضعفين في الأرض) اعتذروا بما وبخوابه بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمته وقوله قالوا أى الملائكة تكذيبناهم أو تكبتنا وقوله فيها أى الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (قوله الآية) أى اقرأها وهي فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (قوله توفاهم) يحتمل الماضى والمضارع بحذف التاء

ان يهاجر المسلم من موضع لا يمكنه ان يوفى الدين فيه حقوقه الى موضع يمكنه فيه ذلك فان أقام بدار
الجهالة ذليلا مستضعفا مع امكان اتقائه عنها فقد ترك فرضا في قول كثير من العلماء لقوله تعالى ان
الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية لا يقال ليس في الآية تصريح بذكر المؤمنين فيجوز ان
يكون المراد بها الكافر الذي مال الى الايمان وأيضا فانزلت قبل فتح مكة فاما فتحت قال صلى الله
عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية لانا نقول ذكر العفو عمن استثنى منهم يرد ذلك فان
الله تعالى لا يعفو عن الكافر وان عزم على الايمان ما لم يؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد
الفتح معناه لا هجرة من مكة بعد ان صارت دار اسلام فلا يدل على نفي وجوب الهجرة من غيرها اذا
لم يمكن إقامة الدين فيه فانه كمكة قبل الفتح ولو صارت مكة والعباد بالله بحيث لا يمكن المقيم بها إقامة
دينه وجبت الهجرة منها أيضا لانها لما وجبت منها أولا لهذا المعنى حيث وجدت هذه العلة ثبت الحكم
وكل بلد ظهر فيه الفساد وكانت أيدي المفسدين أعلى من أيدي أهل الصلاح أو غلب الجهل على أهله
وسعت الأهواء فيهم وضعفت العلماء وأهل الحق عن مقاومتهم واضطروا الى كتمان الحق خوفا على
أنفسهم من الاعلان به فهو كمكة قبل الفتح في وجوب الهجرة منه عند القدرة عليها ومن لم يهاجر
منه والحالة هذه لم يكن من الأشحاء بدينه بل من السجحاء به المتساهلين فيه انتهى وقال في المجالس
والمهاجر ليس من هاجر من مكة الى المدينة قبل فتح مكة فقط حتى تنقطع الهجرة بعد فتح مكة بل
الهجرة باقية الى يوم القيامة لانها انتقلت من الكفر الى الايمان ومن دار الحرب الى دار الاسلام ومن
السيئات الى الحسنات وهذه الأشياء باقية مادام التكليف باقيا فالهجرة الكاملة هو الذي يترك
جميع ما نهى الله تعالى عنه من المعاصي ويستغل بما أمر الله تعالى به من محاسن الأعمال كما جاء في
حديث آخر انه عليه الصلاة والسلام قال المهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه فانه عليه الصلاة
والسلام بين في هذا الحديث ان الهجرة التامة الكاملة هي هجران الفواحش والمنكرات والجسد
في الطاعات والعبادات لكن ينبغي ان يعلم ان صحة الطاعات والعبادات موقوفة على صحة الاعتقاد
لان الايمان أصل والعمل فرع والعبد اذا لم يعرف ما الايمان والهداية لا يعرف ما الكفر والضلالة
فتارة تجرى على لسانه كلمة التوحيد على طريق الاعتقاد لا بالعلم والاعتقاد وتارة يتلفظ بألفاظ الكفر
فيدخل في حيز الارتداد ومن كان في الاعتقاد بهذه المرتبة لو بقي ألف سنة في الصوم والصلاة ان
وقرى توفاهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يكفرهم
من استيقظوا فيستوفونها (قوله فانزلت الح) في ناس من مكة أساءوا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة واجبة (قوله عمن استثنى منهم) حيث قال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا
غفورا (قوله بعد ان صارت دار اسلام) وزال المعنى الموجب للهجرة منها (قوله والعبادات)

ينفعه ذلك الاعتقاد يوم العرض الأكبر ومصيره إلى النار ومن زعم أنه مسلم وتقاعد عن تعلم قدر ما هو فرض عين عليه من الإيمان لا يوجد فيه من الإيمان إلا مجرد الدعوى وهذا النوع من الإيمان إنما يظهر فائدته في الدنيا حيث لا يؤخذ منه الجزية كما تؤخذ من الكفار لكن يتعذر له الوصول في العقبي التي درجة الأبرار فإن العبد بمجرد الإيمان بكلماتي الشهادة وتقرير الفاظ الإيمان على طريق العادة وعد نفسه من المؤمنين من غير فهم معناها لا يصير مؤمناً بينه وبين الله تعالى حتى يصدق بقلبه جميع شرائعه وينقاد في جميع أحكامه ولا يتشكك ولا يتردد في شيء منها ولو جود هذا التصديق والانقياد في القلب علامات منها أن لا يفرغ عن أمر دينه بل يسعى في إصلاحه بتعاله من أهله والعمل به ومنها أن لا يشق على قلبه إذا أخبر عن شيء من أمر دينه ولا يتهاون به ولا يتكبر عنه بل يقبله ويطيعه وإن كان ذلك الأمر في غاية الصعوبة والخبر في غاية الخقارة ومنها أن لا يكون هو أميراً والشرع تابعاً له بل لا يأخذ من الشرع شيئاً إلا ما يوافق هو بل يجب أن يكون الشرع أميراً وهو أسيراً فلا يأخذ من هو أمراً إلا ما يوافق الشرع وإن كان فيه نقصان المال والجاه والعرض كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو تابعاً لما جئت به فإذا وجد في العبد تلك العلامات كان مؤمناً حقاً وهذا هو الإيمان المنجى من العذاب الأبدي لكن بشرط التحفظ من جميع ما يهدم هذا التصديق وينافيه مما يجري على قلبه ولسانه وسائر جوارحه مما يوجب الكفر فإن الإيمان لا يزول إلا بالكفر والكفر ثلاثة أنواع النوع الأول كفر جهلي وسببه عدم الأصغاء وعدم الالتفات وعدم التأمل في الآيات والدلائل مثل كفر العوام فإن أكثرهم لا يعرفون ما وجب عليهم معرفته من عقائد الإيمان بل بعضهم ينطق بكلماتي الشهادة لكن لا يعرف معناها ولا يميز بين الله تعالى ورسوله والنوع الثاني كفر جحودي وسببه إما الاستكبار مثل كفر فرعون وملئه أو خوف زوال الرياسة وعدم الوصول إليها مثل كفر هرقل أو خوف الذم والتعير

كما قال صلى الله عليه وسلم من جلة الحديث الذي رواه عنه فضالة بن عبيد والمهاجر من ترك الذنوب والخطايا وهذا الحديث رواه البغوي في حسان المصابيح (قوله كفر جهلي) والجهل هو عدم العلم عمن من شأنه أن يكون عالماً وهو نوعان بسبباً ومركب (قوله والدلائل) الدالة على الوحدة (قوله عدم الأصغاء) أي الاستماع (قوله ولا يميز بين الله تعالى ورسوله) فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله كفر جحودي) وعنادي أي بخذل الدين الحنيفي بعد تيقنه (قوله أما الاستكبار) عن الحق (قوله مثل كفر فرعون وملئه) قال تعالى فاستكبروا وكانوا قوماً غاليين أي عن الدخول عندا وكبروا وقالوا أي فرعون وقومه أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهم لنا عابدون (قوله مثل كفر هرقل) وقد جاء في حقه كافي فتح الباري مرفوعاً آتتني أم على آخرته (قوله

مثل كفر أبي طالب والنوع الثالث كفر حكيم وهو الذي جعله الشرع من علامات التكذيب كشدة الزنا وسجود الصائم أو كان عن استخفاف ما يجب تعظيمه كاللقاء المصحف في المزرلة واستهزاء العلم والعلماء وما هو من أمور الدين أو عن استحلال ما حرم لعينه وثبت حرمة بدليل قطعي كالزنا وشرب الخمر انتهى وهذا آخر ما أردنا ذكره من بيان الأساس الذي بنى عليه الاسلام فقيام الدين بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ بأهله تناسط الاحكام ويتم النظام وفيه بيان ما قالته العلماء فيمن وجبت عليه الهجرة وفيمن لم تجب عليه ممن لم يقدر عليها لعارض مرض أو غيره أو لم يجد أحسن منها في اصلاح دينه واطهار يقينه ولو تتبع ما بسطت العلماء فيه أقوالهم وأطلقت اللسان في الناس مبيناً أحوالهم المال المقال واتسع المجال لفقات المقصود من بيان أصول المسائل الدينية على وجه الاجمال وعلى الله قصد السبيل ولو شاء هذاكم أجمعين

الباب الرابع عشر في بيان أحكام المرتدين وأحكام تارك الصلاة وما نعى الزكاة مع بيان حكم من ترك شيئاً من باقي شرائع الدين وهل يجب مقاتلتهم على الامام وهم تحت اسم الاسلام

اعلم ان الردة أعادنا الله منها لغة الرجوع وقد تطلق على معنى الامتناع عن الحق كما نعى الزكاة في زمن أبي بكر الصديق المدعى بعضهم عدم وجوب أدائها الى الامام فهم أهل بغى أطلقت عليهم لدخولهم في غمار أهل الردة وسموا مرتدين بهذا المعنى الثاني وشرعاً قطع الاسلام ممن صرح عنه وهي أخش أنواع الكفر وأغلظها حكماً وانما تحبط العمل عند امامنا الشافعي ان اتصلت بالموت أما احباط ثواب الأعمال قبلها فبالوفاق ولا تصح ردة صبي ومجنون ومكره اذا كان قلبه مطمئناً باليمان ولو ارتد جفن لم يقتل في جنونه ومذهب الشافعي وغيره صحة ارتداد السكران وتقبل الشهادة بالردة مطلقاً من غير تفصيل فلا يحتاج الشاهد الى تفصيلها لانها لخطر لا يقدم العدل على الشهادة بها الا بعد من يدتحر وقيل يجب التفصيل قال بعض الفقهاء وهو القياس ويجب استنابة المرتد والمرتدة لاحترامهما بالاسلام ورماعرضت لهما شبهة فتراجع وفي قول آخر تستحب كالسكافر الأصلي وهو على القواين في الحال للخبر الصحيح من بدل دينه فاقتلوه فان أصر اقتلا والنهي عن قتل النساء محمول على

مثل كفر أبي طالب) الذي مات عليه كما ورد انه لما اطلب منه صلى الله عليه وسلم التكلم بكلمتي الشهادة قال له لولا مخافة ان يعيرني قريش تقول انما حمله عليه الجزع لا قررت بهما عينيك (قوله كفر حكيم) أي حكم عليه به شرعاً كما قال (قوله من علامات التكذيب) أي للرسول (قوله فبالوفاق) كما ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فیه من وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وقوله ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وقوله لنن أشركت ليحبطن عملك وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولما كان النزاع فيما اذا ارتد

الحرىات والسيد قتل قنه والقتل بضرب العنق ولا يتولاه الا الامام أو نائبه وإن أسلم صح اسلامه وترك لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل لا يقبل اسلامه ان ارتد الى كفر خفي كالزنادقة والباطنية قال العلامة ابن حجر المكي في التحفة لان التوبة عند الخوف عين الزندقة والزندق من يظهر الاسلام ويخفي الكفر وفرقه بعضهم عن المنافق بأنه من لا ينتحل ديناً والباطني من يعتقد ان للقرآن باطناً غير ظاهره وأنه المراد وحده أومع الظاهر وليس منه خلافاً لمن وهم فيه اشارات الصوفية التي في تفاسيرهم كتفسير السامي والقشيري لان أحد امنهم لم يدع انها مرادة من لفظ القرآن وانما هي من باب ان الشيء يدكر ماله به نوع مشابهة وان بعدت ولا بد لقبول اسلامه من النطق بالشهادتين ولا يكفي الرجوع فقط لان تركه التللف بهم مامع قدرته عليه وعامه بشرطه أو شرطه لا يقصر عن نحو رمي مصحف بقدر ولا بد من البراءة من كل دين يخالف دين الاسلام أو يرجوعه عن الاعتقاد الذي ارتد بسببه انتهى واعلم ان الصلاة من أهم أركان الاسلام وأقوى الذرائع للدخول في دار السلام فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بين العبد والكفر ترك الصلاة ومعناه ان بين العبد وبين ان يصل الى الكفر ان يترك الصلاة وقد اتفق على تأكيد وجوبها والتهديد على تركها السكاب والسنة واجماع الأمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ووردت الوعيدات الشديدة والتهديدات الغليظة على تاركها فمن جلتها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة متمعداً فقد كفر جهاراً فهي كما ورد عماد الدين ومن هدمها فقد هدم الدين وقد اختلف العلماء في كفر تاركها عمداً ابلاغاً فقال جماعة من الصحابة منهم عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف ومن غيرهم كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنسعي والحنبل بن عتبة وأبي أيوب السخستاني وأبي داود الطيالسي وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم الى كفره وذهب آخرون الى انه لا يكفر وجاهلوا الأحاديث التي تدل على كفر تاركها على من تركها جاحداً أو على الزجر والوعيد بمعنى ان المؤمن لا يتركها ومن أدانهم على عدم كفره قوله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات افترضهن الله تعالى من أحسن وضوأهن وصلأهن لوقتهن وأتمركوهن وسجودهن وخشوعهن كان له عند الله عهد أن يغفرله ومن لم يفعل ليس له على الله عهد ان شاء غفرله

ثم عاد الى الاسلام هل تحبط الاعمال التي عملها قبل الردة أم لا تحبط الا اذا مات مرتداً على قولين مشهورين بين الشافعية والحنفية (قوله بين العبد والكفر ترك الصلاة) رواه مسلم (قوله) وذهب آخرون الى انه لا يكفر) واما حديث مسلم بين العبد وبين الكفر الخ فهو محمول على تركها

وان شاء عذبه فقلوبه ان شاء غفر له دليل على عدم كفره لاجتماع على ان الكافر لا مغفر له قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك ان يشاء ثم اختلفوا في حد تاركها بلا عذر فقال حماد بن زيد ومكيحول والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل يقتل الا انه عند أحمد يقتل كفر او عند غيره من هؤلاء يقتل حدا لا كفر او حملوا الأحاديث الدالة على كفر تاركها على استحقاق جزاء الكفر وليس للكفر في الدنيا جزاء غير القتل وعند أبي حنيفة لا يكفر ولا يقتل بل يحبس أبدا وقيل يضرب ضربا شديدا حتى يسيل منه الدم مبالغة في الزجر وقيل يضرب ضربا شديدا حتى يصلي أو يموت وأما الزكاة فلم تمنع منها لا يقتل وانما لم نقل بقتله وان قل به جماعة لانه ان امتنع أمكن تحصيلا منه بالقتال والأمكن تحصيلا منه بالقتال فميجز القتل هنا لاضرورة اليه بخلافه في تارك الصلاة لانه اذا امتنع لم يمكن استيفاء هأمانه فغلظت عقوبته بالقتل ما لم يتب بان يصلي وعلى كل حال فهي قرينة الصلاة حشا وزجرا ولما كان في منع الزكاة ما ورد من التشديدات العظيمة والتشديدات الجسيمة كان وجه الحكم في ايجابها هو الامتحان في التوحيد لأن التلفظ بكلمة الشهادة التزام بالتوحيد وشهادة بانفراد المعبود وادعاء لمحبه فان من يقول اشهد ان لا اله الا الله يصير كأنه قال رأيت بقلبي وعامت بعقلي ان لا معبود ولا محبوب الا الله فالتزمت عبادته ومحبهه ولا أعبد ولا أحب الاياه فيلزم الوفاء بما ادعاه من التوحيد في المحبة وتتمام الوفاء ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الفرد الواحد لأن المحبة لا تقبل الشراكة والتوحيد باللسان قليل النفع وانما يظهر درجة المحبة بمفارقة المحبوبات والأموال محبوبة للخلق لكونها آلة لتنعمهم وقضاء حاجاتهم في الدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون من الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا في صدق دعواهم في المحبة

محمد أو المراد بين ما يوجب الكفر جمع بين الأدلة (قوله وان شاء عذبه) رواد أبو داود وصححه ابن حبان (قوله يقتل) ولو ترك الشهادة للصلاة قتل كما جزم به الشيخ أبو حامد لانه ترك لها ويقاس بها الاركان وسائر الشروط نعم محله في المتفق عليه أو كان فيه خلاف واه بخلاف القوي ففي فتاوى القفال لو ترك فاقد الطهورين الصلاة متممدا ومس شافعي الذكر وليس المرأة أو توضأ ولم ينو وصلى متممدا لا يقتل لان جواز صلاته مختلف فيه وقيده بعضهم بما اذا قاتل القائل بذلك والا فلا قائل حينئذ بجواز صلاته قال والذي يتجه قتله لانه تارك لها عند امامه وغيره فعلم ان ترك التيمم كترك الوضوء وان وجب اجساها ومع خلاف ولم يقتل القائل بعدم وجوبه انتهى والاوجه الاخذ بالاطلاق كما قاله ابن الرمي (قوله محبوبة للخلق) قال تعالى وآتي المال على حبه وقال وانه لب الخير لشديدي يعني حب المال وانما كانت الاموال محبوبة لهم لكونها آلة لتنعمهم الخ (قوله مع ان فيه لقاء المحبوب) ولذلك صار الاجل المال يركبون البحار ويقتحمون الاسفار ويواصلونها

ببذل المال الذي هو معشوقهم هذا ما كان في حق المنفرد الممتنع عن الصلاة والزكاة وأما ولو القوة كالقبائل والقرى فيقاتلهم الامام على ترك الصلاة وأداء الزكاة وجوباً بالحديث الصحيح أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموهم وامنوا بمواظمتهم على الحق الاسلام وحسابهم على الله قال العلامة ابن حجر المكي في شرح هذا الحديث ما ملخصه عند قوله يقيموا الصلاة أي يأتوا بها على الوجه المأمور به ويدأموها عليها وفيه دليل لقتل تاركها غير الجاحد لوجوبها وهو ما عليه أكثر العلماء لأنه غيا الأمر بالقتال بفعلها فإلّا يفعلها فهو مقاتل وجوباً ويلزم من قتاله قتله غالباً واحتمالاً فدل على جواز بل وجوب قتله وسياق الحديث وان كان في الكافر لكن المسلم أولى منه بذلك لأنه تركها مع اعتقاده وجوبها بخلاف الكافر ومن ثم قضى المرتد ما فاتته في زمن ردة بخلاف الكافر الأصلي ثم قال عند قوله دماءهم وأموالهم وهي كمالها صحاير ادنحو البيع عليه وأريد به هنا ما هو أعم من ذلك حتى يشمل الاختصاصات ولا ينافي ما تقررها هو معلوم بالضرورة أنه صلى الله عليه وسلم كان يعصم الدم بالشهادتين ومن ثم اشتد تكبيره على اسامة تقتله من قائلها لأنه وان كان يقبل بمجرد النطق بالشهادتين لكنه لا يقر من نطق بهما على ترك صلاة ولا زكاة ومن ثم أمر معاذاً بالمابعة صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ان يدعوهم أولاً إلى الشهادتين وان من أطاعه بهما أعلمه بالصلاة ثم بالزكاة فيعلم انه بهما يعصم ويحكم باسلامه ثم ان أتى بشرائع الاسلام فظاهره والاقوال ذواتها ثم انه أتى بروايتين أخريتين وقال وليس في الأحاديث الثلاثة ذكر الصوم والحج فيحتمل ان هذه الثلاثة كانت قبل فرضهما فيعطيان حكمهما من المقاتلة عاينهما ولك ان تقول انهما اذا اخلان في قوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وبما جئت به فانه شامل لدينك وغيرهما من جميع ما علم من دينه صلى الله عليه وسلم بالضرورة وقد استدلى الصديق رضي الله عنه بالرواية الأخرى التي ليس فيها الا حق كلمة الشهادة فجعل بكامل استنباطه ودقة فهمه مقابلة ما نهي الزكاة من أعلى حقوق الاسلام وبالجملة فالواجب على الامام مقابلة من ترك الصلاة أو منع الزكاة أو ترك حق من حقوق الاسلام الظاهرة التي هي من شعائره وقد أجمعوا على جواز أخذ أموالهم اذا أصروا وعاندوا وأجمعوا على عدم جواز سبي ذرارهم فهم والمرتبون في هذا الحكم من واحد واحد واعلم انه يجب على الامام انفاذ الحدود الشرعية وله ان

بسببه ويقاتلون عنه كما يقاتلون عن نفوسهم ويشحون به كما يشحون بأولادهم (قوله فجعل) أي الصديق رضي الله عنه وقال والله لا قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال أي كان الصلاة حق البدن وقد قرن الله بينهما فلا فرق فكما كنت أقاتلهم على الصلاة لو تركوها فكذلك أقاتلهم على الزكاة اذا منعوها

يعزر في كل معصية لاحد فيها ولا كفارة بحبس أو ضرب أو صفع أو توبيخ على حسب اجتهاده في جنسه وقدره لأنه مأخوذ من العز وهو المنع والنكال والاجبار على الأمر والتوقيف على الحق وكل ذلك غير مقدر فوكل الى رأيه لاختلافه باختلاف مراتب الناس ويجب على الامام ان لا يقطع الجهاد في كل سنة الا اذا قامت الأعذار الواضحة الموجبة لتأخيرته فله حينئذ ذلك وان يث السرايا في كل جهة من جهات العدو ويؤمر الصالحين العارفين بطرق الحروب ويوصيهم بتقوى الله بعد ان يستعرض الجيش في رأه ضعيفا آخره وان رأى في دوابهم ما لا يصلح أمر بابداله وكذلك أسلحتهم ومن كان منهم غير تام السلاح أمر بآتمامه ويرد الجبان المخذل ان علمه ويا امر الجنود ان يطيعوا أميرهم ولا يدعوا له النصيحة ولا يتخذ بعضهم بعضا وان أظفرهم الله بعدوهم لم يغاؤوا ولم يخونوا الى غير ذلك من الآداب التي يحتاجون الى معرفتها قال الامام الحليم لا يخفى ان الجهاد من أعظم أركان الدين لأنه لا شيء أعز على أحد من الحياة فاذا بلغ به تعظيم الله تعالى وحبه والغيط على من يشرك به ويعصيه رضى بما قد يؤل أمره اليه من ان يقتل ولم يرض ان يرى عدو الله ماشيا على وجه الأرض متنحيا بالحياة متقلبا في نعم الله تعالى وهو مع ذلك يكفر به اما بان يحجده أو يشرك به مالا خلق له

(قوله في كل معصية) لله أو لآدمي (قوله لاحد فيها) أراد به ما يشمل القود ليدخل نحو قلع الطرق (قوله أو صفع) وهو الضرب بجمع الكف أو بسطها (قوله أو توبيخ) باللسان (قوله من العز) بفتح فسكون (قوله باختلاف مراتب الناس) والعاصين (قوله فله حينئذ ذلك) ويسن ان يبدأ بقتال من يلونا الا ان يكون الخوف من غيرهم أكثر فيجب البداة بهم وان يكثرت الاستطاع (قوله السرايا) جمع سرية وهي من مائة الى خمائة (قوله ويؤمر الصالحين) فان أمر فاسق حرم (قوله العارفين بطرق الحروب) لأن القوم الى أمرائهم ينظرون وان رأوا من أميرهم كسلا كسلوا أو فشلا فشلوا وان ثبت ثبوتوا وان رجع أو جنح للسلم أو جدهم كذلك (قوله بتقوى الله) وطاعته والتيقظ ويحذرهم الشتات والفرقة والاهمال والغفلة (قوله ضعيفا) بكبر أو مرض (قوله ويرد الجبان المخذل ان علمه) ومن صعب الجيش من غير المقاتلة فمن علم فيه فائدة للمقاتلة خلاه ومن خاف ان يصير كلاء على ممرده (قوله الجنود) بالضم العسكر والأعوان والأضار (قوله ان يطيعوا أميرهم) ويسمعوا ولا يختلفوا عاينه (قوله ولا يتخذ بعضهم بعضا) ولا جاعتهم الاير (قوله ولم يخونوا) ولم يقتلوا امرأة لا تقاهاهم ولا وليدا ولا يعقروا دابة لا تكون تحت مشرك وانهم ان وصلوا الى قرية لا يدرون حالها مسكوا ولم يشنوا عليهم الغارة حتى يعملوا حالها (قوله الجهاد) هو بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك

ولا رزق ولا نفع ولا ضرر دعت إليه إلى أن يجاهده فاما ان يردده إلى الحق واما ان يقتله أو يقتله
العدو ثم قال وينبغي ان تكون نية الامام صيانة حوزة الاسلام واعلاء كلمة الله تعالى وحمل عباده
على دينه وطاعته واتباع أمره وعبادته ثم قال بعد ما تكلم واذا مضوا باسم الله فلقوا العدو
فليتعودوا بالله منهم وليقولوا اللهم اننا نندرك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا قاتلوا
فليقولوا اللهم بك نصول وبك نحول وليقولوا اياك نعبد واياك نستعين اللهم منزل الكتاب سريع
الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وليكن شعارهم حم لا ينصرون إلى غير ذلك من
الآثار المذكورة في هذا الباب وبالجملة فليكن نظرا امام المسلمين الجمع على معنى كلمة التوحيد فيقاتل
المشركين على شركهم والكفار على كفرهم والعاصين على معصيتهم عاملا بكتاب الله متبعين السنة
رسول الله في هذا الأمر المسلمون ومثل هذا فليعمل العاملون

﴿الباب الخامس عشر في معرفة البدع وأنواعها﴾

اعلم ان البدعة لغة المحدثه مطلقا واصطلاحا اذا قوبلت بالسنة يراد بها المحدثه في الدين اما بزيادة أو
نقصان وهي السيئة التي ليس لها أصل ظاهر من الكتاب والسنة أو سند صحيح استنبطه علماء الأمة
فاما ما كانت حسنة ناشئة عن هذه الأصول فهي قد تكون مباحة كاللواظبة على أكل لب الخنطة
والشبع منه مثلا

(قوله وعبادته) وكذلك ينبغي ان تكون نية الجند وأمرهم (قوله ندرأ) نمنع (قوله
بك في نحورهم) بضم نين جمع نحرو وهو موضع القلادة من الصدر وهو المنحر والمعنى كما قال
صاحب المقاتيح اللهم اننا نجعلك في آراء أعدائنا حتى تدفعهم عنا انتهى (قوله ونعوذ بك الخ)
كالعطف التفسيري (قوله نصول) أي نسطو ونقهر من الصولة وهي الجملة والوثبة (قوله
نحول) أي نتحرك وقيل نحتال وقيل ندفع فنمنع من حال بين الشينين اذا منع أحدهما عن الآخر
(قوله منزل الكتاب) بالتخفيف ويجوز تشديده والمراد جنسه أو القرآن (قوله الأحزاب)
الطوائف من الكفار مفردة حزب وقوله واهزمهم بكسر الزاي أغلبهم والضمير راجع إلى الأعداء
الموجودين وقوله وزلزلهم أي اجعل أمرهم مضطربا (قوله من الآثار المذكورة في هذا الباب)
كان يقول في عامة أحوالهم حسبنا الله ونعم الوكيل وان حصبهم فليقولوا شاهت الوجوه وان
رموهم فليقولوا ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى (قوله كاللواظبة على أكل لب الخنطة)
فالمبالغة في تطيب الدقيق وتحسينه وازهاب نخاله وأخذ لبابه أمر مبتدع (قوله والشبع منه)
بكسر أوله وفتح ثانيه وسكونه مصدر شبع امتلاء بطنه وبعضهم يجعل الساكن اسم ما يشبع به من
خبز ولحم وغيرها وقد قيل ان أول بدعة حدثت الشيع مطلقا والزيادة عليه حرام ان أضرت أو كانت

وقد تكون مستحجة كبناء المنارة وتصنيف الكتب وقد تكون واجبة كنظم الدلائل لرد
 كيد الملاحدة وشبه الفرق الضالة وقد وقع من ذلك عن الصحابة شيء كثير كما وقع لأبي بكر وعمر
 ولزيد بن ثابت في جمع القرآن فان عمر أشار به على أبي بكر خوفا من اندراس القرآن بموت
 الصحابة رضوان الله عليهم لما كثرت فيهم القتل يوم اليمامة وغيره فتوقف أبو بكر رضي الله عنه
 لكونه صورة بدعة ثم شرح الله صدره لفعله لأنه ظهر له انه يرجع الى الدين وانه غير خارج عنه ولما
 دعا زيد بن ثابت وأمره بالجمع قال له كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 والله انه حق وكما وقع لعمر في جمع الناس لصلاة التراويح في المسجد مع تركه صلى الله عليه وسلم
 لذلك بعد ان كان فعله ليالي وقال أعني عمر نعمت البدعة هي لأنها وان سبها بدعة باعتبار معناها
 اللغوي فليس فيها رد لما مضى وزيادة في الدين بل هي من الدين لأنه صلى الله عليه وسلم علل الترك
 بخشية الافتراض وقد زال بوفاته صلى الله عليه وسلم فخشنا الدم ما قاد الى شيء من مخالفة السنة ودعا
 الى الضلالة قال ابن حجر المكي ما حاصله والحاصل ان البدع منقسمة الى الأحكام الخمسة لأنها اذا

من طعام الغير ولم يعلم رضاه بذلك والافلاحمة (قوله المنارة) في المصباح المنارة التي يوضع عليها
 المصباح وهي بفتح الميم مفعلة من الاستنارة والقياس كسر ها لأنها آلة والمنارة التي يؤذن عليها
 وجعها مناو وبالواو لا بالهمزة لأنها أصلية كما لا تهمز بياء معايش لذلك وبعضهم يهمزها يقول منائر
 تشبهها الأصل بالزائد كما قيل مصائب والأصل مصاوب انتهى (وتصنيف الكتب) في العلوم
 المنسوبة نقلها اماما يجب نعلمه ولو كفاية فالتصنيف كتب به فرض كفاية صرح به الزركشي من
 الشافعية وغيره (قوله وشبه الفرق) بضم ففتح جمع شبهة وذلك فرض كفاية على الصالحين له
 ويجب ان يكون في كل ناحية من له قدرة على القيام بذلك ودفع الشبهة أمارد كل من أصحاب المذاهب
 الأربعة على مخالفتهم في الحكم فهذا كما قال الشافعي في معيد النعم مما لا ينبغي بل الذي يطالب
 منهم تأييد بعضهم لبعض والاجتماع على رد ذوى الزيغ والباعد وتنازعهم فيما بينهم يشغلهم عن ذلك
 فيفرح المبتدعة (قوله انه الحق) ولم يزل يراجع حتى شرح الله صدره للذي شرح له صدرها
 (قوله ليالي) أي ثلاث وفي الليلة الرابعة دخل الى الحجرة بعد ما صلى الفريضة ولم يخرج اليهم فلم يزالوا
 ينتظرون خروجه وظنوا انه نام فجعل بعضهم يتنحنح وبعضهم يقول الصلاة خرج اليهم وقال
 خشيت ان تفرض عليكم فصلاوا أيها الناس في بيوتكم فان أفضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة
 (قوله باعتبار معناها اللغوي) وهو ان عمر رضي الله عنه جمعهم على امام واحد وأسرج المسجد
 فصارت هذه الهيئة عملا لم يكونوا يعملونه من قبل فسمى بدعة باعتبار المعنى اللغوي ولم تكن بدعة
 شرعية لأن السنة اقتضت انه عمل صالح لولا خوف الافتراض وخوف الافتراض زال بموته صلى الله

عرضت على القواعد الشرعية لم تخل عن واحد من تلك الأحكام فمن البدع الواجبة على الكفاية الاشتغال بالعلوم العربية المتوقفة عليها فهم الكتاب والسنة كالنحو والصرف واللغة والمعاني والبيان ومن المحرمة مذهب سائر البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة ومن المدونة أحداث نحو المدارس وكل احسان لم يعهد في العصر الأول ومن المنكر وهمة زخرفة نحو المساجد ومن المباحة اتوسع في لذيل المآكل والشارب انتهى والقول الفصل الموضح لما تقدم هو ان البدعة لها معنيان أحدهما لغوي وهو المحدث مطلقا سواء كان من العادات أو العبادات وثانيهما شرعي وهو الزيادة في الدين أو النقصان منه من غير اذن من الشارع لا قول ولا فعلا ولا صريحا ولا إشارة فالبدعة التي هي ضلالة كما في الحديث هي بحسب معناها الشرعية فيقتصر بها على غير العادات من العبادات التي هي لأصول الشريعة من الكتاب والسنة والاذن من الشارع مخالفات فللمنارة عون للمؤمنين لاعلام وقت الصلاة وتصنيف الكتب عون للتعليم ونظم الدلائل لرد الشبه ذب عن الدين فكل ذلك مأذون فيه لأن البدعة الحسنة مالم يحتج اليه الأوائل واحتاج اليه الأواخر وعند الاستقراء لا توجد هذه البدعة في العبادات البدنية المحضة كالصوم والصلاة والذكر والقراءة بل لا تكون البدعة فيها الا سيئة قال صاحب مجالس الأبرار مالم يخصه لأن عدم وقوع الفعل في الصدر الأول اما لعدم الحاجة اليه أو لوجود مانع أو لعدم تنبه أو لتكاسل أو لكراهة أو لعدم مشروعية الأوائل منتفیان في العبادات البدنية المحضة لأن الحاجة في التقرب الى الله لا تنقطع وبعد ظهور الاسلام لم

عليه وسلم فاتفق المعارض وهكذا جمع القرآن فان المانع من جمعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ان الوحي لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء فلو جمع في مصحف واحد لتعسر أو تعذر تغييره كل وقت فلما استقر القرآن واستقرت الشريعة بموته صلى الله عليه وسلم أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه وأمنوا من زيادة الإيجاب والتحریم والمقتضى للعمل قائم بسنته صلى الله عليه وسلم فعمل المسلمون بمقتضى سنته وذلك العمل من سنته وان كان يسمى في اللغة بدعة (قوله ودعا الى الضلالة) ثم البدعة لا تخلو اما ان تكون في الاعتقاد أو في العبادة أو في العادة فالتى في الاعتقاد يكون بعضها كفر أو بعضها ليس بكفر لكنها أكبر من كل كبيرة حتى القتل والزنا وليس فوقها الا الكفر والتى في العبادة وان كانت دون الاولى الا ان فعلها عصيان وضلال لاسيما اذا صارت سنة والتي في العادة ليس في فعلها عصيان وضلال بل ترك الاولى (قوله الى الأحكام الخمسة) وهي الإيجاب والتدب والتحریم والكراهة وخلاف الاولى (قوله والبيان) بخلاف العروض والقوافي ونحوها (قوله المدارس) جمع مدرسة وهي محل الدرس للعلم (قوله زخرفة نحو المساجد) كتزييق المصاحف (قوله المنارة عون لاعلام وقت الصلاة وتصنيف الكتب عون للتعليم)

يكن من مانع ولا يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم عدم التنبه أو التكاسل فذلك أسوأ الظن المؤدى إلى الكفر فلم يبق إلا كونها سيئة غير مشروعة وكذلك يقال لكل من أتى في العبادات البدنية المحضة بصفة لم تكن في زمن الصحابة إذ لو كان وصف العبادة في الفعل المبتدع يقتضى كونه بدعة حسنة لما وجد في العبادات ما هو بدعة مكرهة ولما جعل الفقهاء مثل صلاة الرغائب والجماعة فيها ومثل أنواع النعمات الواقعة في الخطب وفي الأذان وقراءة القرآن في الركوع مثلاً والجهر بالذكر امام الجنازة من البدع المنكرة فمن قال بحسنها قيل له ما ثبت حسنه بالأدلة الشرعية فهو إما غير بدعة فيبقى عموم العام في حديث كل بدعة ضلالة وحديث كل عمل ليس عليه أمر نافه ورده على حاله أو يكون مخصوصاً من هذا العام والعام المخصوص دليل فيما عدا ما خص منه فمن ادعى الخصوص فيما أحدث أيضاً احتاج إلى دليل يصلح للتخصيص من كتاب أو سنة أو إجماع مختص بأهل الاجتهاد ولا نظر للعوام ولعادة أكثر البلاد فيه فمن أحدث شيئاً يتقرب به إلى الله تعالى من قول أو فعل فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله تعالى فعلم أن كل بدعة في العبادات البدنية المحضة لا تكون إلا سيئة والحاصل كلما أحدث ينظر في سببه فإن كان لداعي الحاجة بعد أن لم يكن كنظم الدلائل لرد الشبه التي لم تكن في عصر الصحابة أو كان قد ترك لعارض زال بموت النبي صلى الله عليه وسلم بجمع القرآن فإن المانع منه كون الوحي لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء وقد زال كان حسناً

فكل منها مقربة مطلوبة شرعاً والوسيلة للقرب قربة **(قوله غير مشروعة)** وهذا المعنى أراد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما أخبر بالجماعة الذين كانوا يجلسون بعد المغرب وفيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا فيفعلون فخصرهم فلما سمع ما يقولون قام فقال أنا عبد الله بن مسعود فوالله الذي لا اله غيره لقد جئتم ببدة ظلماء أولقد فقم على أصحاب محمد عما يعني أن ما جئتم به إما أن يكون بدعة ظلماء أو أنكم تداركتم على الصحابة ما فاتهم لعدم تذكيرهم له أو لتكاسلهم عنه فغلبتموهم من حيث العلم بطريق العبادة والثاني منتف فتعين الأول أي كونه بدعة ظلماء **(قوله مثل صلاة الرغائب)** وهي ما يصليها بعضهم في أول جمعة من رجب وفي ليلة النصف من شعبان قال النووي هي أي صلاة الرغائب بدعة منكورة من البدع التي هي ضلالة وجهالة قاتل الله واضعها ومخترعها قال وقد صنف جماعة من الأمة مصنفات نفيسة في تقييدها وتضليل من يصليها ودلائل قبحها وبطلانها وتضليل فاعلمها أكثر من أن تحصر **(قوله للعوام)** أو ما هم في حكمهم من الزهاد والعباد الذين لا علم عندهم **(قوله ما لم يأذن به الله تعالى)** فمن تبعه فقد اتخذ شريكاً ومعبوداً كما قال تعالى في حق أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله فقال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم ما عبدوهم فقال صلى الله عليه وسلم

والأفاحدائه بصرف العبادات البدنية القولية والفعلية تغييرا دين الله تعالى مثلاً الأذان في الجمعة سنة وقبل صلاة العيد بدعة ومع ذلك فإنه يدخل في عموم قوله تعالى واذكروا الله ذكراً كثيراً وقوله تعالى ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله فيقول القائل هذا زيادة عمل صالح لا يضر لأنه يقال له هكذا تتغير شرائع الرسل فإن الزيادة لو جازت لجاز أن يصلى الفجر أربعاً والظهر ستاً ويقال هذا عمل صالح زيادته لا تضر لكن أهل السنة يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفعل والترك فإن الله سبحانه قد بين لنا الشرائع وأتم لنا الدين فهذا هو من غير زيادة أو نقص فالزيادة عليه كالتقصان فنعبده بما شرع ولا نعبد به بالبدع فعقولنا عن مثل ذلك قاصرة وآراؤنا إذا كاسدة خاسرة والعقول لا تهتدى إلى الأسرار الإلهية فيما شرعه من الأحكام الدينية أو ما ترى كيف نبت إلى الصلاة دائماً ونهيت عنها في الأوقات الخمسة وذلك ينتهي إلى قدر ثلث النهار فينبغي لك أن تكون حريصاً على التفطيش عن أحوال الصحابة وأعمالهم فهم السواد الأعظم ومنهم يعرف الحسن من القبيح والمرجوح من الرجيح وإذا وقع أمر ينظر فيه إلى قواعد المجتهدين الذين هم السلف لمن خلف فإن وافق أصولهم قبله المتبع بقلبه والأفلي بنده وراء ظهره وليتصرف في جليلة أمره ولا تغرنك عوائد

أطاعوهم فمن أطاع أحداً في دين لم يأذن به الله تعالى فقد عبده واتخذ رباً (قوله والا) بان كان المقتضى لفعله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم موجوداً من غير وجود المانع ومع ذلك لم يفعله صلى الله عليه وسلم (قوله تغييرا لدين الله تعالى) إذ لو كان فيه مصلحة لفعله صلى الله عليه وسلم أوحى عليه فام لم يفعله ولم يحث عليه علم أن ليس فيه مصلحة بل هو بدعة قبيحة سيئة (قوله فيقول) أي فإن كان يقول (قوله زيادته لا تضر) وليس لأحد أن يقول ذلك ثم إن من فعل ذلك إن كان معتقداً عدم مشروعيته يكون فاسقاً غير مبتدع وإن اعتقده مشروعيته يكون فاسقاً مبتدعاً لأن الفسق أعم من البدعة فكل بدعة فسق من غير عكس ولذا قيل البدعة شر من الفسق (قوله وأقم لنا الدين) كما قال في كتابه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (قوله من الأحكام الدينية) قال الإمام الغزالي في كتاب الأربعين في أصول الدين إياك أن تتصرف بعقلك وتقول كلما كان خيراً أو نافعاً فهو أفضل وكلما كان أكثر كان أنفع فإن مثلك لا يهتدى إلى أسرار الأمور الإلهية وإنما يتلقاها قوة النبي صلى الله عليه وسلم فعليك بالاتباع فإن خواص الأمر لا تدرك بالقياس أو ما ترى الخ (قوله إلى قدر ثلث النهار) وقال في الأحياء فكان العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها كذلك تقصر عن إدراك ما ينفع في الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإنما يكون ذلك لورجع الينا بعض الأموات وأخبرونا عن الأعمال المقررة إلى الله تعالى والمبعدة عنه وذلك ما لا مطمع فيه (قوله والمرجوح من الرجيح) فإن أعلم

الناس فأنهم السوم القاتلة والداء العضال وعين المشقة المؤدية الى الضلال وقد كان هشام بن عروة يقول لانفسألو الناس اليوم عما أحدثوه فأنهم قد أعدوا له جوابا لكن سألوه عن السنة فأنهم لا يعرفونها وأخرج أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال كل عبادة لم تفعلها الصحابة فلا تفعلوها وأخرج البيهقي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال أبعض الأمور الى الله تعالى البدع قال الامام ابن حجر المكي في شرح الأربعين انه وان البدع السيئة وهي ما خالف شيئا من ذلك صريحا أو التزاما فقد ينتهي الى ما يوجب التحريم تارة والكراهة أخرى والى ما يظن انه طاعة وقربة فن الاول الانشاء الى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشايخ الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك اباحية لا يحرمون حراما لتليس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة فهم باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر وسنه ما عمت به البهوى من تزوين الشيطان للعامة تخليق حائط أو عمود أو تعظيم نحو عين أو حجر أو شجرة لرجاء شفاء أو قضاء حاجة وقيامهم في هذا ظاهرة غنية عن الايضاح والبيان وقد صرح ابن الصحابة رضي الله عنهم مروا بشجرة سدد رقبيل حنين كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسنانهم أي يعلقونها بها فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا لها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن

الناس وأقربهم الى الله تعالى أشبههم بهم وأعرفهم بطريقهم اذ منهم أخذ الدين وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع (قوله أبعض الأمور الى الله البدع) لما تضمنته من التكذيب بما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله عناد أو جهلا وهي أحب الى ابليس من كبار الذنوب كما قال بعض السلف البدعة أحب الى ابليس من المعصية لأن المعصية يتأني منها والبدعة لا يتأني منها وقال ابليس أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله فلما رأيت ذلك نقبت فيهم الالهواء فهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ومعلوم ان ضرر الذنوب على نفسه وأما المبتدع فضرره على النوع وفتنة المبتدع في أصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصددهم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع مباحق لمجاورة الرسول والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصي يطيء السير بسبب ذنوبه فلهذه الفروق وغيرها كانت أبعض الأمور الى الله وأحب الى ابليس من المعاصي (قوله قال قوم موسى لموسى) لما جاوز بيني اسرائيل البحر ومروا على قوم يعكفون على أصنامهم (قوله اجعل لنا لها) نعبد وقوله كما لهم آلهة يعبدونها وقوله من كان قبلكم رواه مالك والنسائي والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح عن الزهري عن سنان بن أبي سنان

سنان من كان قبلكم ومن الثاني ومنثوه ان الشارح يخص عبادة بزم من أو مكان أو شخص أو حال
فيه مومنها جهلا وظنا انها طاعة مطلقة مخصوص يوم النسيك أو التشريق والوصال ومنه التعريف
بغير عرفة ثم قال ومنه الصلاة ليلة الغائب أول جمعة في رجب وليلة النصف من شعبان فهم ما بدعتان
منه وممتان ثم قال والسكلام في خصوص احيائهما بالكيفية المشهورة بين العوام فلا ينافيه الأمر
بالقيام ليلتها أي ليلة النصف من شعبان الى آخر ما قال (أقول) ومن أعظم البدع الغلو في تعظيم القبور
فلقد اتخذوها في هذا الزمان معابديع يتقنون ان الصلاة عندها أفضل من الصلاة في جميع بيوت
الله وهم وان لم يصرحوا ولكن طبع قلوبهم على ذلك فتراهم يقصدونها من الأماكن البعيدة
وربما ان تكون بجنادهم مساجد مهجورة فيعطونها واذا الحقوا على الصلاة فيها ولو في أوقات
الكرامة كانت أفضل عندهم من الصلاة في الأوقات الفضيلة في المساجد وتلك المساجد التي بجناد
القبور ليست مقصودة لكونها بيوت الله بل لكونها حضرات لمن انتسبت اليه من أهل تلك القبور
يدل على ذلك كله انهم لا يسمونها الا حضرات فاذا قلت لأحد من اين صليت قال لك صليت في
حضرة الشيخ فلان وليس مقصودهم الا التقرب به وبحضرتة وكما أكثر الرجل التردد الى القبور
ولو كانت مشتملة على أنواع المنكرات من ستور الحرير والديباج والترصيع بالفضة والعقيان أي
الذهب الخالص فضلا عن غيرها كان مشهورا بين الناس بالديانات مغفورة الزلات مقربا عند أصحاب
تلك الحضرات ولقد امتلئت قلوب العوام من رجائهم ومخافتهم فتراهم اذا عضدت عليهم الأمور
أوصى بعضهم بعضا بقصد أصحاب القبور وكذلك اذا وقع على أحديهم بالله حلف به من غير أدنى
وجل أو حذر واذا قيل له احلف بفلان عند قبره خصوصا اذا أمره بالعسل لهذا اليمين ليكون
ذلك من أقوى العبادات خاف خوفا يظهر على جميع جوارحه فلو ساءلناه أنه أدخل الى قبره ارتعدت
فرائصه وانحلت قواه وربما ان أحدهم لكثرة أوهامه وشدة خوفه تبطل حواسه فيزدادون كفرا
وتضحك عليهم الشياطين جهرا وتري كثيرا منهم يعلقون مرضاهم عليهم فيأخذون المريض وهو
في غاية شدته فيدخلون على قبره والسعيد عندهم من يدخله داخل شبا كهو يتعلق بستر قبره
والرزية العظمى انهم في حالي السراء والضراء يتلاعب ابليس بهم فان مات مريضهم قالوا ما قبلنا
الشيخ فلان يعنون به صاحب القبر وان صادف القدر فعوفي سيما اذا وافق مطالبهم ذلك الوقت
فرحوا بما عندهم من الكفر فأرسلوا القرايين ومعها شموع العسل موقدة من بيوتهم
اظهار القدرة صاحب القبر وتنبيهها على فضيلته وكثيرا ما ينشرون الرايات له على طريقة أهل
الدولى عن أنى واقف اليمى انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وذكر الحديث
الذكر (قوله والعقيان) أي الذهب الخالص

الجهل من الاعراب من ان من فعل شيأ عظيما نشرت له راية بيضاء وقد رأيت من لم يفعل ذلك
ولكنه ينصب راية بيضاء على سطح داره ثلاثة أيام يصيح كل يوم وقت المغرب بأعلى صوته الـراية
البيضاء المبينة لفلان بيض الله وجهه وبالجملة فأكثر البدع الخبيثة نشأت من هنالك حتى اني
رأيت بدمشق الشام اناسا يندرون للشيخ عبد القادر الجيلي قنديلا يعلقوته في رؤس المنابر
ويستقبلون به جهة بغداد ويبقى موقدا الى الصباح وهم يعتقدون ان ذلك من أتم القربات اليه
كانهم يقولون بلسان حالهم أينما تواقم عبد القادر في الله العجب ما هذه الخرافات وأين دين الله
الذي قدمات بال الشيطان في عقولهم وأضلهم عن سبيلهم ولا ترى أحدا ينهى وينكر عن
أمثال ذلك وأعظم مما هنالك ومن أقبح المنكرات ما يستعمله جميع النساء عند وضع الاناث ولا
سيما في شدة الطلق فانهن يستغثن بعلي بن أبي طالب وكلما اشتد الطلق صاحت النساء بأعلى أصواتهن
داعيات ومستغيثات به ليفرج عنهن ما قد كرهن ومن يسمعهن يتيقن اشرا كهن وقاما تسلم امرأة
منهن في هذا الحال العظيم والخطب الجسيم وكثير منهن يزعمن انه الموكل بالأرحام والموكل اليه في
هذه الأحوال العظام ومن البدع المنكرة ان كثيرا من أهل الهند وأهل الأماكن القاصية يرسلون
الهدايا العظيمة والأموال الكثيرة اما لاجراء القنوات لأجل المجاورين عند قبورهم فانهم عندهم
أفضل خلق الله ومن جاور عندهم فكانما ابتاع منهم قطعة من الجنان واما العمل بقباهم بصفائح
الذهب العقيان وبعضهم يرسل هدايا عظيمة ليرسل له السدنة أعلاما ينشرونها على فلكهم اذا وقعوا
في شدة بهم فيكون اسمه المكتوب في تلك الاعلام المرسل اليهم كشفا لسكرتهم نفاعا لهم بالنجاح
بغيتهم وأكثر نساء بغداد اذا فن صحيفات من وضعهن يخبرن خبرا يسمينه عباس المستعجل يزعمن
ان العباس بن علي بن أبي طالب هو المتكفل بهذه الأمور العظام ومن ذلك عند الناس شيء كثير من
أشجار وآبار وصخور وأشجار يزعمون منها شفاء الأمراض وقضاء الحاجات وتفرج الكربات ولو
بسطت الكلام في ذلك ما يستعمله الرجال والنساء أو يختص بالنساء من أشياء يعلقنها عليهن ويدينن
خواصها وتأثيراتها في أزواجهن ويسمينها بأسماء لورجعت الجاهلية الأولى لهجرت عن أقل القليل
من هذه الجهالات وسوء الاعتقادات لاحتمل مجلدات والويل كل الويل لمن أنكر ذلك أو تكلم
بأدنى شيء ينبجي من تلك المهالك ومن أسخف البدع انك تسمع وقت خسوف القمر من الضرب
بالطسوس والنحاس شيأ عظيما ولا تكاد تسمع برجل دخل بيتا من بيوت الله للصلاة فيه أو صلى في
بيته أو استغفرا أو تاب أو تصدق فبالله نستعين على زمان أميت فيه السنن واستؤنس بالبدع اللهم
اذا أردت بقوم فتنه فأقبضنا اليك غير مفتونين آمين ومن البدع المنكرة ما يستعمله المتصوفة
من أذكار اشتملت على الدفوف والطبالات والغناء وأنواع الرقص ويسمونهم حالا وتراهم يعملون

ذلك ومغنيهم ينشد هم من الشعر المشتمل على ما لا يرضى الله تعالى ويحضره الفسقة والمرد والنساء
 فيحصل من ذلك ما يظهر به شعائر الفسق والعصيان وترى الشيخ لو حصلت له مواجهة الظامة وظفر
 بدرهمهم لعددها من أطيب المسكاسب وأقرب المراتب لأكثر الله من أمثالهم ولا تتعب بنائبه كمر
 سوء فعالهم وكذلك لا تلوث ألسنتنا بقاذورات كلمات الفلاسفة التي انبتت عليها أصولهم الفاسدة
 وإن كنت قد وعدت بإيراد بعض منها في صدر هذه المقالة فالقصد بيان عاوم الرسالة فكيف نخطأها
 بأقوال أهل الضلالة وعسى الله تعالى أن يفسح في الأجل فنعمل رسالة تلخص فيها قواعدهم ونذكر
 ما يتفرع على كل قاعدة من مفاسدهم والله المستعان والخاص لو أراد الإنسان أن يفصل منكرات
 القبور وتبكيات المتصوفة ومنكرات الحيطان والآبار والصخور والأحجار والتماثيل وكذا
 منكرات المساجد والحمامات والطرق والبيوت والبوادي والأصاغر فضلا عن الدخول في
 منكرات المجالس والملابس والبيع والشراء وما ابتدعه فيها وجعلوه كالسنة المأمو ر بها الضاق عنه
 نطاق التحريم وعجز عن ضبطه من تصدى للتسطين وعسى الله سبحانه وتعالى أن يرسل في هذه الأمة
 من يجدد لها أمر الدين ويتبع سبيل المسلمين ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مؤمنين آمين
 ﴿ الخاتمة رزقنا الله حسناتها وفيها فصول ثلاثة ﴾

(الفصل الأول في النذر)

اعلم أن النذر لغة الوعد بخير والايحباب وشرع الزام مكلف مختار عبادة غير لازمة له بأصل الشرع وهو
 أقسام نذر معصية فيحرم الوفاء به قطعا ولا يصح وفاقا بين الشافعي وأصح الروايتين عن أحمد خبر
 مسلم لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يمسكه ابن آدم وعند أبي حنيفة وهو الرواية الأخرى عن أحمد ينقذ
 وسرمة الوفاء به لا تمنع انعقاده ويكفر كغفارة يمين وأما في غير هذه الصورة من المعصية فهو قسمان
 أحدهما نذر لجأج وهو ما علق على شيء لقصد المنع منه أو الحث عليه والغالب فيه أن يكون ناشئا من
 الغضب كان كلمته

(قوله ربنا أفرغ علينا صبرا) أي أفض علينا صبرا يغمرنا كما يغمر الماء أو صب علينا ما يبطرنا من
 الآثام والصبر على هذه المنكرات (قوله وتوفنا مؤمنين) أي ثابتين على الإيمان (قوله رزقنا الله
 حسناتها) جملة دعائية والمراد من الخاتمة هنا ومن الضمير العائد إليها آخر العمر وعاقبته في الكلام
 طريق الاستخدام (قوله عبادة غير لازمة له بأصل الشرع) وأركانه ناذر ومنذور وصيغة وشرط
 الناذر اسلام واختيار ونفوذ تصرفه فيما ينذر (قوله لا نذر في معصية الله إلح) وكالمعصية المسكروه
 لذاته أو لازمه وهو ما صرح به بعض الشافعية (قوله فهو) أي النذر (قوله لجأج) يفتح اللام وهو
 التماذي في الخصومة (قوله وهو) أي نذر اللجأج (قوله كان كلمته) أو أن لم أكله أو أن لم يكن الأمر

فإنه على عتق أو صوم وفيه عند الامام الشافعي ثلاثة أقوال أحدها أنه مخير قبل فعله بين أن يفعل
 ما التزم أو يكفر كفارة يمين وهذا هو الرواية الصحيحة عن أحمد بن حنبل وثانيها ما نذر تبرر
 وسمى به لأنه لطاب البر أو التقرب إلى الله كما ينذر الله بلا تعليق من الطاعات كصلاة وصوم وحج
 وغير ذلك فيلزم الوفاء به وكذا المعلق إذا حصل المعلق عليه عند أكثر العلماء خبر البخاري من نذر
 أن يطيع الله فليطعه وقد جعل الشافعية من اللجاج ما هو تبرر وفرقوا بينه وبين اللجاج أن
 الأول تعليق برغوب فيه والثاني برغوب عنه ومثل له القفال حيث قال لو قالت لزوجه أن جامعته
 فعلى عتق عبد فإن قالته على سبيل المنع فإلجاج أو الشكر لله حيث يرزقها الاستمتاع بزوجه الزمها
 الوفاء به انتهى بنقل ابن حجر وعلى كل حال فالنذر اللجاج مكره عند الامام الشافعي ونذر التبرر
 مباح ويثاب بفعله ما عاقبه عليه من الطاعة وعند الامام أحمد كلاهما مكروه وإن أثبت على ما يفعله
 في صورة التبرر لقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل (لا يأتي ابن آدم) بالنصب
 مفعول مقدم وفاعله (النذر) بفتح النون (بشيء لم أكن قدرته ولكن يلقيه النذر إلى القدر)
 يعني لا يأتي النذر بشيء غير مقدر فإن وجد شيء فالقدر هو الذي يلقى ذلك المطاوب لا النذر (وقد
 قدرته له استخرج به من البخيل فيؤتيني عليه ما لم يكن يؤتيني عليه من قبل) قال النووي معناه
 أن الناذر لا يأتي مبتدئاً بهذه القرية تطوعاً بل في مقابلة بنحو شفاء مريض بماء علق الناذر به وقال
 الخطابي فيه إشارة إلى ذم ذلك وفي قوله استخرج إشارة لوجوب الوفاء به وأما مدح الوافين به قال
 بعضهم فلا يدل على استحسانه ومشروعيته بل على جوازه والوفاء به ولذلك لم يفعله النبي صلى الله
 عليه وسلم ولا أمر به بل نهى عنه وأخبر أنه لا يرد قضاء ولا يأتي بخير بقي عندنا صورة أخرى عليها
 مدار الناس في هذا الزمان وهو النذر لغير الله كالنذر لابراهيم الخليل أو النبي صلى الله عليه وسلم

كما قلته (قوله فلتع على) أو فعلى (قوله عتق أو صوم) أو عتق وصوم وحج (قوله وفيه) عند
 وجود المعلق عليه (قوله ثلاثة أقوال) أحدها أن فيه كفارة يمين لخبر مسلم كفارة النذر كفارة يمين
 ولا كفارة في نذر التبرر قط ما فتعين حله على نذر اللجاج وثانيها على ما التزم لخبر من نذر وسمى
 فعله ما سمي وثالثها وهو أحدها الخ (قوله أو يكفر كفارة يمين) لأنه يشبه النذر من حيث إنه
 التزم قرية واليمين من حيث أن مقصوده مقصود اليمين ولا سبيل للجمع بين موجبهما ولا
 لتعاطفهما فوجب التخيير (قوله وكذا المعلق الخ) كان شفي الله مريضاً فلتع على أو فعلى (قوله
 فليطعه) وظاهر كلامه أنه يلزمه الفور بإدائه عقب وجود المعلق عليه وهو كذلك (قوله انتهى
 بنقل ابن حجر) فعلم من كلامه أن نذر التبرر قسمان معلق وغيره وهو كذلك (قوله إشارة
 لوجوب الوفاء به) أي لأن غير البخيل يعطى باختياره بلا واسطة النذر والبخيل إنما يعطى بواسطة

أو النذر للاموات الصالحين فتدجرت هذه العادة الخبيثة في هذا الوقت من نذرهم الطعام والزيت والشموع والقرايين لأهل القبور من الاموات وقد اضطررت أقوال العلماء في ذلك فقال ابن حجر المكي في التحفة يقع لبعض العوام جمعات هذا القبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصح كما بحث لأنه اشتهر في النذر في عرفهم ويصرف لمصالح الحجرة النبوية بخلاف متى حصل إلى كذا أجيء له بكذا فإنه اغو وقال في مكان آخر منها ومنها التصديق على ميت أو قبره أن لا يردت ما يكرهه واطرد العرف بأن ما يحصل له يقسم على نحو فقرائه هناك فإن لم يكن عرف بطل قال السبكي والأقرب عندي في الكعبة والحجرة الشريفة والمساجد الثلاثة أن من خرج من ماله عن شيء لها واقتضى العرف صرفه في جهة من جهاتها صرف إليها واختصت به انتهى ثم قال ومنها اسراج نحو شمع أوزيت في مسجد أو غيره كمنية برة أن كان ثم من ينتفع به ولو على ندور فيجب الوفاء به وإلا فلا انتهى وسئل في فتاويه عن أحكام النذر لقبور الأولياء والمساجد والنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأجاب بقوله النذر للمولى إنما يقصد به غالباً التصديق عنه لخدم قبره وأقاربه وفقرائه فإن قصد النذر شيئاً من ذلك أو أطلق صح وإن قصد التقرب للميت كما يفعله أكثر الجهلة لم يصح وعلى هذا الأخير يحمل إطلاق أبي الحسن الأزرق عدم صحة النذر للقبر مطلقاً ثم قال فيها وحيث قالوا في باب الوقف أنه يعمل فيه بالعادة الموجودة فيها هذه الشروط وانها بمنزلة شرط الواقف فكذلك نقول هنا العادة المنذورة بمنزلة شرط الناذر فيعمل بجموع ما حكمت به وقال علماء الدين الحنفى في شرح الملتقى واعلم أن النذر الذي يقع للاموات من أكثر العوام تقر باليهم فهو بالاجماع باطل حرام ما لم يقصد وأصرفها إلى فقراء الأنام وقد ابتلى الناس بذلك ولا سيما في هذه الأيام انتهى وسئل خير الدين الرملى الحنفى في فتاويه عن النذور المتعلقة بالأنبياء والأولياء يقبضها قوم ويزعمون أن ما يتناولونه حقاً من حقوقهم إلى آخر السؤال فأجاب هذه المسئلة جعل فيها شيخ الاسلام الشيخ محمد الغزى رسالة حاصلها أن النذر لا يصح الا إذا كان من جنسه واجب مقصود اذ ليس للعباد أن ينصب الأسباب ويشرع الأحكام ثم قال وفي شرح الدرر للعلامة قاسم وأما النذر الذي ينذر به أكثر العوام كان يقول ياسيدى فلان يعنى به ولياً من الأولياء أو نبياً من الأنبياء أن رد غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب أو الفضة أو الطعام أو الشراب أو الزيت كذا فهذه باطل بالاجماع لأنه نذر لمخاوق وهو لا يجوز لأنه أى النذر عبادة لا تكون للمخاوق والمنذور له ميت والميت لا يملك وأنه ان ظن

النذر الموجب عليه (قوله صرفت إليها واختصت به) فإن لم يقتض العرف شيئاً الذى يتجبه انه يرجع في تعيين المصروف لراى ناظرها وظاهر أن الحكم كذلك في النذر إلى مسجد غيرهما خلافاً لما يرويه كلامه (قوله من أكثر العوام) زاد في شرح التنوير وما يؤخذ من الدراهم والشمع

ان الميت يتصرف في الأمور كحرف ثم قال فاذا علمت هذا فليؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها فتقل الى ضرائح الأولياء تقر باليهم لاني الله فإرام باجتماع المسلمين ما لم يقصدوا الفقراء الأحياء قولاً واحداً وقد علم بما نقلناه ان ما ينذر العوام للشيخ مروان وعلى بن عليل ورويل لا يصح ولا يلزم وليس للخادم أخذه على أنه نذر صحيح الا اذا أخذه على وجه الصدقة المبتدأة وكان فقيراً ههنا بعض من كلام شارح الدرر ثم قال المستفتى أقول قد استباح هذا المحرم المجمع على حرمة جماعه يزعمون انهم متصوفة الى آخر ما قال في الرد وأطال في الذم قال بعضهم لو نذر لآل نبياء أو لآل أولياء أو لللائكة فلا خلاف بين من يعلم ذلك ويتبينه أنه من شرك الاعتقاد لأن الناذر لم ينذر هذا النذر الا لاعتقاده في المنذور له أنه يضر وينفع ويعطي ويمنع اما بطبعه واما بقوة السببية فيه والدليل على اعتقادهم هذا الاعتقاد قوطهم وقعن في شدة فنذرنا فلان فانكشف شدتنا ويقول بعضهم هاجت علينا الأمواج فنذرت الشيخ فلان فسأمت سفينةنا وبعضهم يقول خرجت علينا الأعادي وكذنا نستأسر فنذرت فلان ونذرت له الشيء الفلاني فساأنا وتراهم اذا لم يفوا وحصلت لهم بعض الآلام قيل للناذر أوف بنذرك والا يفعل بك كذا وكذا فيسارع بالوفاء ولو أنه يستدين على ذمته ولو كان مديوناً ومضطراً ور بما لا يعياً بوفائه ور بما يموت وهو مديون كل ذلك خوفاً من المنذور له وطلب الرضا وهل هذا الا من سوء اعتقاده وقلة دينه وكساده وغاية جوابه اذا عدلته ان يقول لك مقصودي يشفعون لي ووالله ما تخاطر الشفاعة على قلبه ولا يعرف الا ان ذلك المنذور له هو القاضي لخاصته والمهيء لبغيته وبعضهم يقول نذرت فلان فرأيت أشخاصاً جاؤا وأنا بين النوم واليقظة فدفعوا السفينة أو العاد ومثلاً فانتبهت وقد حصل المطاوب وتم المرغوب وبعد هذا لا يعرف غيره ويعتقد ان لا خير الا خيره ولا ضير الا ضيره عافانا الله في الدين الى يوم الدين آمين

﴿الفصل الثاني في النحر وأحكام الذبائح﴾

اعلم ان المراد بالنحر حيث أطلق نحر الابل فهو خاص بها كما ان الذبح يعم غيرها من سائر المأكولات وقد خصه الله سبحانه بقوله فصل لربك وانحر لأن البدن كانت خياراً أموال العرب وقد قرن الله سبحانه النحر بالصلاة اهتماماً بشأن تخصيصه به والمعنى انحر لربك مخالفاً لقومك من نحرهم للأوثان فان من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتل أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر قال محمد ابن كعب ان اناساً كانوا يصلون لغير الله وينحرون فامر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي وينحر لله عز وجل وقال بكرمة وعطاء وقتادة فصل لربك صلاة العيد وانحر نسكك وقال الله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين

والمراد من النسك كما قال المفسرون اما العبادة كلها أو القربان ومعنى محياى ومماتى ما أنا عليه فى
حياتى وأموت عليه من الطاعة الفائضة عن الايمان بالله رب العالمين خاصة لا أشرك فيها غيره فقد
قرن سبحانه فى هذه الآية الشريفة القرايين التى امتاز بتخصيصها لله وحده الموحدون عن
المشركين بالصلاة التى هى عماد الدين * واعلم ان الذبح للحيوان المأكول المبيح لا كله هو المفروض
والمراد به قطع الحلق وهو أعلى العنق أو اللبة وهى أسفل والتذكية لغة التطيب ومنه رائحة ذكية
والتقيم ومنه فلان ذكى أى تام الفهم سمى بها الذبح المبيح لانه يطيب المذبح باباحتها له والتذكية
الشرعية لا تحصل الا بقطع كل الخلقوم والمرىء فالتذكية أخص من الذبح المطلق والمراد بالخلقوم
مخرج النفس والمرىء مهموزا مجرى الطعام والشراب وهوتحت الخلقوم ويستحب قطع
الودجين بفتح الواو والدال وهما عرقان فى صفحتى العنق يقال لهما الوريدان وأوجب قطعهما
الامام أبو حنيفة ويسن جعل الذبح للغنم والبقر والنحر للابل أى طعنهما بماله حدى من محرهما وهو
الوهدة التى فى أسفل العنق لا مربة فى سورة الكوثر والتسمية عند الذبح عند الشافعى سنة
مؤكدة يكره تركها عمدا وعند أبى حنيفة شرط حال فلا يحل عنده متروك التسمية عمدا وأما نسيانا
فتحل وعند الامام مالك لا تحل مطلقا وإنما كره تعمد ترك التسمية ولم يحرم عند امامنا الشافعى
لانه تعالى أباح لنا ذبائح الكائين وهم لا يسمون غالباً والدلائل من الجانبين كثيرة فلا نطيل الكلام

والزيت ونحوها الى ضرائح الأولياء الكرام (قوله لله رب العالمين) ولهذا كان النبى صلى الله
عليه وسلم فى قربانه يقول اللهم منك ولك بعد قوله بسم الله والله أكبر اتباعاً لقوله تعالى ان صلاتى
ونسكى الى آخر الآية (قوله عن الايمان) أو طاعات الحياة والخيرات المضافة الى المات كالوصية
والتدبير أو الحياة والمات أنفسهما (قوله لا أشرك فيها غيره) وبذلك الاخلاص وعدم الشرك
أمرت وأنا أول المسامحين (قوله واللبة) بفتح أوله (قوله والتذكية) بالذال المعجمة (قوله
سمى بها) شرعا (قوله لأنه يطيب) أكل الحيوان (قوله الشرعية) لكل حيوان برى
وحشى أو نسي قدر عليه (قوله بقطع كل الخلقوم والمرىء) لأن الحياة إنما تنعدم حالاً باعدامها
(قوله مخرج النفس) بمعنى مجراة دخولاً وخروجاً قال بعضهم ومنه المستدير الناقى المتصل بالقم كما
يدل عليه كلام أهل اللغة فتى وقع القطع فيه حل كما يدل عليه كلام الشافعية (قوله صفحتى العنق)
يحيطان بالخلقوم وقيل بالمرىء (قوله واجب قطعهما) لأنه من الاحسان فى الذبح المأمور به اذ
هو أسهل لخروج الروح (قوله فى أسفل العنق) المسمى باللبة (قوله فى سورة الكوثر) وفى
الصحيحين ولأنه أسرع لخروج الروح بطول العنق ومن ثم بحث ابن الرفعة وتبعوه ان كل ما طال
عنقه كالاوز كالابل (قوله يكره تركها عمدا) ولا يقال للمقام لا يناسب الرحمة لأن تحليل ذلك لنا

ففيما قال ابن حجر المنكي في شرح المنهاج (ولا يقول باسم الله واسم محمد) أي يحرم عليه ذلك للتشريك لأن من حق الله تعالى أن يجعل الذبح باسمه فقط كما في اليمين باسمه نعم إن أراد الذبح باسم الله وأتبرك باسم محمد كره فقط كما صوبه الرافعي ولو قال باسم الله ومحمد رسول الله بالرفع فلا بأس وبحث الأذرعى تقييده بالعارف والأفهماسيان عند غيره ومن ذبح تقرأ بالله تعالى لدفع شر الجن عنه لم يحرم أو بقصد هم حرم وكذا يقال في الذبح للكهنة أو قدوم السلطان ولو ذبح ما كولا غير أكاه لم يحرم وإن أتم بذلك انتهى قال ابن قاسم العبادي عبارة الروض ولا تحل ذبيحة كلابي للمسيح وهسلم لمحمد أو للكهنة فإن ذبح للكهنة أو لارسل تعظيما لكونها بيت الله أو لكونهم رسل الله جاز انتهى وبديعه أن تسميته محمد على الذبح عند الأفراد أو عطفه على اسم الله يحرم أن أطلق ولا يحرم أن أراد التبرك وتحل الذبيحة في الحالين وأما إذا قصد الذبح له فإن أطلق حرم وحرم الذبيحة وإن قصد التعظيم والعبادة كفر وحرم الذبيحة قال علاء الدين الحنفى في شرح التنوير (ذبح لقدوم الأمير ونحوه) كواحد من العظمة (يحرم) لأنه أهل به لغير الله تعالى (ولو) وصليمة (ذكر اسم الله تعالى ولو) ذبح (لأضيف لا) يحرم لأنه سنة الخليل وأكرام الضيف أكرام الله تعالى والفارق أن قدما إليها كل منها كان الذبح لله والمنفعة للضيف أو للوليمة أو للرجح وإن لم يقدمها ليا كل منها بل يدفعها لغيره كان التعظيم لغير الله فمحرم وهل يكفر قولان برأيه وشرح وشبانية قلت وفي صيغة المنية أنه يكفر ولا يكفر لأننا لا نرى الظن بالمسلم أنه يتقرب إلى الآدمي بهذا النحر ونحوه في شرح الوهبانية عن الذخيرة انتهى وقد روى الامام مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وفي رواية من أهل وهو عناه ومعنى صدر الحديث انتهى عن لعن أبوى غيره فيلعن أبوه فبقتببه كان كأنه قد لعن أبوى نفسه وأما

غاية الرحمة بنا ومشروعية ذلك في الحيوان رحمة له لما فيه من سهول خروج روحه (قوله عبارة الروض) ولا يجوز أن يقول الذابح باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد أي ولا باسم الله ومحمد رسول الله بالجر كما في أصله للتشريك فإن قصد التبرك فيذبح أي لا يحرم كقوله باسم الله ومحمد رسول الله برفع محمد (قوله انتهى) كلام صاحب الروض (قوله في صحيحه) عن علي رضي الله عنه (قوله لغير الله) تمامه ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض (قوله كأنه قد لعن أبوى نفسه) فيكون ما باب التسبيب هكذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر قال بعضهم ولعل الوجه في تفسيره السب بكذا هو استبعاده بأن يسب الرجل والديه بالمباشرة فإن وقع سب الوالدين يكون واقعا بالسببية سبحانه الله إذا استحق من يكون سبب السب لعنه فكيف حال المباشرة

آخره فقال المناوي بأن يذبح باسم غير الله كصليب أو لموسى أو عيسى أو الكعبة فسكاه حرام ولا يحسد ذبيحته بل إن قصده تعظيم المذبح له كفر انتهى وقال ابن حجر المكي في زواجه الكبيرة السابعة والستون بعد المائة الذبح باسم غير الله على وجه لا يكفر به بأن لم يقصد تعظيم المذبح له كمنحو التعظيم بالعبادة والسجود كما عده هذه الجلال البلقيني وغيره ويستدل بقوله تعالى ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق أي والحال أنه كذلك بأن ذبح لغير الله اذهأه الفسق هنا كما ذكره الله تعالى بقوله أوفسقا أهل لغير الله به وبهذا بان أن متروك التسمية حلال ويؤيد ذلك ابن عباس قال في تفسير الآية يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله وما ذبح على النصب قال السكبي يعني ما لم يذكر أو ذبح لغير الله تعالى وقال عطاء بن رباح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان قيل ومعنى أنه لفسق أي أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أي خروج عن الدين إلى آخر ما قال في الدليل ثم قال وقوله تعالى وإن أطعتموهم إنكم لمشركون والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يسم عليها ذكر ذلك الواحدى وغيره ثم قال وجعل أصحابنا ما يحرم الذبيحة أن يقول باسم الله واسم محمد أو محمد رسول الله بحجرا الثاني أو محمدان عرف النحو فيما يظهر أو أن يذبح ككاتبى لسكنيسة أو لصليب أو لموسى أو لعيسى ومسلم للكعبة أو لمحمد صلى الله عليه وسلم أو تقر بالشيطان أو لعبد أو لوالجن فهذا كله يحرم المذبح وهو كبيرة على ما مر انتهى فقد

(قوله فقال المناوي) وكذلك ذكر النووي (قوله وأنه) الضمير راجع إلى ما ويجوز أن يكون للأكل الذي دل عليه لا تأكلوا (قوله أهل لغير الله به) أي رفع الصوت لغير الله به (قوله يريد الميتة) أي ما فارقه الروح من غير تذكية (قوله والمنخنقة) أي التي ماتت بالخنق (قوله النصب) وهي كل ما تنصب لتعبد من دون الله وفي تفسير قتادة المشهور عنه أن النصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فهي الله عز وجل عن ذلك وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النصب أصنام كانوا يذبحون لها ويهلون عليها وفي تفسير مجاهد المشهور عنه من رواية ابن أبي نجيح في قوله تعالى وما ذبح على النصب قال كانت حجارة حول الكعبة يذبح لها أهل الجاهلية ويبدلونها إذا شاؤا بحجارة أعجب إليهم منها وروى ابن أبي شبة حدثنا محمد بن فضيل عن أشعث عن الحسن وما ذبح على النصب قال هو بمنزلة ما ذبح لغير الله (قوله من الميتة) وهي مامات ختف أنفسه (قوله ثم قال وقوله تعالى) وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم أي يقولهم تأكلون ما قتلتم أتم وجوارحكم وتدعون ما قتل الله وهذا يؤيد التأويل بالميتة (قوله وإن أطعتموهم) في استحلال ما حرم (قوله إنكم لمشركون) فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك (قوله والشرك في استحلال الميتة) لأن الله حرم الميتة

نبين لك من هذه النقول كلها ان ما يقرب لغير الله تقرر بالى ذلك الغير ليدفع عنه ضيرا أو يجلب له خيرا
تعظيمه من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الأولون وسبب مشروعية التسمية تخصيص
مثل هذه الأمور العظام بالاله الحق المعبود والعلام فاذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمنع وصح نهيه صلى
الله عليه وسلم عن استأذنه في الذبح ببوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم أكان فيها صنم
قال لا قال فهل كان فيها عييد من أعياد المشركين قال لا قال له فاوف بنذرك أخرج ذلك أبوداود في
سننه وهذا السائل موحد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده لكن المكان الذي فيه معبود غير الله
وقد علم أو محل لاجتماعهم يصلح ما نعا فاعلم صلى الله عليه وسلم ان ليس هناك شيء من ذلك أجازة
ولو علم شيئا مما سئل عنه لم ينع صيانة لحي التوحيد وقطع التريعة الشرك وصح أيضا عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال مر
رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا قالوا له قرب ولو ذبابا ففقر ذبابا فخلوا سبيله

فان قلتم بتحليلها من غيره فقد أشركتم وقد استثنى الله تعالى من تحريم الميتة حالة الاضطرار فقال
فن اضطر في نخصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم وشروط ذلك مذكورة في كتب الأحكام
(قوله ببوانة) بضم الباء الموحدة اسم موضع فيه يقول وضاح الثمين

أي انخلني وادى ببوانة جندا * اذا نام حراس النخيل جنا كما

(قوله أخرج ذلك أبوداود في سننه) روى أبوداود في سننه قال حدثنا داود بن رغبنيه حدثنا
شعيب بن اسحق عن الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني ابن أبي قلابة حدثني ثابت بن
الضحاك قال نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان انحر ابلا ببوانة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عييد
من أعيادهم قالوا لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله
ولا فيما لا يملك ابن آدم أصل هذا الحديث في الصحيحين واسناده على شرطهما ورجاله كلهم ثقات
مشاهير وهو متصل بهذا الحديث يدل على ان الذبح بمكان عييدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه
احدها ان قوله فاوف تعقيب الوصف بالحكم بالفاء وذلك يدل على ان الوصف هو سبب الحكم
فيكون سبب الامر بالوفاء وجود النذر خاليا من هذين الوصفين فيكون الوصفان مانعين من الوفاء
ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به الثاني انه عقب ذلك بقوله لا وفاء لنذر في معصية الله الثالث انه لو كان
الذبح في موضع العيد جائز السوغ صلى الله عليه وسلم للنادر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف
ان تضرب به فهذا الحديث يقتضي ان كون البقعة مكان العيد مانع من الذبح بها وان نذر كما ان
كونها موضع أوثانهم كذلك والامساك بالنظم الكلام ولا حسن الاستفصال (قوله حتى يقرب اليه شيئا)

فدخل النار وقالوا لا آسر قرب قال ما كنت أقرب شيأ لأحد دون الله عز وجل فضرر بواغته
فدخل الجنة في هذا الحديث من القوائد كون المقرب دخل النار بالسبب الذي لم يقصده بل فعله
تخلصا من شرهم وأنه كان مسامحا والالم يقل دخل النار وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب
التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر فتأمل في ذلك وانظر إلى فؤادك في جميع ما قالوه وأنت
سمعت ما ذكره وانظر الحق فإن الحق أبلغ والباطل لجاع فبالنظر التام إلى ما كان عليه المشركون
من تقريتهم لأنهم لتقر بهم إلى الله ليكونهم شفعاء لهم عند الله وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله
أو ملائكة الله أو أولياء الله يعلم ضعف ما قاله ابن قاسم العبادي فيما نقلناه عنه فيما سلف ويتبين لك
ما عليه الناس الآن والله المستعان

الفصل الثالث في الاستعاذة

اعلم ان الاستعاذة الالتجاء من كل شر فمن استعاذ بغير الله فقد خسر وخاب وان المستعيز بغير الله
تعالى متخذ من استعاذ به وليا وانصرا من دونه لقوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إلى قوله انما
سلطان على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمن استعاذ بغير الله على وجه التخلص من الشرور
التي لا يدفعها الاعلام الغيوب فهو بمن استعاذ به مشرك وكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا سافر
فأمسى في أرض غالية قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فأئزل الله سبحانه وأنه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أي فزاد الانس الجن المستعاذ بهم رهقا
أي سفها قال الخطابي لا يستعاذ بغير الله أو صفاته إذ كل ما سواه تعالى وصفاته مخلوق ولذلك وصفت
كلماته تعالى بالتمام وهو الكمال وبما من مخلوق الا وفيه نقص والاستعاذة بالمخلوق شرك مناف
لتوحيد الخالق لما فيه من تعطيل معانيه تعالى الواجبة له على عباده انتهى وبهذا احتج الامام

فقالوا لأحدهما قرب قال ليس عندى شيء (قوله فدخل الجنة) وهذا الحديث رواه أحمد عن
طارق بن شهاب (قوله الالتجاء من كل شر) فعني استعاذ بالله امتنع به واعتصم به والجال إليه
(قوله إلى قوله) انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (قوله انما سلطانه الخ)
المراد بالسلطان الطريق الذي يتسلط به عليهم سواء كان من جهة الحجية أو من جهة القدرة فالقدرة
داخلة في معنى السلطان وهذا أولى من تفسيره بالحجة (قوله والذين هم به مشركون) متضمن
ذلك أمرين أحدهما نفي سلطانه وإبطاله عن أهل التوحيد والاختصاص والثاني اثبات سلطانه على
أهل الشرك وعلى من تولاه فمن اعتصم بالله وأخلص له وتوكل عليه لا يقدر الشيطان على اغوائه
وأضلاله وانما يكون له سلطان على من تولاه وأشركه مع الله فهو لاهر عيته وهو وليهم وسلطانهم
ومتبوعهم (قوله أي سفها) وانما وطغيانا وشرارا ذلك انهم قد قالوا اسدنا الجن والانس فالجن

أحمد وغيره على أن كلام الله تعالى غير مخلوق فالواو قد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بكلمات الله التامات ولا يستعاذ بمخلوق وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقي التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالمخلوقين ويؤيد ما قلنا من أن الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك اعتقادي وقد جعل المستعين نصيباً من ماله لمن استعاذ به ليرفع عنه أو عن غيره ما حل به من المس واللم أو يدفع ما يحضره من سائر الألم قائلا في تعازيهم أعوذ بفلان وفلان ومن ساد من أنس وجان من شركك وكذا أنهم ينحرون الحجيرة لسكان الأرض من الجيران ليرفعوا ويدفعوا عنه ما حل به وكان ويدس ما يحضره لهم في التراب ليكون لهم خالصاً وطعاماً سائغاً وبعضهم يقول أعوذ بأبي الجان وشهاب الشيطان من العين ولذا نهى العلماء عن التعازيم والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروعين وأغلبها بل كلها لا تخلو عن هذه المصائب في الدين والا كدار اصف واليقين وأباح العلماء الاستشفاء بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر فالاعتصار على ما ورد محبوب والوقوف عنده مطلوب فقد كثرا الاعتساف وقل الانصاف ونحن الآن في زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر لا تعرف فيه إلا المنكرات ولا تؤلف غير الضلالات قد رضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة ولم يعرفوا أول الأمر وآخره لاهية قلوبهم ظاهرة عيوبهم لا يستحيون من الله ولا يعملون لله فهم بأديان الرسل يلعبون فأنال الله وأنا إليه راجعون سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال المؤلف رحمه الله تعالى نجز بفضل الله ومنه بتاريخ ليلة الخميس الثامنة عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٤ والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين آمين اه وقع الفراغ من تجميع هذه النسخة الشريفة في ١٤ شهر رجب سنة ١٢١٤ على

تعاليم في أنفسها وتزداد كقرا إذا علمتهم الأنس بهذه المعاملة (قوله بكلمات الله التامات) وهي كتبه المنزلة على أنبيائه ووصفها بالتام لعراشها عن النقص والانقصام (قوله التي فيها شرك) أما الرقي التي لا شرك فيها فلا بأس بها كما قال صلى الله عليه وسلم لا بأس بالرقي ما لم تكن شركاً (قوله المصروعين) وانفقوا على أن كل رقية أو تعزيم أو قسم فيه شرك بالله فإنه لا يجوز التكلم به وإن أطاعته به الجن أو غيرهم وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به لا مكان أن يكون فيه شرك لا يعرف (قوله رب العزة) بدل أو صفة لربك وأضيف إلى العزة لا اختصاصاً بها كأنه قيل ذي العزة وما من عزة لأحد إلا وهو مالكتها وحالقتها والمعنى أنه سبحانه وتعالى لعزته وغلبته منزّه (قوله عما يصفون) أي يذكرون له من الولد والصاحبة والشريك وينعتونه بما لا يليق بذاته وصفاته من المشركين والملاحدة والزنادقة (قوله سلام) عظيم

يد الفقير الحقير محمد أمين ابن المؤلف المذكور ضو غفت له الأجور الشيخ علي نجل العلامة الشيخ
أبي السعود محمد سعيد نجل العلامة الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الشهير
بالسويدي البغدادي مسكاً الشافعي مذهباً غفر الله له ولهم آمين

﴿ يقول راجي غفران المساوي مصححه محمد الزهري الغمراوي ﴾

بحمدك اللهم على ما تفضلت من نعمائك ونشكر على ما أهدت مما يجب من التقديس لعليائك
وأصلي ونسلم على نبيك المرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المتقين وعلى آله وذوي
المنح العلية وأصحابه أولى النفوس الزكية ﴿ أما بعد ﴾ فقد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب العقد الثمين في
بيان أصول الدين للعلامة الفاضل والملاذ الكامل خاتمة الحفاظ المحدثين ونخبة الرؤساء من
المحققين علامة الزمان وجوهرة عقد فضلاء الأوان الشيخ علي بن أبي السعود الشهير بالسويدي
رحمه الله وأثابه رضاه وكتبه هذا تبذة في تحقيق مسائل من أصول الدين لا يستغنى عنها جاذبة
العلماء العاملين فضلاً عن القاصرين جمع فيه مهمات أصول أبا ن فيها عن تحقيق ونبه على بدع
غرق في تيار سيلها من لم يمسك بالكتاب والسنة ويكون ذا بصيرة وتوفيق وبالجملة فن تدبر درره
وأخلى من التعصب والحسد صدره رأى من محاسن صاحبه ما لا يمكن حصره ويصعب على
اللسان ذكره ولما كانت النسخة التي أحضرت للطبع عليها فيها من الخواشي
ما لا يستغنى عن إثباته ويعز الوقوف على مثلها في تحقيق بيناته جردناها
وجعلناها بأسفل الكتاب فكملت محاسنه وطابت ثماره لذوي
الألباب وذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية
بحوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع
الازهر المنير وذلك في شهر ربيع الثاني
سنة ١٣٢٥ هجرية على
صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحية
آمين

